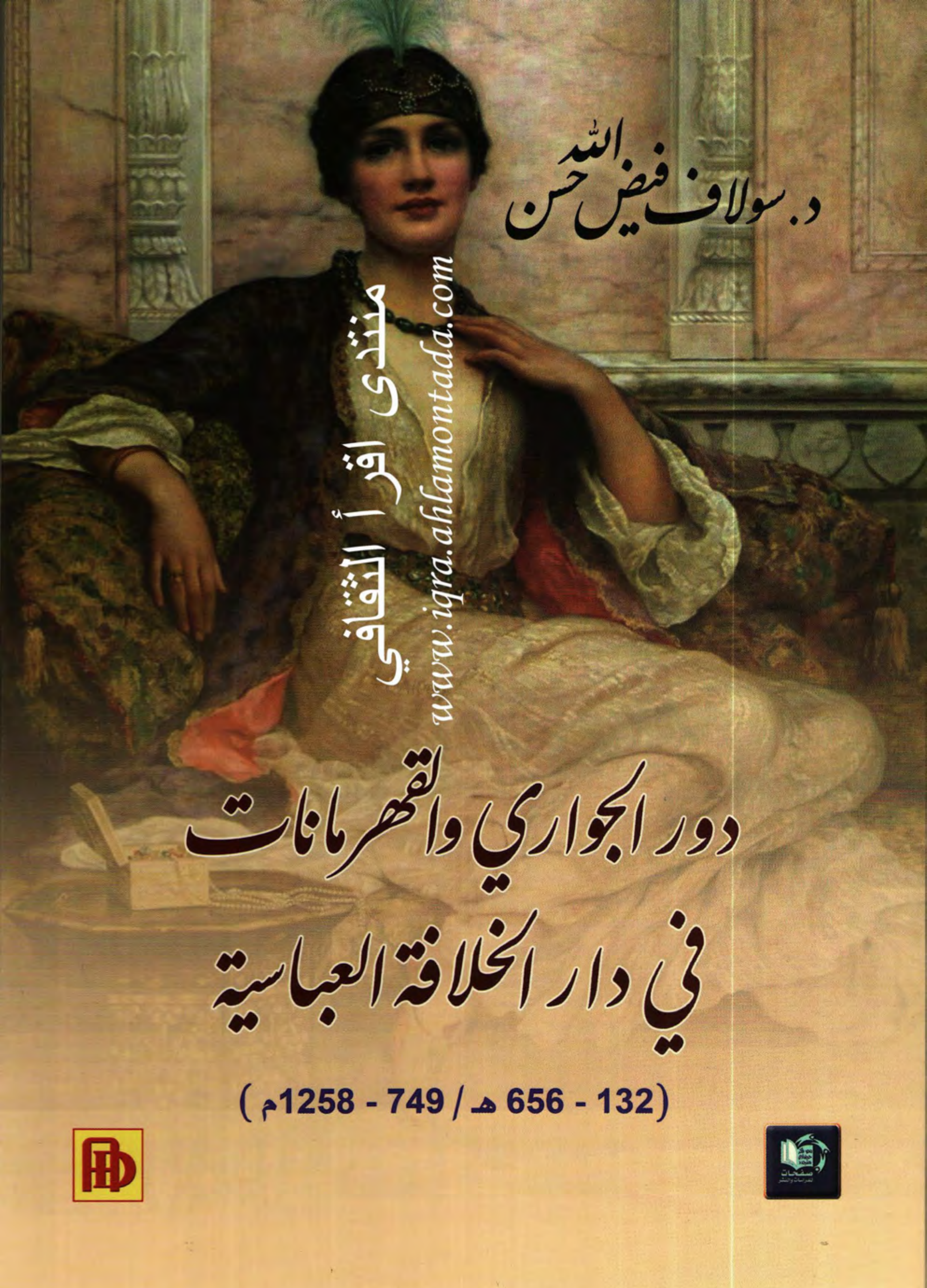

د. سولاف فيض الله حسن
دور الجواري والقهرمانات
في دار الخلافة العباسية
(132 - 656 هـ / 749 - 1258م)

دور الجواري والقَهْرَمانَات

في دار الخلافة العبّاسية

دور الجواري والقهرمانات

في دار الخلافة العباسية

د. سولاف فيض الله حسن

الطبعة الأولى 2013

عدد النسخ 1000 عدد الصفحات 208

الإخراج الفني والتصميم دار صفحات

الترقيم الدولي:

ISBN 978-9933-495-13-8



صفحات للدراسات والنشر

سورية - دمشق - ص.ب 3397

هـاتـف: 095 13 22 11 00963

تلفاكس: 013 33 22 11 00963

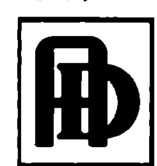
جـوال: 81 81 41 933 00963

الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب: 231422

موبيل 942 442 528 00971

www.darsafahat.com - info@darsafahat.com

الإشراف العام: يزن يعقوب



دار ومكتبة عدنان

طبع - نشر - توزيع

بغداد - شارع المتنبي - بناية المكتبة البغدادية

079017853386 - 07707900655

07901312029 - 07813515055

Email: yaserbook@yahoo.com

د. سولاف فيض الله حسن

دور الجواري والقَهْرَمَانَات
في دار الخلافة العبّاسية

2013

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

صدق الله العظيم

سورة المؤمنون: الآيتان 29 و 30.

الإهداء

إلى أستاذي الفاضل الدكتور مرتضى حسن النقيب

(امتناناً واعتزازاً)

إلى زوجي العزيز صباح

(محبــة وإخلاصاً)

إلى أخواتي الحبيبات جيان وبناز

سولاف

شكر وتقدير

لا يسعني - بعد إتمام بحثي هذا - إلا أن أتقدم بالثناء الجميل وخالص الشكر لأستاذي الفاضل الدكتور مرتضى حسن النقيب، لما بذله من جهد علمي، وصبر جميل، ومواكبة للبحث، لـه الفضل فـي إتمامه، وخير عون لي في إرفادي بكتبه الخاصة به.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور حمدان الكبيسي؛ لتقديمه العون لي، ودعمه المتواصل؛ إذ قدم لي مصادر عدة خاصة بالبحث، فكان خير عون في إكمال البحث، كما أعبر عن امتناني لأساتذة قسم التاريخ جميعاً، في كلية الآداب، لما بذلوه من جهدٍ معنا خلال السنة التحضيرية.

وعرفاني بالجميل، يحتّم علي أن أتوجه بالشكر لموظفات في مكتبة كلية الآداب، ومكتبة قسم التاريخ، ومكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب، والمكتبة المركزية، ومكتبة المتحف، ومكتبة المجمع العلمي العراقي، ومكتبة الجامعة المستنصرية كافة، وإلى كل مَن له فضل علي في هذا البحث. . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سولاف

رموز ومختصرات الرسالة

الرمز	معناه
ص	الصفحة
ص ص	أكثر من صفحة
م	الميلادي
مج	مجلد
هـ	الهجري
ط	الطبعة
تحـ	تحقيق
ج	جزء
مط	مطبعة
بلا	بلا جهة للطبع
د/ت	من دون تاريخ
تر	ترجمة
ق	قسم

المحتويات

المقدمة

تُعدّ الدولة العبّاسية من أعظم الدول الذي شهدها تاريخنا العربي، كما لا يزال تاريخها من أخصب الموضوعات التي يطرقها الباحثون في التاريخ الإسلامي. وكانت الدولة العبّاسية دولة عالمية، قامت بدور رئيس بارز في الحياة الاجتماعية والتطور الحضاري، ووقع الاختيار على موضوع الجواري والقَهْرَمَانات في دار الخلافة العبّاسية، لعدم تطرّق الباحثين لهذا الجانب، بشكل مفصل، ويُعدّ من المواضيع الشّيّقة والممتعة، وفي الوقت نفسه، صعبة ومعقّدة.

فالقَهْرَمَانات – على الرغم من ارتباطها بالتاريخ العبّاسي، وعلى الرغم من انتشارها بشكل يلفت النظر في هذا العصر – ليست ظاهرة جديدة، تخص الدولة العبّاسية والمجتمع العبّاسي؛ إذ لدينا معلومات، توضح ظهورها إلى بدايات الإسلام، مثلاً: يروي نص، يعود إلى خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حول دهقان من أهل التمر، أراد الإسلام، واختار من جملة اختيارات أن يكون قَهْرَمَاناً لدى الإدارة القائمة، فخيَّره إما جزية رأسك، فنرفعها، وإما أرضك؛ فللمسلمين، وإن شئتَ، فرضنا لك، وإن شئتَ، جعلناك قَهْرَمَاناً لدينا [1]. وهو ما يؤكد تداول المسلمين لمفهوم القَهْرَمَان منذ وقت مبكّر.

ويبدو أن الملوك الساسانين عرفوا القَهْرَمَانة في بلاطهم؛ لأن أحدهم غير مسمّى، كان له قَهْرَمَانة، يقال لها: دينار زاد [2].

1- يحيى بن آدم القرشي (ت 203/818م): الخراج (بيروت: مطـ، دار الملايين، 1972)، ص43.

2- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالورّاق (ت 390 هـ/1000/: الفهرست (بيروت، دار المعرفة، 1978)، ص423.

ومع ذلك، فإن المصادر التاريخية لم تذكر شيئاً عن استخدام الدولة الأموية للقَهْرَمَانات[1]، سواء رجالاً شغلوا المزرعة، أو نساء من حريم دار الخلافة[2]، ولا نعرف لها انتشاراً، بسبب حفاظ المجتمع الأموي جهد المستطاع على التقاليد العربية الأصيلة، والمثل العربية، التي كانت لا تسمح بالظواهر الدخيلة فيها من الانتشار، كما لم يكن للجواري في العصر الأموي شأن يذكر ولا دور ولا أثر [3]، وما قامت به الجواري من العمل لم يتصف كقَهْرَمَانات للخدمة، أو لاتخذاهن سراري داخل المجتمع الأموي، لأن العرب في العصر الأموي بقوا سادة المجتمع وساسته، حتى إنهم رفضوا فكرة المساواة بالموالي، وتعصّبوا لعروبتهم تعصّباً قوياً إلى حد أكبر؛ لأن الأمويين لا يستحبّون استخلاف بني أولاد الإماء ولاة لعهودهم، وقالوا: لا تصلح لهم العرب [4].

وفي الوقت نفسه، أدى العصر الأموي وبدايات العصر العبّاسي إلى توالي الفتوحات الإسلامية، واتساعها، ومع ما ترتب على ذلك من كثرة الاسترقاق من الأمم المفتوحة بكثرة هائلة، وما أعقبها من توزيع المسترقّين رجالاً وذراري على العرب الفاتحين [5]، في هذا المحتوى، كان الرقيق للسيد الفاتح كالمتاع، له الحقّ في بيعه وهبته وعقابه، وهو حرّ في رقيقه، على الرغم من وجود بعض الضوابط المعينة التي سمح بها الإسلام [6].

أما في العصر العبّاسي؛ فقد أدّت الجواري والقَهْرَمَانات دوراً مهمّاً في حياة الخلفاء أثناء دخولهن البلاط العبّاسي، وفي الحياة الاجتماعية للمجتمع العبّاسي. وكان لوجود

1- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك (القاهرة: مط المعارف، 1962)، ج4، ص25.

2- شهاب الدين أحمد بن عبد ربه الأندلسي (. 328هـ/940م): العقد الفريد (بيروت: مط لجنة التأليف، 1948)، ج4، ص48.

3- علي بن أحمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير (ت 630 هـ/1232م): الكامل في التاريخ، ط2، (القاهرة: مط المعارف، 1962)، ج3، ص58.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص4، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج3، ص118.

5- أبو الفرج عبد الرحمن علي بن الجوزي (ت 597هـ/1200م) ك ذم الهوى، تحـ: مصطفى عبد الواحد (القاهرة: مط المعارف، 1962)، ص58.

6- أبو الفضل أحمد ظاهر الكاتب ابن طيفور (ت 280 هـ/893 م): بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية (بغداد: مط المثنى، 1968)، ص42.

الجواري والقَهْرَمَانات في بيوت الخلفاء والأمراء والإداريين آثار لا تُنسى، فمنهن أصبحن زوجات الخلفاء، وأمهات لأولادهـم، والقسم الآخـر أمهات للخلفاء، وأخريات أصبحن محظيات وسـراري، فيما استخدمت البقية الباقية كخدم في هذه الدور، بشتى أنواع الخدمة [1]. كان أكثرية الجواري يمتلكن صنعة؛ مثل الشعر والأدب والقصة والمساجلة الشعرية والغناء والعزف والرقص والطرب، وبعض منهن أبدعن في الشعر والغناء [2].

كثيرات من الجواري كن موزّعات في دور مختلفة من فئات المجتمع، على اختلاف درجاتهم الاقتصادية، أو العلمية، أوالثقافية، أو الفنية [3].

مـن أجل هـذا، سـنركّز فـي هذا البحث علـى الجواري والقَهْرَمَانات اللاتي دخلن في البـلاط العبّاسـي، وأصبـح لهـن أدوار وآثار مهمّـة في تاريخ الدولة العبّاسـية[4]، ولاسـيما أن بعضاً مـن فئـة الجـواري لُقّبـن بالقَهْرَمَانـات (مفـرد قَهْرَمَانة): وهـي كلمة فارسـية، تُعبّر عن وظيفة، تخصّ الأمور المالية من الدخل والخرج في دار الخلافة[5].

وبرزت في أواسط العصر العبّاسي 290هـ - 320هـ/902م- 932م أعداد كبيرة من الجواري والقَهْرَمَانات داخل البلاط العبّاسي، يقمن بخدمة زوجة الخليفة، أو الخليفة شخصياً، أو لأم الخليفة، وفي بعض الحالات، كن يتواجدن جميعهن في قصر الخليفة معاً[6].

فكان للقَهْرَمَانة الحقّ في الدخول والخروج من دار الخلافة والاتصال بالناس، بموجب طبيعة وظيفتها، وفيما عداهن لا تمتلك بقية الجواري هذا الحق، أو يمارسنه اللاتي فرض عليهن الحجاب والمنع من الخروج إلا في حالات استثنائية نادرة [7].

1- غريغوريس المطلي المعروف بابن العبري (ت 680 هـ/1281 م): تاريخ مختصر الدول (بيروت: مط الحياة، 1960)، ص63.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص، ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ج2، ص130.

3- ابن طيفور: تاريخ بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسي، ص114، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص71.

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص28، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص74.

5- عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي بن كثير (ت 774 هـ/1372م): البداية والنهاية (القاهرة: مط بولاق، 1962)، ج8، ص81.

6- شهاب الدين أحمد بن محمد الأبشيهي المحلي (ت 850 هـ/1466م): المستطرف من كل فن مستظرف (القاهرة: مط دار الفكر، 1965)، ص15.

7- أبو العبّاس أحمد القلقشندي (ت 821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة: مط بولاق، 1912) ،ج2، ص74.

ونتيجة لذلك، أصبح للجواري في العصر العبّاسي شأن عظيم ومنزلة عليا، لم تشغلها الحرائر في العصر العبّاسي، لاسيما ما يخصّ تدخّلهن في الأمور السياسية والإدارية، فضلاً عن وظيفتها المالية [1].

وحقيقة الأمر الواقع أن الجواري والقَهْرَمَانات لم يبلغن هذه المكانة وتلك المنزلة في دور الخلفاء العبّاسيين إلا بعد الجد والجهد والتربية والتعليم والتلقين والصقل والتهذيب؛ لكي يتفقّهن في العربية [2]، لكي يحفظن نوادر الأحاديث وفرائد اللغة وأمالي المجالس وشارد الأشعار، ثم إنهن برعن في إظهار مفاتنهن، والفخر بما لديهن؛ لكي تكون الجارية الأولى لدى الخلفاء، فضلاً عن توفير بهجة الروح ومنبه النفس لهم، كما أن طبيعة الجواري أن يقبل عليهن الشباب والشيوخ [3]، حتى أُلِّفت عنهن كتب كثيرة؛ من ضمنها (رسائل القيان) للجاحظ، وكتاب (القينات) لإسحق بن إبراهيم الموصلي، وكتاب (القينات) للمدائني، وكتاب (القينات) ليونس بن سليمان المغني [4]، علماً أنه من بين هذه المصنّفات الرائدة لم يصل إلينا غير رسائل الجاحظ.

وكثرت الجواري والقَهْرَمَانات في عصر الخليفة المقتدر بالله (295-230هـ/907-923م) في قصر الخلافة، مما فسح المجال أمام تدخل أصابعهن في أمور الدولة، على الرغم من أن وظيفتهم الحقيقية كانت لا تتجاوز الأمور المالية من الدخل والخرج في دار الخلافة [5]، إمّا لضعف الخليفة شخصياً، أو لأن أمور دولته تُدار بآراء النساء، والحقيقة - أيضاً - أن تدخّل الجواري والقَهْرَمَانات كان يزداد، ويقلّ، أو يكثر ويضعف تبعاً لشخصية خليفة الوقت الحاكمة، وحسب ميله للهو والمرح، أو ابتعاده عنه والتقرّب إلى الدين [6].

1- أبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي (ت 346هـ/957م) كمروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: مط النوار ،1965)، ج 2، 112.

2- أبو الحسن علي بن محمد حبيب البغدادي الماوردي (ت 450 هـ/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة: مط المعرفة، 1967)، ص49.

3- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ/1505م): تاريخ الخلفاء (القاهرة: مط السعادة، 1959)، ص325.

4- محمد بن إسحاق بن النديم (ت بعد 390 هـ/1000م): الفهرست (القاهرة: مط المعرفة، 1972، ج2، ص215.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص31، ابن كثر: البداية والنهاية، ج6، ص82.

6- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ/868م): البيان والتبيين (القاهرة: مط، الفتوح 1968)، ص91.

أما اذا كان الخليفة شخصاً سياسياً محنّكاً، كالخليفة أبي جعفر المنصور، فنجده يحرّر دار الخلافة من نفوذهن، ويبعد الجواري عن العاصمة [1]، ومثلما سنلاحظ أن هذا حصل لمرات عديدة، وبمدد مختلفة.

ومما يعقّد عملنا الدراسي بعض الشيء أن بيع القَهْرَمَانات في أسواق النخاسة كان لا يتم نسقاً واحداً، فيما نجد منهن مَن يُبعن على أنهن قَهْرَمَانات قلباً وقالباً [2]، نجد قسماً آخر منهن كنّ يُعرضن كجوارٍ، بداية، ثم يتحوّلن إلى قَهْرَمَانات للقصر، على حسب كفاءتهن ونشاطهن داخل البلاط العبّاسي، والأهم مدى تقرّبهن من الخليفة، أو أمّ الخليفة على نحو ثمل القَهْرَمَانة أيام الخليفة المقتدر بالله (295-320 هـ/907-932م) [3]، فيما عدا ذلك، تميّزت القَهْرَمَانة عن غيرها من الجواري بلبسها الخاص، وبطريقة دخولهن وخروجها من دار الخلافة.

كما أصبحت لبعض من هذه القَهْرَمَانات جوارٍ، يقمن بخدمتها، وتلبية طلباتها [4]، وتقول المصادر إن الناس كانت تهاب وتحترم قَهْرَمَانات الخليفة، بما في ذلك أن بعضاً منهن أصبح لهن طبيب خاص لمداوتهن ولمعالجتهن [5].

تتكوّن هذه الرسالة التي تحمل عنوان (دور الجواري والقَهْرَمَانات في دار الخلافة العبّاسية) من خمسة فصول ومقدمة وخلاصة وملحقين، فضلاً عن قائمة بالمصادر الأساسية والمراجع الحديثة، فقد بحثت في:

الفصل الأول: المبحث الأول: بعض المفاهيم الخاصة بالجواري والقَهْرَمَانات في العصر العبّاسي، وتتمثل بـ: الجارية، والقَهْرَمَانة، والغلمان، والحظية، والسراري، والرقيق،

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص31 ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص116.

2- ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ج2، ص65 ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج6، ص83.

3- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1070م): تاريخ بغداد مدينة السلام، تحـ: محمد حامد الفقي (القاهرة: مط السلفية، 1931)، ج6، ص75.

4- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ/1247م): سير أعلام النبلاء (بيروت: مط الأفكار، 1975)، ج10، ص181.

5- أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت 429/1037م) لطائف المعارف (القاهرة: مط السلفية، 1960)، ص71، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، مج 2، ص48، الأبشيهي: المستطرف، ص66.

والقيان، والخدم. المبحث الثاني: الأوضاع العامة للجواري والقَهْرَمَانات في العصر العبّاسي منذ (132-656هـ/749-1258م) تضمن أولاً: الوضع العام للجواري والقَهْرَمَانات في الدولة العبّاسية، بشكل عام، وكيفية وصول الجواري إلى الدولة العبّاسية من أسواق الرّقّ، ومن أي مصدر كان مجيئهم، وأصول هذه الجواري وأعدادهن في البلاط العبّاسي، والحالة المعيشية للجارية في المجتمع العبّاسي، والصفات الرئيسة للجواري في دور الخلافة العبّاسية، وأهم الأماكن لبيع الجواري، ومقدار قيمتهن.

وشمل الفصل الثاني: الجواري والقَهْرَمَانات في عهود الخلفاء العبّاسيين الأوائل 132-218هـ/749-833م)، وتمثل بـ:

أولاً: دور جواري وقَهْرَمَانات الخليفة أبي العبّاس السفاح (132-136هـ/749-753م).

ثانياً: دور جواري وقَهْرَمَانات الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ/753-779م) متمثلاً بـ: 1. هيلانة القَهْرَمَانة، 2. ريسانة القَهْرَمَانة.

ثالثاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة محمد المهدي (158هـ/169هـ/774-785م) شمل: 1. دور الجارية الخيرزان 2. الجارية أمّ علي 3. الجارية بختيار 4. الجارية شكل 5. الجارية مكنونة 6. الجارية بصبص، وكذلك جواري الخيزران، فتمثل بـ 1. الجاريتين خولة وحسّانة 2. وكذلك عتبة وخالصة 3. فضلاً عن الجارية حسنة، والقَهْرَمَان واضح.

رابعاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة موسى الهادي (169-170هـ/785-786م) 1. الخيزران وابنها 2. الجارية غادر، وغيرهن.

خامساً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة هارون الرشيد (170-193 هـ/808 813-م) شمل: 1. دور الخيزران والرشيد، 2. القَهْرَمَانة هيلانة، 3. الجارية غضيض، 4. الجارية فتينة، 5. الجارية ذات الخال.

سادساً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة الأمين (193-198هـ/808-813م)، شمل 1. دور الجارية بذل، 2. الجارية والشاعرة عريب، 3. الجارية فريدة الكبرى، 4. الجارية ضعيف.

سابعاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المأمون (198-218هـ/813-813م) شمل:
1. دور الجارية عريب، 2. والجارية بدعة، 3. والجارية مؤنسة المأمونية.

أما الفصل الثالث؛ فقد تناول: جواري وقَهْرَمَانات الخلفاء العبّاسيين في عصر هيمنة الأتراك (218-279هـ/833-892م)، وشمل:

أولاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-841م) كل من:

1. الجارية قرة العين المعتصمية، 2. الجارية سكنة.

ثانياً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة الواثق بالله (227-232هـ / 846-861م)، ويغطي:
1. دور الجارية فريدة الصغرى، 2. الجارية شارية.

ثالثاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المتوكل (232-247هـ/846-861م)، ويغطي:
1. دور الجارية قبيحة، 2. الجارية إسحق، 3. بنان، 4. الجارية فضل الشاعرة، 5. الوصيفة محبوبة، 6. الجارية ناهب، وتناول - أيضاً - أولاد المتوكل: كل من المنتصر بالله (247-255هـ/861-862م)، والمستعين بالله (248-252هـ/862-866م)، والمعتز بالله (252 255-هـ/866-868م).

رابعاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/868-892م)، ويغطي: 1. دور الجارية نبت، 2. الجارية خلافة، سمية بعصر هيمنة الأتراك، وذلك لكثرة استخدام الأتراك في مؤسسات الدولة ودور الخلافة من الجواري.

اختص الفصل الرابع: العصر الذهبي للجواري والقَهْرَمَانات في العصر العبّاسي، وشمل:

أولاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المعتضد بالله (279-289هـ/892-901م).

ثانياً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المكتفي بالله (289-295هـ/901-907م).

ثالثاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)، وتمثل بـ:

1. دور الجارية شغب في تعيين وعزل الوزراء، مثل الوزير علي بن الفرات وعلي بن عيسى والوزير الخاقاني وابنه مقلة، مع أن بعضهم تولّى الوزارة أكثر من مرة، وانتهى الأمر بهم إلى السجن ومصادرة أموالهم كلها جميع الأموال.

2. فاطمة القَهْرَمَانة، 3. أمّ موسى القَهْرَمَانة الهاشمية، 4. ثمل القَهْرَمَانة، 5. زيدان القَهْرَمَانة، 6. الجارية دستينويه، 7. الجارية دمنة. وقد تم تسمية العصر الذهبي للجواري والقَهْرَمَانات لكثرتهن داخل البلاط العبّاسي، ونشاطاتهن التي كانت واسعة في مجالات مختلفة من حريم دار الخلافة.

أما الفصل الخامس؛ فقد أبرز دور الجواري والقَهْرَمَانات خلال عصري الهيمنة البويهية والسلجوقية، ويستعرض:

أولاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المستكفي (333-334هـ/944-945م)، وهو عصر الهيمنة البويهية على المؤسسات الإدارية للدولة العبّاسية، ولاسيما على الخليفة شخصياً. وتمثل بدور عَلَم القَهْرَمَانة.

ثانياً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المطيع لله (334-363هـ/945-973م).

ثالثاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة الطائع لله (363- 381هـ/973-1002م).

وتمثل بدور:

1) الجارية عاتكة المخزومية.

2) الجاية عابدة بنت محمد الجهنية.

رابعاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة القادر بالله (381-422هـ/1002-1030م).

خامساً: جواري وقَهْرَمَانات القائم بأمر الله (422-467هـ/1030-1074م).

وهو عصر الهيمنة السلجوقية، لأن السلاجقة دخلوا بغداد، وسيطروا على زمام الأمور في الدولة العبّاسية والمؤسسات الإدارية والعسكرية، وتمثل بدور:

1) الجارية قرة العين أرجوان.

2) صلف القَهْرَمَانة.

3) وصال القَهْرَمَانة.

سادساً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المقتدي بأمر الله (467-487هـ/1074-1094م).

سابعاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المستظهر (487-512هـ/1094-118م).

ثامناً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المسترشد بالله (512-529هـ/1118-1134م)، والراشد بالله (529هـ - 1134م).

تاسعاً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المقتفي لأمر الله (529-555هـ/1134-1160م).

عاشراً: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المستنجد بالله (555-566/1160-1170م).

أحد عشر: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1179م)، تمثل بدور 1. الجارية بنفشا، 2. الجارية شرف.

اثنا عشر: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م)، تمثل بدور:

1) حدق القَهْرَمَانة، 2) ست النسيم القَهْرَمَانة.

ثلاثة عشر: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة الظاهر لدين الله (622-623هـ/1225-1226م)، تمثل بدور:

1) الجارية حياة.

2) الجارية جوهر.

أربعة عشر: جواري وقَهْرَمَانات الخليفة المستنصر بالله (623-640هـ/1226-1242م)، ويبرز دور:

1) الجارية شاهان.

2) الجارية هاجر.

خمسة عشر: جواري خليفة المستعصم (640-656هـ/1242-1258م)، ويبرز دور: الجارية باب بشير.

وتمثل هذه الدراسة مفصلاً عن الجواري والقَهْرَمَانات جميعاً اللاتي دخلن وعشن في البلاط العبّاسي، وحسب التسلسل الزماني والمكاني في الخلافة العبّاسية.

تحليل المصادر

استعانت الباحثة في إعداد هذا البحث بمصادر كثيرة ومتنوعة، ذات أهمية بالغة، ولعل من الإنصاف البدء بكتب الحوليات؛ لأنها توفر مادة البحث الأساسية من حيث التسميات والأهمية والنفوذ، وهي على النحو الآتي:

أولاً: كتب الحوليات:

1) كتاب شيخ المؤرخين الطبري: تاريخ الرسل والملوك بثلاث طبعات (دمشق، وبيروت، القاهرة) [1]، يبدأ في سرد الحوادث من (الخليفة حتى سنة 302هـ/914م)، وعلى الرغم من أن الطبري لم يسرد إلا مدة قصيرة من تاريخ الخلفاء العبّاسيين، إلا أنه أورد نصوصاً ضمن جوانب مهمّة من حياة الخلفاء العبّاسيين وحياة الجواري والقَهْرَمَانات داخل البلاط العبّاسي؛ إذ كان الطبري معاصراً للأحداث التي حصلت في بداية عهد المقتدر بالله 295 هـ/907م؛ مثل انقلاب ابن المعتز، إلا أنه التزم الصمت تجاه هذه الحادثة المهمّة، ودور الجواري والقَهْرَمَانات في عودة المقتدر إلى الخلافة عقب الانقلاب الفاشل.

2) تكملة تاريخ الطبري: لمحمد بن عبد الملك الهمداني (ت 521هـ/1127م). وقام بتحقيق الكتاب ألبرت يوسف كنعان، الطبعة الثانية، طبعة بيروت، وقد استفدتُ منه في الفصلين الرابع والخامس.

3) وأفادت الرسالة من مصنّف تاريخ اليعقوبي لمؤلفه أحمد بن واضح اليعقوبي (284 هـ/897 م)، والذي وردت فيه معلومات كثيرة عن الخلفاء العبّاسيين

1- طبعة دمشق، سنة 1951، وطبعة بيروت، سنة 1968، أما طبعة القاهرة؛ فهي سنة 1929.

الأوائل، ووصفه للخليفة والجواري معيشتهم وأحوالهم الاجتماعية والإدارية. فكانت معلومات اليعقوبي عوناً كبيراً لنا في تطوير محتويات الفصل الثاني والثالث.

4) ويُعدّ كتاب تجارب الأمم لمؤلفه أحمد بن محمد مسكويه (ت 421هـ/1030م) كنزاً، لا يمكن الاستغناء عنه، فهو من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في كل فصول البحث المتتابعة، ولاسيما في الأمور المالية الي تختص بها القَهْرَمَانات، والشؤون الاقتصادية مصدر قوتها وضعفها، وكذلك تأثير الوزراء والكتّاب في أمور الدولة العامة، فقد أسهب مسكويه في سرد معلومات طريفة عن تنافس الوزراء ومصادراتهم التي تتم بأيدي الجواري والقَهْرَمَانات، ومحاولة الوزراء إرضاء هذه القَهْرَمَانة، أو تلك، ليرضى عنه الخليفة. وكثيراً ما كان مسكويه ينبري لإبراز دور النساء من الجواري والقَهْرَمَانات، وتأثيرهن في الخليفة والوزراء وقادة العسكر، ومما يزيد من قيمة المعلومات التي أوردها في تجارب الأمم كونه عاش قريباً من الأحداث.

5) ويضم كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لمؤلفه أبي الحسن علي بن علي المسعودي (ت 346هـ/956م) معلومات هامة جداً عن التداخل الموجود في حياة الخلفاء العبّاسيين، وعمل القَهْرَمَانات والجواري تكون المادة الأساسية لثلاث فصول من الدراسة، وهي تكملة لبقية المصادر، ولا يقل كتاب التنبيه والإشراف أهمية عن مروج الذهب، إلى حد أنه أضاف نصوصاً جديدة من القَهْرَمَانات والجواري، ونرى صاحب كتاب التنبيه والإشراف كان مدفوعاً بعوامل حسنة، فضلاً عن أن المسعودي كان معاصراً لأكثر الأحداث التي ثبتت في العصر العبّاسي، إلى وقت وفاته في 346 هـ/957 م.

6) إن أهمية كتاب المنتظم في أخبار الملوك والأمم لأبي فرج عبد الرحمن أبن الجوزي (ت 597 هـ/ 1201 م)، في أنه يحوي معلومات لمصادر متفرقة عن بغداد، لم تصل إلينا، فبعض منها أيام البويهيين والسلاجقة وموافقة الخلفاء

وأتباعه منهم، ومن بين الجواري والقَهْرَمَانات بقصر الخلافة المعظمة، واحتوى الكتاب على نصوص، تلقي بعض الضوء على الأحوال الاجتماعية للعبّاسيين غير أن ابن الجوزي كان يستعمل - بعض الأحيان - الكلمات العامية، فضلاً عن كتاب المنتظم، وقد استفدتُ - تقريباً- من أكثرية مؤلفات ابن الجوزي؛ أمثال كتاب تلبيس إبليس، وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين، وكتاب مناقب بغداد، وكتاب صفة الصفوة، وأخيراً كتاب ذمّ الهوى.

7) كتاب الكامل في التاريخ لمؤلفه علي بن أبي الكرم ابن الأثير (ت630هـ/1232م) فيه أخبار كثيرة عن الخلفاء العبّاسيين، وعن أحوالهم المعيشية داخل قصورهم، وذكر الكثير من الجواري والقَهْرَمَانات.
ويُعدّ كتاب الكامل في التاريخ نقلاً عما سبقه من المؤرخين أمثال الطبري (القرون الثلاثة الأولى) والمسعودي وعريب ومسكويه وهلال الصابي وغيرهم، ولكنه كان يضيف - في بعض الأحيان، على تلك الروايات - معلومات مهمّة من مجموعاته الخاصة؛ إذ تظهر فيه أهمية الكامل في التاريخ.

8) وجدنا في كتاب (الفخري في الأحكام السلطانية) لمؤلفه محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت 709هـ/1309م) الكثير من النصوص؛ لإغناء البحث عن الجواري في كل قصر من قصور الخلفاء وأحوالهن وأثمانهن عن طريق تراجم الوزراء التي وردت.

9) وتضمّن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل ابن علي (ت 732 هـ/ 1331 م)، الذي كان نهجه يقترب من كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير فصلين من البحث، استفدتُ من المختصر.

10) أما كتاب (البداية والنهاية) لابن الأثير (ت774هـ/1372م)، وهو عماد الدين أبو الفداء، وقد استفدتُ منه كثيراً للمدة التي تخص حوادث التاريخ العبّاسي والتراجم التي يوردها مع حوادث السنة المعنية.

11) أما كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لابن خلدون (808هـ/1405م) أربعة مجلدات، طبعة بيروت، وسبعة أجزاء، طبعة القاهرة، وقد استفدتُ منه في ثلاثة فصول من البحث، وقد أحاط بعصر الخلفاء العبّاسيين في كثير من الجوانب، أفادني الجانب الاجتماعي كثيراً في أكثرية الفصول، وبحُكم بُعده عن العصر العبّاسي، لابد أنه استفاد من المؤرخين الذين سبقوه.

12) وكتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لشمس الدين المعروف بسبط ابن الجوزي (ت 654 هـ/1256م)، لاسيما الجزء الذي يخص الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة بين السنوات (448-479 هـ/1056-1086م)، واستفدتُ منه كثيراً، فله أهمية خاصة؛ لأنه يعتمد - مباشرة - على مصنف غرس النعمة لمحمد بن هلال الصابي (ت 480هـ/1087م) صاحب عيون التواريخ، والذي يعتمده، وأشار إشارات واضحة على بعض الجواري والقَهْرَمَانات اللاتي يعملن في العصر العبّاسي المتأخر.

ثانياً: ـ كتب التراجم:

1) كتاب الفهرست لمؤلفه أبي الفرج محمد يعقوب ابن النديم (ت390هـ/1000م)، تضمّن الكثير من عناوين الكتب وأسماء المؤرخين الذين يشكّلون الأمور الإدارية للدولة، وذات صلة بقصر الخلافة.

2) وكتاب تاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيب البغدادي (ت463هـ/1070م)، والذي فيه ترجمة لأكثرية الخلفاء العبّاسيين، ولأسماء الكثير من الجواري والقَهْرَمَانات، ولاسيما الأجزاء الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة.

3) تضمن كتاب وفيات الأعيان في انباء أنباء الزمان لابن خلكان (ت681هـ/1282م)، والذي فيه تراجم ووفيات الأغلبية من خلفاء العبّاسيين وأعيان الدولة، واستفدتُ منه في ثلاث فصول من البحث.

ثالثاً: كتب الأدب:

1) من بين كتب الأدب التي عالجت أحداثاً مهمّة في العصر العبّاسي بشكل قصص وحكايات مثل الجاحظ في مجموعة من كتبه: الأول هو كتاب الرسائل، ولاسيما أبواب رسائل القيان، وباب الفاخر بالجواري والغلمان، والثاني كتاب الحيوان، والثالث التاج في أخبار الملوك والرابع.

2) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني بثلاث طبعات (القاهرة، وبيروت، ودمشق)، وهذا الكتاب بأجزائه الخمسة والعشرين، لا يمكن الاستغناء عنه، والتي تعالج الأمور الاجتماعية في ثلاث فصول من هذا البحث.

3) أما نشوار الحضارة وأخبار المذاكرة للتنوخي (ت384هـ/994 م)، فهو مهم، كونه أشار إشارات واضحة إلى الجواري والقَهْرَمَانات في عصر الخلفاء العبّاسيين الأوائل، واستفدتُ منها في الفصلين الثاني والثالث. وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد، ويضم نصوصاً كثيرة عن الجواري والقَهْرَمَانات في عهد الخليفة هارون الرشيد والأمين والمأمون، استفدتُ منه في الفصل الثاني.

4) كذلك كتاب ديوان عبد الله المعتز، وقد أخذتُ منه الكثير من الأشعار، وتُبيِّن خلالها أهم الأحداث التي حدثت في عهد أغلبية الخلفاء العبّاسيين، ولاسيما في عهد الخليفة المقتدر بالله، وأفادني في الفصل الرابع.

خامساً: كتب الجَغرافية والبلدان:

1) كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626 هـ/1228م)، ولاسيما طبعة بيروت ودمشق، وقد استفدتُ منه في فصول البحث جميعاً، والذي لا يستغني أي باحث في بحثه عن معجم البلدان.

2) البلدان لليعقوبي الذي أسرد الكثير من من أسواق بغداد وسامراء، وقد أغنى بحثي بنصوص مهمّة، والذي كان عوناً لهذا البحث في الفصول الأربعة.

3) وكذلك كتاب المسالك والممالك للاصطخري (ت346هـ/957م)، هو الآخر أفادني كثيراً في تراجم بعض المواقع والمواطن التي لم تكن معروفة، وأفادني في الفصلين الثاني والثالث.

كتب الكتّاب والوزراء:

1) كتاب الوزراء أو تحفة الأمراء لأبي هلال الصابي (ت448هـ/1056م) الذي فيه معلومات مهمّة عن الخلفاء العبّاسيين ووزرائهم وقادة العسكر، وعلاقاتهم بالجواري والقَهْرَمَانات. ويُعدّ كتاب الصابي من الكتب المهمّة والنادرة التي تبحث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وبدقّة متناهية، عن أحوالهم داخل القصور العبّاسية، وقد أفادني في أربعة فصول من البحث.

2) كتاب الأوراق وأخبار الراضي من سنة 322 – 333 هـ/933 – 944 م، وقد استفدتُ منه في فصلين من البحث الثالث والرابع، لما فيه من نصوص مهمّة.

3) و تضمّن كتاب الوزراء والكتّاب لمؤلفه الجهشياري (ت 331 هـ/941 م) لما فيه من أسماء وتراجم الكتّاب والوزراء، ولاسيما في العصر العبّاسي، وقد أفادني في فصول البحث جميعاً.

وهناك الكثير من المصادر والمراجع والمخطوطات والدوريات والبحوث التاريخية والمصادر الثانوية التي استعنتُ بها في كتابة هذا البحث المتواضع، يمكن التعرف عليها بشكل أدقّ ومفصّل من خلال قائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأوّل

الأوضاع العامة للجواري والقَهْرَمَانَات في الدولة العبّاسية

المبحث الأوّل:
(بعض التعابير الخاصة بالجواري والقَهْرَمانَات في العصر العبّاسي)

لابد من تحديد بداية المفاهيم والتعابير والتسميات المتداولة في المصادر العبّاسية حتى يمكن متابعة تلك التسميات، وخصوصياتها، للمدة قيد البحث، والتي استمر تداولها للعصور العبّاسية المتتابعة؛ لأن هذه التسميات تختلف مفاهيمها من عهد إلى آخر، ومن خليفة إلى آخر، ففي عهد الخلفاء العبّاسيين الأوائل كانت أشهر التعابير السائدة في حقل الجواري هي:

1. الجارية:

هو من أكثر التعابير شيوعاً في المصادر، ويغطّي عروقاً وأجناساً متعددة، وصلت إلى دار الخلافة، فالجارية في اللغة: هي الفتاة التي تُباع وتُشترى في سوق النخّاسين[1]، وقد جيء بها من البلاد البعيدة إلى دولة الخلافة[2]، مثل بلاد الترك، على نحو حالة الجارية شجاع أمّ الخليفة المُتوكِّل على الله (232 - 252 هـ/846 - 861 م)[3]، والجارية مخارق أمّ الخليفة المستعين بالله (248 - 252 هـ/862 - 866 م)[4]، والجارية زمرد خاتون زوجة المستضيء بأمر الله (566-575 هـ/1170-1179م)[5]، ومنها الحبشية، مثل الجارية فريدة الصغرى زوجة الخليفة المُتوكِّل (232 - 247 هـ/846 - 861 م)[6]، أو الرومية؛ مثل الجارية

1- لويس معلوف: المنجد، ص359؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، م1(القاهرة مط النهضة المصرية، 1963)، ص555.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص54؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص62 مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص7.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص55، ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص49؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص4.

4- الأبشيهي: المستطرف، ص31؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص140؛ الوشاء: الموشي، ص19.

5- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص65؛ السراج القارئ: مصارع العشاق، ص119 أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص25

6- أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن أبي بكر المعروف بابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تح: مُحمّد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مط السعادة، 1948)، ج1، ص190.

قبيحة أمّ الخليفة المعتز بالله (252 - 255 هـ/866 - 868 م)[1]، والجارية بنفشا زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله (566 - 575 هـ/1170 - 1179م)[2]، ومنها الأرمنية، مثل الجارية قرة العين أرجوان أمّ الخليفة المقتدي بأمر الله (467-487هـ/1074-1094م)[3]، وغيرهن إلى بغداد؛ ليسكنوا في البيوتات العبّاسية، فضلاً عن ذلك، فإن الجارية التي تُنجب للخليفة ولداً، يُطلق عليها (أمّ ولد)، أما الحرة؛ فتُدعى بأم البنين[4].

2. القَهْرَمَانَة:

هي لون من ألوان الجواري في المجتمع العبّاسي[5]، مع أنها أرفع منزلة وشأناً في شريحة الجواري التي تنتمي إليها، لأن هذه التسمية كانت استُعملت للإشارة إلى الوظيفة التي تخصّ الأمور المالية من الدخل والخرج في البلاط العبّاسي [6].

والحقيقة أن النصوص المتوافرة لدينا تُرجّح استعمال هذا التعبير إلى العصر الراشدي [7]، مع أن تأرجح التسمية بين النساء والرجال إلى وقت غلبة الصفة الأولى عليها في العصر العبّاسي [8]، ونجد تعدّد وظيفة القَهْرَمَانَة عند بعض الخلفاء، فضلاً عن وظيفتها الأصلية، مثل مبايعة الخليفة، كما فعلت القَهْرَمَانَة عَلَم للخليفة المستكفي

1- ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص75؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص135؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص19.

2- مجد الدين عمر بن الحسن بن علي المعروف بذي النسبين ابن دحية، والحسين هو ابن دحية: النبراس في تاريخ خلفاء بنـي العبّاس، تح: عبّاس العزاوي: (بغداد: مطـ، دار المعارف 1964) ج2، ص109.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص125؛ المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص181؛ الوشاء: الموشي، ص22.

4- ابن عبد ربّه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن مُحمّد (ت328هـ/940م): العقد الفريد، تح: مُحمّد سعي العريان (القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1953)، ج، ص ؛ المرنيسي: فاطمة: السلطانات المنسيات نساء رئيسات في الإسلام، ترجمة عبد الهادي عبّاس وجميل معلى، ط2 (دمشق: دار الحضارة للنشر والتوزيع، 1998)، فاطمة المرنيسي ، ص67 ومابعدها.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص67؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص81؛ عبد العزيز الدوري، العصر العبّاسي الأوّل، ص74.

6- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص79؛ الأبشيهي: المستطرف، ص88؛ لويس معلوف: المنجد، ص659.

7- يحيى بن آدم القرشي: الخراج، ص43؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص112؛ ماجد عبد المنعم: العصر العبّاسي الأوّل، ص63.

8- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص68؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص171؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص84.

(333-334هـ/ 944-945م)[1]، ومنهن مَن جلسن للمظالم؛ مثل القَهْرَمَانَة ثمل في خلافة المقتدر بالله (295 - 320 هـ/907 - 932م)[2] وغيرهن.

3. الغلمان:

مفرد (غلام)، هم الذين يشكّلون طبقة الجند من العسكر، وهم - عادة - من أصول تركية[3]، لكن التعبير - هنا - هو لون من ألوان الجواري اللاتي ظهرن في العصر العبّاسي[4]، ويُراد بهن الجواري من الفتيات الصغار اللاتي لم تتجاوز أعمارهن العشرين سنة[5]، يحلقن رؤوسهن كالصبيان، ويرتدين ملابس الغلمان [6].

ويرجع سبب استخدام الغلمان في البلاط العبّاسي إلى شيوع ظاهرة الحجاب، لأنه كان من غير الممكن جلب الغلام الصبي للعيش داخل البيوت مع الحريم[7]، وهناك أميرات عبّاسيات تشبّهن بالغلمان، أمثال الأميرة بانوقة ابنة الخليفة المهدي (158-169هـ/ 774-785م)[8]، وكانت تخرج مع والدها في الفتوحات والرحلات، ولاسيما إلى البصرة، وهي بزي الغلمان[9].

وأصبح الناس في العصر العبّاسي يتهادون بالغلمان (من غير الجند من الذكور)؛ مثل والدة جعفر البرمكي، كانت قد أهدت لابنها جعفر مائتين من الغلمان[10]، كما أن

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص69؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص82؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص245.

2- الصابي: الوزراء، ص71؛ الجهشياري: الكتاب والوزراء، ص125؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص62.

3- المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص51؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص83 الوشاء: الموشي، ص22.

4- رينهارت دوزي: المعجم المفصل بأسماء ملابس عن العرب، تر: أكرم فاضل (بغداد: مط دار الحرية، 1971)، ص292.

5- السراج القارئ: مصارع العشاق، ص235؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص237؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص21.

6- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج7، ص38، دوزي: المعجم المفصل، ص293؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص25.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص69، ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص77؛ الوشاء: الموشي، ص24.

8- بانوقة: هي تسمية فارسية تعني الأميرة الصغيرة الجميلة، يُنظَر: أحمد رضا: معجم متن اللغة، م 4 (بيروت: مط: دار الحياة، 1960)، ص668.

9- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص119؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص195؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص25.

10- شهاب الدين بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ/1332م): نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة الكتب المصرية، 1975)، ج4، ص207.

السيدة زبيدة زوجة الرشيد (170 - 193 هـ/786 - 808 م) أهدت لابنها الأمين (193-198هـ/808-813م) ثلاثمائة من الغلمان المكللين بالجواهر النفيسة الغالية[1].

4 ـ الحظية والحظايا:

وهي الجارية التي تبرز وتتميّز عن بقية أقرانها من الجواري[2]، سواء لجمالها، أو لصنعتها[3]، أو لصفة جميلة متميزة بها، يربو لها شخص الخليفة، فتأخذ شكل الحظية، وفي مثل هذه المنزلة، تكون قريبة منه، ومُحبَّة لديه[4].

ويُلاحظ أن الحظية - في أكثر الأحيان - تصبح زوجة الخليفة وأم لأولاده مستقبلاً، ولهذا؛ نجد أن أكثرية زوجات الخلفاء هن من الجواري المحظيات[5].

وكان بعض الخلفاء يهدون محظياتهم هدايا كثيرة، على الرغم من عدم اتخاذهن كزوجات [6]، مثل: القَهْرَمَانَة زيدان التي أهداها الخليفة المقتدر بالله (295-320 هـ/907 - 932م) [7] سبحة ثمينة مكوّنة من ست وثلاثين حبة لؤلؤ، وتقدر - في حينها بمائة ألف دينار [8]، ولدينا معلومات تدل على أن بعض الخلفاء كانوا يستشيرونهن في أمور زواجهم أو زواج بناتهم؛ مثل استشارة الخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ/1030-1074م)[9] المحظية وصال، بشأن زواج ابنته من السلطان السلجوقي (طغرل بك) سنة 452هـ/1059م. كما أن موت المحظية يوقع الحزن بالخليفة، وقد يعمد إلى رثائها بأبيات من الشعر، أو

1- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص18، الذهبي: العبر، ج2، ص81؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص275.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص71؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9 جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج5، ص38.

3- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص61؛ الأصفهاني: الأغاني، ج1 ص74؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص67.

4- الصابي: الوزراء، ص145؛ الصولي: الأمالي، ص85؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6 ص65؛ السيوطي: المستطرف، ص22.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص72؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5 73؛ رمزية الأطرقجي: الحياة الاجتماعية، ص60.

6- الجاحظ، رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص62؛ الوشاء: الموشي، ص25، الأبشيهي: المستطرف، ص72.

7- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7 ص112، ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص275؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص447.

8- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص89؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص51؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص78.

9- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص179؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10 ص290؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص78

يجلس للعزاء [1]، على نحو ما يُذكر بشأن الخليفة الرشيد (130-193هـ/786-808م) عند موت جاريته هيلانة [2]، وأصبح لكل خليفة عبّاسي أكثر من محظية، فيما عدا أبو العبّاس السفّاح (132-136هـ/749-753م) والخليفة المهتدي بالله (255-256هـ/868-869م) [3].

مال الخلفاء إلى الإكثار من محظياتهم، فيزداد عددهن[4] إذا كان محبّاً للهو والترف[5]، أو العكس إذا كان سياسياً محنكاً قوي الشخصية[6]، أو كان ذا توجّهات دينية وأخلاقية صارمة [7].

5 ـ السراري:

يُقصد بها الجارية التي تُعزل في محل مستور من البيت [8]، وهو ما كان يلجأ إليه - عادة - الرجال الأثرياء في العصر العبّاسي [9] خوفاً من غيرة أزواجهم عليهم من الجواري الجميلات، فيتّخذن السراري غالباً [10].

1- الوشاء: الموشي، ص26؛ الأبشيهي: المستطرف، ص77؛ النويري، نهاية الأرب ج6، ص116.

2- من شعر الرشيد يرثي جاريته هيلانة:

قاسيت اوجاعا لما
استخص الموت هيلاناً
فارقت عيشي حين فارقتها
فما ابالي كيف ما كانا

يُنظَر، السيوطي، تاريخ الخلفاء ص295

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص74؛ البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص89؛ الدميري: حياة الحيوان، ج2، ص325.

4- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص27، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص91؛ فيليب حتي: تاريخ العرب، ص157.

5- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص170؛ ابن الطقطقي: الفخري ص43؛ جرجي زيدان تاريخ التمدن، ج5، ص32.

6- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص181؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ج2 ص74؛ ابن خلدون: العبر، ج2، ص168.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص75؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2 ص180؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص296.

8- جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، (ت711هـ/1311م): لسان العرب، ت: أمين مُحمّد عبد الوهاب ومحمد صادق (بيروت: مط إحياء الكتب، 1996)، ج5، ص94.

9- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5 ص166؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص81.

10- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص180؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3 ص95؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص30.

والحقيقة أن هذه الظاهرة كانت تظهر في عصر، وتختفي في آخر، حسب الظروف المحيطة بالخليفة، أو غيره، لذا؛ نجد أن بعض السيدات عندما كنّ يتزوجن بالخلفاء، يشترطن بعدم وجود الجواري والسراري معهن داخل البلاط[1]، على الرغم من أن هذه كانت تمنّيات أكثرهن، ولكن هذا مناف في للواقع مثل السيدة أمّ سلمة زوجة أبي العبّاس السّفّاح (132-136هـ/749-753)[2]، أو ابنة السلطان ملكشاه السلجوقي الخاتون زوجة الخليفة المقتدي (467-487هـ/1074-1094)[3].

6 ـ الرقيق:

هم الذين يعملون في قصور الخلافة [4]، ويقومون - عادة - بأعمال مختلفة، فمنهم يُقال لهم (الرسائلي)، الذي يتولى عملية نقل الرسائل[5] (والشرابي) الذي يختص بتقديم الشراب[6] (والحرمي)، الذي يُسمح له بالدخول إلى حرم الخلفاء [7]، وبعضهم الآحز كان يعمل حمّالاً وفرّاشاً، وكان لهؤلاء رئيس لمراقبتهم ومحاسبتهم [8]. لم يقتصر الرقّ على الذكور وحدهم، بل شمل الإناث أيضاً، كما واضح، وهناك من الأرقاء مَن يتخذهم الخليفة كخدم خاص له، أو كحارس خاص، وكانوا يلبسون الملابس المزركشة والمزينة داخل قصور الخلفاء [9].

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص77؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص188؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص297.

2- شمس الدين مُحمّد الذهبي (ت 748هـ/1347م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد (بيروت: مط الرسالة، 1918)، ج7، ص102.

3- الدينوري: الأخبار الطوال، ج2 ص233؛ ابن خلدون: العبر، ج2، ص275؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج4، ص75.

4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص74؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7 ص89؛ مصطفى جواد، سيدات البلاط، ص135.

5- ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص159؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3 ص95؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص30.

6- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص76؛ التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص191.

7- الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص211؛ الأبشيهي: المستطرف، ص91؛ السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص30.

8- ابن بطلان: رسالة جامعة، ص242؛ الوشاء: الموشي، ص34، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص81.

9- المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص75؛ الذهبي: مختصر تاريخ الإسلام، ص109؛ كوك: بغداد مدينة السلام، ص35.

يبدو أن أعداد هؤلاء الأرقاء الذين يعملون في خدمة دور الخلافة كانت كبيرة، ولكنّ؛ لم تصل إحصاءات بعددهم [1].

تُعنى الدولة العبّاسية بأمر الرقيق، وتقلّد عمالاً على أسواقه [2]، وقد راعى الفقهاء حقوقهم [3]، فجعلوا من حق الرقيق أن يشبع، وأن يُكسى، وأن لا يُكلَّف ما لا يطيق، وأن لا يسهر بالليل [4]، وفي كتب الحسبة، هناك شروط تتعلق بتجارة الرقيق [5]، حين شرطوا على أن يكون النخّاس ثقة وأميناً وعادلاً مشهوراً بالصيانة والفقه [6]، لأنه يستلم جواري الناس وغلمانهم، وينبغي ألا يسع لأحد جارية ولا عبد حتى يعرف المشتري أو يأتي بمّن يعرفه [7]. ولعل هذه الشروط لم تجد سبيلاً إلى الحياة العملية، طالما كان هَمّ الناس الأوّل والأخير هو الربح، ورواج البضاعة.

ونتيجة لشيوع رواج شراء الرقيق في العصر العبّاسي، أصبح لبعض التجّار شهرة واسعة، جاءت من وجود أنواع كثيرة من الرقيق والجواري الحسان عندهم[8]، فضلاً عن إقبال الشعراء والأدباء عليهم، ومن هؤلاء النخّاسين، عمرو بن أبي عمرو، وحرب بن عمرو الثقفي [9]. وقد برع التجّار في استعمال صنوف الحيل والخداع شتى في بيع الجواري [10]، ولهذا؛ وُضعت الكتب؛ لتحذير الناس من حيل النخّاسين عند شراء

1- وكيع: ألف ليلة وليلة، طبعة دمشق، ص86؛ المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص48 ابن القفطي: أخبار العلماء، ص82.

2- الشابشتي: الديارات، ص46؛ الشهرستاني: المِلَل والنِّحَل، ص85؛ الغزولي: مطالع البدور، ص41.

3- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص154؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص165، كوك: بغداد مدينة السلام، ص36.

4- ابن بطلان: رسائل الجامعة، ص245؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج2، ص43 السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص294.

5- مُحمّد بن أحمد بن بسام المحتسب (كان حيا سنة 844هـ): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: حسام الدين السامرائي (بغداد: مط دار الحرية، 1968)، ص127.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص76؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9 ص184؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص105.

7- أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، م2، ص93؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، 179؛ الذهبي: العبر، ص198.

8- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص193؛ البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص207، أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص32.

9- لم أعثر لهؤلاء النخّاسين على ترجمة في كتب التراجم سوى أنهم كانوا من اليهود، يُنظَر: السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص32.

10- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4 ص77؛ ابن بطلان: رسالة جامعة، ص246 الوشاء: الموشي، ص41.

الجواري، ووردت في الكتب وصايا، ينتفع بها شراء الرقيق، كما سمعت عن الحكماء والفلاسفة[1]، وهذه الوصايا هي:

الوصية الأولى: تُحذّر المشتري من المملوك الذي يذمّ مولاه، أو ينتقصه، ومعرفة سبب بيعه[2].

الوصية الثانية: تحذّر المشتري من المملوك الذي عُوِّد الضرب، وتحثّه السؤال عن صاحب المملوك عن سبب بيعه[3].

الوصية الثالثة: توحي الشاري بعدم أطماعه؛ لكي لا يطمع، وأن يُهذَّب من أول يوم، يدخل فيه البيت، وأن يُمنَع من الاختلاط بغيره من الرقيق؛ لكي لا يفسد [4].

الوصية الرابعة: هناك أمور يجب على المشتري معرفتها بالفراسة، من خلال مطالعة وجوه الأرقّاء، كصفات الرقيق الخُلُقية والنفسية، وذلك من خلال صوته وعينيه وكلامه [5].

7 ـ القيان:

في اللغة تدل على الإصلاح والتزيّن [6]، وإن القين يُصلح الأشياء، ويلمّها، ويجمعها، ويقال للمرأة المقينة، وهي التي تتزيّن[7]. وأصل المعنى هي الجارية المغنية؛ لأنها تتزيّن، وتعدّ نفسها للغناء [8]، ويقال إنها تعني مَن ريّاهن وأدبهن؛ فهو مقين [9]، هذه اللفظة لم تكن منتشرة في العصر العبّاسي، بشكل واسع، مثلما كانت سائدة في العصر الأموي.

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5 ص91؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص185؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص28.

2- المقريزي: السلوك، ص177؛ الذهبي: مختصر تاريخ الإسلام، ص110؛ كوك: بغداد مدينة السلام، ص37.

3- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص163؛ البلخي: البدء والتاريخ، ج4، ص51.

4- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص163؛ البلخي: البدء والتاريخ، ج4، ص51.

5- ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص81؛ الأبشيهي: المستطرف، ص76؛ العمري: مسالك الأبصار، ص146.

6- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص182؛ القرماني: أخبار الدول، ص91؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص105.

7- ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص210؛ لويس معلوف: المنجد، ص365؛ أحمد رضا: معجم متن اللغة، م 4، ص73.

8- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص94؛ ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة، ص187؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط، ص19.

9- الثعالبي: يتيمة الدهر، ص177؛ الأبشيهي: المستطرف، ص82؛ الوشاء: الموشي، ص36.

8 ـ الخدم:

هم العبيد كانوا سوداً، أو المماليك إنْ كانوا بيضاً [1]، ولا فرق بين الخادم الأبيض والأسود، طالما هو في حوزة شخص ما، والخدم سواء أَ كانوا رقيقاً وأحراراً، نساء ورجالاً، يعملون في خدمة الناس في بيوتهم، أو في خدمة الخليفة وحاشيته في دور الخلافة [2]، وقد ارتقى قسم منهم إلى مناصب عالية؛ مثل أمرة العسكر والحجابة؛ مثل: الغلام مؤنس المظفر، ومفلح الأسود [3].

1- ابن الطقطقي: الفخري، ص192؛ القلقشندي؛ صبح الأعشى، ج4، ص126؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص42.

2- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص195؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص162.

3- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص203؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص69؛ ماجد عبد المنعم: العصر العبّاسي الأوّل، ص58.

المبحث الثاني:
الأوضاع العامة للجواري والقَهْرَمَانَات في الدولة العبّاسية:

كانت الدولة العبّاسية دولة مترامية الأطراف، تشمل أقاليم المشرق المتعددة من دار السلام [1]، فيما امتدّت في الحكم لمدة خمسة قرون ونصف بين خلافة أبي العبّاس السّفّاح والمستعصم بالله (132-656هـ/749-1258م) [2]، كان قد حكم خلالها ستة وثلاثين خليفة، نذكر منهم (أبا العبّاس السّفّاح 132-136هـ/749-753م) [3]، وأبا جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م)[4]، ومحمد المهدي(158-169هـ/774-785م)[5]، وابنه موسى الهادي (169-170هـ/785-786م)[6]، وأخاه هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)[7] وأولاده الثلاثة هم: مُحمّد الأمين (193-198هـ/808-813م)[8]، وعبد الله المأمون(198-218هـ/813-833م)[9]، ومحمد المعتصم(218-227هـ/833-841م)[10]، والواثق (227-232هـ/ 841-846م)[11]، وبعده المُتوكّل (232-247هـ/ 846- 861م)[12]،

1- علي بن أحمد بن أبي الكرم ابن الأثير: (ت 630هـ): الكامل في التاريخ (الدوحة عن مطبعة بولاق القاهرة، 1985)، ج6، ص23.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص170؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص62.

3- لسترانج: بغداد في عصر الخلافة العبّاسية، ص70؛ ريجارد كوك: بغداد أو مدينة السلام (بغداد: مط بلا، 1966)، ص30.

4- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص76؛ جاك ريسلر: الحضارة العربية، تح: غنيم عبدون (القاهرة: مط دار الفكر، 1967)، ص137.

5- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ): تاريخ الخلفاء (القاهرة: مط النهضة/1975)، ص272.

6- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص279؛ أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرماني (ت 1019هـ): أخبار الدول وآثار الدول (بغداد: مط دار الحرية، 1960) ص35.

7- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص283؛ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الشيخلي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: مط دار الميسرة، 1979)، ج1، ص334.

8- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص297؛ إبراهيم علي حسن: التاريخ الإسلامي لعام (القاهرة: مط دار الفكر، 1972)، ص376.

9- السيوطي، المصدر نفسه، ص307؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص337 مصطفى جواد، سيدات البلاط، ص17.

10- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص359؛ السيوطي: المصدر نفسه، ص333 القرماني: أخبار الدول، ص87.

11- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ، ص115؛ السيوطي: المصدر نفسه، ص340؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص77.

12- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص43؛ السيوطي: المصدر نفسه، ص346؛ القرماني: أخبار الدول، ص97.

وتستمر الخلافة إلى المهتدي على الله (255-256هـ/868-869م)[1]، وبعده المُتوكِّل على الله (256-279هـ/869-892م)[2]، ثم المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)[3]، واستمر إلى الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258) [4].

ومثل هؤلاء الخلفاء، اشتُهر بعض منهم، بتشجيعهم واستخدامهم للجواري والقَهْرَمَانَات في قصور ودُور الخلافة، أمثال الخليفة مُحمّد المهدي (158-169هـ/774-785م)[5]، وابنه موسى الهادي (169-170هـ/785-786م)[6]، ثم الخليفة الشهير هارون الرشيد صاحب ألف ليلة وليلة (170-193هـ/786-808م)[7]، والمتوكل على الله، وقصور دار الخلافة الجديدة في سامراء والمتوكلية (232-247هـ/846-861م)[8]، وكذلك المعتضد بالله (279-289هـ/892-910)[9]، وبشكل اوسع في عهد المقتدر بالله (295-320هـ- 907-932م)[10]، والمعروف من خلال والدته شغب (ت 321هـ/933م)[11] فضلاً عن المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1179م)[12]، وأشهرهم الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258م) [13].

1- أبو حنيفة أحمد بن داود أحمد بن داود الدينوري (ت 282هـ): الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال (القاهرة: مط دار إحياء الكتب العربية، 1960) ج2، ص129.

2- جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف ابن القفطي (ت 646هـ): أخبار العلماء بأخبار الحكماء (بيروت: مط الآثار، 1973)، ص84.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص79؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص378؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص8.

4- شمس الدين أبو العبّاس، أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي المعروف بابن خلكان (ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (القاهرة: مط دار إحياء الكتب العربية، 1925) ج2، ص115.

5- جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف بن القفطي (ت:646هـ) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (بيروت، مط دار الآثار، 1973)، ص84.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص79؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص378؛ أحمد شلبي، قصور الخلفاء، ص8.

7- شمس الدين، أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي المعروف بابن خلكان (ت:681هـ): وفيات الأعيان وأنباء الزمان (القاهرة، مط دار إحياء الكتب العربية 1925)، ج2، ص115.

8- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص82؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص71 أحمد شلبي، قصور الخلفاء، ص10.

9- الدينوري: الأخبار الطوال، طبعة الدوحة، ج2، ص131؛ ابن القفطي: أخبار العلماء، ص85.

10- أبو الفضل أحمد ظاهر الكاتب بن طيفور، (ت: 280هـ): بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، (بغداد، مط مثنى، 1968)، ص64.

11- شهاب الدين أحمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت: 349هـ): العقد الفريد (بيروت، مط لجنة التأليف والنشر، 1948)، ج9، ص71.

12- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، طبعة الدوحة، ص177؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص151.

13- أبو القاسم حسين بن مُحمّد الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (بيروت، مط دار الآثار العربية، 1954)، ج1، ص67.

تميّز العبّاسيون بوضع جديد عن سابقيهم الأمويين، فقد سمحوا للفرس الذين شاركوا في الدعوة التي أنهت الحكم الأموي للعمل بالإدارة العبّاسية وأجهزة الدولة[1]، وإلى ظهور أعداد من العوائل المتحكمة بشؤون تلك الإدارة؛ مثل آل برمك، وبنو صبهل، وآل نوبخت، وغيرهم، ومثل هذا الولاء الذي يسمّيه ابن خلدون بولاء الاصطناع[2]، لم يكن معروفاً من قبل، وجلب الفرس من خلاله الجواري والغلمان والخدم، وأُسكنوا دار الخلافة، وتقرّبوا إلى الخليفة أمثال الجارية هيلانة[3]، وغيرها من الجواري، والكثير من الغلمان والخدم للحراسة والعمل داخل القصر العبّاسي[4]، ثم إن الخلافات في الحرب الأهلية بين العرب والعجم[5]، جاءت بعنصر جديد للدولة، هو العنصر التركي الذي استخدمه الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-341م)[6] للجيش بدلاً من العنصرين السابقين، وبدأ سيل الغلمان والجواري[7]، يغزو في مركز الخلافة[8] وقصورها من تركستان[9] وما وراء النهر[10] واستقرارهم في بغداد أو سامراء، في حجر، بقصر الخلافة[11]، وتبعهم - في ذلك العمل - استخدام الوزراء والأمراء ورؤساء الديوان[12]، ممّا أدى إلى زيادة أعداد الجواري والغلمان الوافدين إلى بغداد، بشكل مدهش[13].

ومنذ ذلك الوقت، شاعت ظاهرة اقتناء الجواري والقَهْرَمَانَات بين الفئات العليا في المجتمع والطبقة الأرستقراطية الحاكمة، التي ازدهرت باستقرار الأوضاع السياسية

1- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب مناقب الترك، ص38؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص283.
2- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص208؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص114.
3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص181؛ فاروق عمر: مقالة في مجلة المؤرخ العربي، العصر الذهبي: عصر الازدهار الحضاري (بغداد، 1980)، ص149.
4- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص290؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص334.
5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص185؛ الجهشياري: الكتابة والوزراء، ص87، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، ص43.
6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص179؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص173.
7- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج 2، ص47؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج4، ص181؛ أحمد شلبي: قصور الخفاء، ص40.
8- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص130؛ المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص295.
9- أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت، 282هـ) البلدان (ليدن: مط ليزك، 1960)، ص256.
10- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص132؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص49.
11- مُحمّد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي (ت:709هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (القاهرة، مط دار التراث، 1966)، ص188.
12- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص135؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص189.
13- اليعقوبي: البلدان، ص257؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج3، ص346؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص245.

والاقتصادية لدولة الخلافة[1]، في حين انصرف هؤلاء الخلفاء إلى تبنّي سياسية عمرانية[2] لهذه الفئات، استهدفت تنظيم أوضاعهم، وتوظيفها في خدمة المجتمع العبّاسي[3].

وبين خلافة الرشيد (170-193هـ/786-808م)[4] والمقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)[5] بارتفاع مستوى المعيشة، فيما كانت خزائن العبّاسيين في بغداد تفيض بالأموال الوفيرة[6] التي تؤمّن لهؤلاء الخلفاء القدرة على الإكثار من استخدام الجواري والسراري والمحظيات من التي تُنسب إليهم فئة القَهْرَمَانَات[7].

والحقيقة أن هذا الرخاء الاقتصادي من قِبل الخلفاء ومرؤوسيهم على هذا الشكل المفرط، كان يقف وراء الحاجة المتكرّرة إلى استخدام الجواري والغلمان والخدم في قصور الخلفاء، أو تابعيهم، خلفاً عن سلف.

وكان هذا إيذاناً لبدء ظاهرة جديدة ومهمة في المجتمع العبّاسي هي ظاهرة القَهْرَمَانَات في قصور الخلافة التي تُعرّف القَهْرَمَانَة، على أنها إحدى شرائح مجتمع الجواري والغلمان[8]، مع أنها تتمتع بمنزلة وظيفية أرفع شأناً من بقية أنواع الجواري[9]، ترتبط دار الخلافة -عادة- بتسميات مثيرة ومهمة من القَهْرَمَانَات[10]؛ أمثال القَهْرَمَانَة هيلانة، والقَهْرَمَانَة ريسانة، والقَهْرَمَانَة زيدان، والقَهْرَمَانَة أمّ موسى، والقَهْرَمَانَة عَلَم، إلى آخره من المسمّيات.

وكيف كانت هذه القَهْرَمَانَات يجدن لأنفسهن طريقاً إلى تلك القصور والدُور؟ وما هي الخدمات كن يؤدّينها داخل تلك القصور؟

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص140، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ج2، ص50.

2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص183؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص255، مصطفى جواد: سيدات البلاط، ص16.

3- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص74؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص153، أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص7.

4- الشابشتي: الديارات، ص77؛ الوشاء: الموشي، ص14؛ السيوطي: المستطرف من أخبار الجواري، ص12.

5- شهاب الدين بن الفضل الله العمري (ت: 749 هـ): مسالك الأبصار في المسالك والأمصار، تح: أحمد زكي باشا (القاهرة، مط دار الفكر، 1924) ص55.

6- مُحمّد بن خلف بن حيان وكيع (ت306هـ): ألف ليلة وليلة، هذّبه وصحّحه الأب أنطوان صالحاني، ط3 (بيروت، مط الأدباء اليسوعيين 1930)، ص76.

7- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ): فتوح البلدان (القاهرة، مط دار الأشراف، 1901)، ص64.

8- الجاحظ: رسائل الجاحظ باب رسائل القيان، ص73، ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص240.

9- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص51؛ المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص38؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص247.

10- أبو علي أحمد بن مُحمّد بن يعقوب المعروف بمسكويه (ت421 هـ): تجارب الأمم (القاهرة، مط شركة التمدن، نشره امدروز، 1915)، ج2، ص81.

كانت فئات الجواري والقَهْرَمَانَات والغلمان والخدم والرقيق التي تتوافد إلى بغداد وسامراء [1]، ينبع مصدرها من جانبين:

1) مصدر الحرب الذي كان يوفّر الوفرة الوافرة من هؤلاء الرقيق بصفة النساء والغلمان، وتحويلهم إلى جواري [2] بيوتات العبّاسيين [3].

2) طريق قوافل التجارة القادمة من المشرق كذلك[4]، والتي كانت في الازدهار حتى وقت تحوّل التجارة إلى البحر الأحمر[5] بتأثير الفاطميين بعد منتصف القرن الرابع الهجري (الثامن الميلادي)[6].

وكان هذا المصدر يوفّر الرقيق (الصقلي والرومي والزنجي والتركي ... إلخ)[7]، ومثل هذا النفر من الجواري يشقن - عادة - طريقهن للبيع في بغداد، في مراكز متخصصة لهذه المهنة، أشهرها باب النحاسين الذي يقع وسط بغداد[8]، وسوق آخر باسم شارع دار الرقيق في بغداد في الرصافة، والثالث في سامراء[9]، وغيرها في الأسواق المنتشرة.

وما من شك أن تلك المفردات من الجواري تمتّعن بميزات خاصة في المجتمع العبّاسي، جعل بقاءهن أمراً ميسوراً[10]، واعتاد الناس وجودهن وارتباطهن بالخلفاء والوزراء والأمراء والبيوتات

1- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط 2 (حيدر أباد، مط دائرة المعارف العثمانية، 1939)، ج5: ص4.

2- تاج الدين أبي طالب علي بن انجب المعروف ابن الساعي (ت: 674هـ): نساء الخلفاء المسمّى جهات الأئمّة من الحرائر والإماء، تح: مصطفى جواد (القاهرة: مط دار المعارف المصرية، 1952)، ص6.

3- أبو علي المحسن بن علي بن مُحمّد بن أبي فهم التنوخي (ت: 384هـ): كتاب جامع التواريخ المسمّى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي (بيروت: مط دار السلام، 1971-19073)، ج6، ص22.

4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص152؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5 ص74، ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص6.

5- الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص115؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج4، ص99 الثعالبي: يتيمة الدهر، ج2، ص39.

6- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج6، ص24؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص182؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص6.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص161؛ المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص39؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص19.

8- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص115؛ اليعقوبي: البلدان، ص107؛ الوشاء: الموشي، ص18.

9- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص91؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص48؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص9.

10- شمس الدين أبو عبد الله مُحمّد المقدسي (ت377هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن: مط: بريل، 1906)، ص81.

العبّاسية[1]، ومما زاد على تقبّلهن في داخل تشكيلات المجتمع العبّاسي[2]؛ لأن أغلب الخلفاء العبّاسيين بنو إماء (أمّهات الأولاد): أمثال: هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)[3]، والمأمون (198-218هـ/813-833م)[4]، والمعتصم (218-227هـ/833-841م)[5]، والواثق (227-232هـ/841-846م)[6].إلخ، والقلة القليلة من الخلفاء كانوا أبناء الحرائر؛ مثل: أبوالعبّاس السفّاح (132-136هـ/749-753م)[7] والأمين (193-198هـ/808-813)[8]، وغيرهم.

1 ـ أصول الجواري والقَهْرَمَانَات:

ترجع أصول فئات الجواري العائدة لدار الخلافة أو دور الأمراء والوزراء إلى أجناس مختلفة وأمم شتى[9]، وتعود معظمها إلى بلاد الحرب، ولكن منهن مَن ينتمي إلى مدن دار الإسلام[10]؛ أمثال الجواري: الهنديات، والسنديات[11]، والبنجاب[12]، والمدنيات[13]، كذلك من لون الزنجيات، والبربريات[14]، واليمنيات، والحبشيات، والمكيات، والبجاويات، والنوبيات[15]، والقندهاريات، والتركيات، واللانيات، والروميات، والأرمنيات، والكرديات[16].

1- الصولي: آمالي، ص59؛ ابن القفطي، أخبار العلماء، ص43؛؛ القرماني: أخبار الدول، ص64؛ العمري: مسالك الأبصار، ص148.
2- الشابشتي: الديارات، ص71؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص15؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص20.
3- الشهرستاني: الملَل والنِّحَل، (مط بيروت)، ص61؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص174.
4- الثعالبي: يتيمة الدهر، ج2، ص39؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص307؛ الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ج2، ص88.
5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (مط دمشق)، ج4، ص145؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص333.
6- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص125؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج2، ص91؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص10.
7- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص91؛ الذهبي: العبر، (مط الكويت)، ص195؛ مصطفى جواد : سيدات البلاط، ص10.
8- أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج2، ص81؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص177.
9- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص135؛ ابن بطلان: رسائل جامعة، ص160؛ ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص78
10- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص51؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص265، جرجي زيدان: تاريخ التمدّن، ج3، ص72.
11- الصابي: رسوم دار الخلافة، ص137؛ الذهبي: المختصر المحتاج إليه، ص83 لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص70.
12- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب مفاخرة بالجواري والغلمان، ص53؛ البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص569.
13- أبو مُحمّد علي بن أحمد بن حزم (ت456هـ): الفصل في الملَل والأهواء والنحل (القاهرة: مط دار الفكر، 1967)، ج2، ص73.
14- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص95؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص114؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص14.
15- ابن الطقطقي: الفخري، ص171؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص75؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج5، ص35.
16- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص99؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص74؛ مصطفى جواد : سيدات البلاط العبّاسي، ص10.

يرجع هذا الاختلاف في أجناس الجواري إلى أن كل فئة منهن تتحدّر من منطقة معينة ذات ميزات خاصة، لا تتوافر في غيرهن من الجنس الآخر[1]، فضلاً عن أن هذا التنوع في الميزات والتنوع في الصفات والثقافة وفي الشكل والمأكل والملبس من جارية إلى أخرى، يعمل بوصفه عنصر ترغيب، للإقبال عليهن، واقتنائهن[2]، مهما ارتقت أسعار شرائهن من سوق الرقيق إلى حد التنافس بين ولاة العهود وأولاد الخلفاء، من أجل الفوز بأفضلهن،[3] مثل المنافسة التي جرت بين الهادي والرشيد بشأن جارية غادر[4]، والتي كسبها الرشيد بعد ذلك[5]، أو تلك التي جرت بين الواثق والمتوكل على الله بشأن الجارية فريدة[6] أن حالة عدم الاستقرار لدى الجواري والانتقال من بيت إلى آخر، جعل فيهن ميزات الغدر والخداع وحب المال[7]، فيما تميّز بعض منهن بالطموح، والرغبة في اعتلاء المراكز الاجتماعية المرموقة داخل حريم دار الخلافة[8]، كجواري الخلفاء أصبحن أمّهات لأولاد الخلفاء، وتحقيق تسلق المراكز المهمة في الدولة العبّاسية[9]، أمثال الجارية الخيزران (زوجة الخليفة المهدي وأم الهادي والرشيد والمتحدّرة من أصول يمانية)[10]، والجارية قبيحة (زوجة المُتوكِّل وأم الخليفة المعتز بالله والمتحدّرة من أصول رومية)[11]، والجارية شغب (زوجة المعتضد وأم الخليفة المقتدر والمتحدّرة - كذلك - من الأصول الرومية)[12]، وغيرهن.

1- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، (مط الدوحة)، ص97؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص171؛ عمر كحالة: أعلام النساء، ج4، ص61.

2- الأبشيهي: المستطرف، ص166؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص51؛ السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص8.

3- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج4، ص77؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص49؛ لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص80.

4- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص190؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص117؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص82؛ شمس الدين: ابن عبد الله بن بكر الزرعي الدمشقي وابن قيّم الجوزية (ت: 961هـ): أخبار النساء (بيروت: مط دار الحياة، 1966)، ص14.

5- أبو العبّاس بن إسماعيل العناني العبّاسي (ت 803هـ): العسجد المسبوك، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا في مكتبة الآداب، جامعة بغداد، ص47.

6- القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص59؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص293، جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج4، ص72.

7- تقي الدين، أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: مُحمّد مصطفى زيادة (القاهرة: مط دار الكتب المصرية، 1963)، ج4، ص59.

8- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص160؛ قايماز الذهبي: مختصر تاريخ الإسلام، ص101.

9- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص162؛ المسعودي: مروج الذهب، ج2 ص145؛ عمر كحالة: أعلام النساء، ج3، ص51.

10- وكيع: ألف ليلة وليلة، (طبعة دمشق)، ص84؛ كوك: بغداد ومدينة السلام، ص28، السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص10.

11- الشابشتي: الديارات، ص141، الشهرستاني، الملَل والنِّحَل، ص83؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص12.

12- الصولي: أمالي، ص31، الصابي: رسوم دار الخلافَة، ص48؛ ابن القفطي: أخبار العلماء، ص74.

من جهة أخرى، كان هنالك جوارٍ، يتم نقلهن من بلد إلى آخر على أيدي نخاسين محترفين[1]، يجدن طريقهن إلى دور من دون مستوى الخلفاء والأمراء والوزراء على نحو ما لاحظ الجاحظ[2].

2 ـ تنشئة الجواري والقَهْرَمَانَات:

إن مهنة تنشئة الجواري والقَهْرَمَانَات في العصر العبّاسي من أبواب الكسب الواسعة تمويلها مع بقاء الفارق الأساس في قيمة بضاعته من السبايا ذات السن المتقدمة من عدمها[3].

فإذا كانت الجارية التي سُبيت قد بلغت حداً من السن؛ إذ لا مجال إلى تعليمها وتخريجها في الفنون والآداب، أو تهذيبها بآداب المجتمع[4]، فيكون حظها - عادة - من الرعاية قليل، وشأنها في المنزل الذي ثمل فيه هيناً[5]، أو تكون قيمتها - حينئذ - موقوفة، على ما فيها من الفتنة والفتوة، فإما أن تحظى لدى سيدها[6]، وإما أن تحوّل للخدمة في أعمال المنزل، وهي - حينئذ - تصبح من السواذج [7]، وأما الجارية التي سُبيت وهي صغيرة السن؛ فهي قادرة على التكيّف والتعلم، أمثال: الجارية شكل في عهد المهدي (158-169هـــ/774-785م)[8] والجارية عريب الشاعرة في عهد الرشيد (170-193هـ/786-828م)[9]، ومثل هؤلاء الجواري ينشأن نشأة عربية خالصة، ويخلقن

1- علاء الدين علي عبد الله البهائي الغزولي (ت 815هـ): مطالع البدور في منازل السرور (القاهرة: مط دار الفكر العربي، 1976)، ص33.

2- رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص120 130-؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص321؛ كوك: بغداد ومدينة السلام، ص29.

3- الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص167؛ بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، تح: حمزة طاهر (القاهرة: مط دار الهلال، 1967)، ص44.

4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص171؛ فيليب حتي: تاريخ العرب، (طبعة القاهرة)، ج2، ص38.

5- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص119؛ جب هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام، تـح: إحسان عبّاس: مط دار (بيروت: مط بيروت للطباعة والنشر، 1964) ص61.

6- ابن عبد ربة: العقد الفريد، ج10، ص81؛ جاك ريسلر: الحضارة العربية: تح غنيم عبدون (القاهرة: مط الشرقية، 1967)، ص86.

7- السواذج: الجواري اللاتي لم يتعلمن، ولم يثقفن: يُنظَر: لويس معلوف: المنجد، الطبعة الجديدة، ص175.

8- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص98؛ طه الراوي: بغداد مدينة السلام (بغداد: مط الرشيد، 1978)، ص59.

9- ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص166؛ أحمد شفيق: الرقّ في الإسلام، تح: أحمد زكي (القاهرة: مط: دار الفكر العربي، 1981)، ص70.

بعادات العربيات[1]؛ بحيث تلين ألسنتهن في الكلام حتى تكاد تزول عنها آثار الأصول التي تحدّرت منها[2]، مثل الجارية بختيار جارية الخليفة المهدي (158-169هـ/774-785م)[3] ذات الأصول الفارسية بعد أن أصبحت تتكلم العربية، وتتصرف بالطبائع والعادات العربية[4]، ومثل الجارية مراجل إحدى زيجات الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) فارسية أيضاً من باذغيس إحدى قرى هراة [5]، والجارية مؤنسة في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م)، وهي رومية، وأصبحت تلقي الأشعار، وتغني بالعربية [6]، وأمثلة أخرى كثيرة.

وكان النخّاسون والمغنّون في العصر، أمثال إبراهيم الموصلي (125-189هـ/742-804م) وابنه إسحق (150-236هـ/767-850م)[7]، يبتاعون الجـواري اللاتي يتوسّمون فيهن الذكاء، وهن صغار السن، فيثقّفونها، ويعلّمـونها الأشعار والغناء[8]، ويحفّظونها القرآن والأحاديث النبوية، ويعلّمونها فنون الأدب والنحـو والعروض، أو فناً من فنون المساجلة الشعرية[9]، ثم يبيعونها بخمسة أضعاف ثمن شرائها[10]، فكانت أغلب شاعرات ومغنيات بغداد والمدينة والبصرة قد تعلّمن على هذه الصورة[11].

1- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص177؛ التوحيدي: والإمتاع والمؤانسة، ج1 ص158؛ ريسلر: الحضارة العربية، ص87.

2- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص89؛ شوقي ضيف: العصر العبّاسي الأوّل، ط3 (القاهرة: مط الهلال، 1966)، ص94.

3- البيروني: الآثار الباقية، (طبعة الدوحة)، ص129؛ فون كريمر: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، تح: طه بدر (القاهرة، مط، دار الفكر العربي 1974)، ص34.

4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص170، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص131.

5- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص80؛ لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص154.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص88؛ ماجد عبد المنعم: العصر العبّاسي الأوّل والقرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العبّاسيين (القاهرة مط: دار الهلالي، 1971)، ص24.

7- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص117؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص245؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص12.

8- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص81؛ جميل نخلة المدور: حضارة الإسلام في دار السلام (القاهرة: مط الفكر العربي، 1932)، ص26.

9- الجاحظ: الحيوان، ص129؛ اليعقوبي: البلدان، ج2، ص242؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص286.

10- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص189؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ص82؛ المدور: حضارة الإسلام، ص92.

11- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص190؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص251، الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ج2، ص63.

وحقيقة الأمر الواقع أن المجتمع العبّاسي كان قد ألف وجود الكثير من الجواري في البيوت[1]، وعلى مستويات اجتماعية مختلفة حتى أصبح الاقتران بالجارية شيئاً غير معيب، من وجهة نظر أعيان المجتمع العبّاسي، وإذا أولد الرجل جاريته، نراه يعتزّ بأولاده منها، ولا يرى في الاعتراف بهم أيّ ضرر[2].

3 ـ أعداد الجواري والقَهْرَمَانَات في البلاط العبّاسي:

طغت ظاهرة الجواري بالمجتمع العبّاسي، بشكل ملفت للنظر، ممّا يُذكر عنها من أعداد، تمثل أرقاماً فلكية [3]، فليس الخلفاء وحدهم، كانوا يمتلكون الجواري، وإنما شمل - أيضاً - نساء هؤلاء الخلفاء، إذا تميّزن بوفرة الجواري المتعددة الجنسيات. وذلك للتفاخر والتباهي أمام بقية النسوة وسيدات المجتمع[4]، فالسيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/ 786-808م)[5]. كانت تقتني الكثير من الجواري الحسناوات حتى يذكر بأنه في مناسبة تولّي ابنها الأمين الخلافة (193-198هـ/808-813م)[6]، أهدتّه الكثير من جواريها [7]، ثم شيوع الظاهرة، في وقت متأخر، في العصر حتى يقال إن عدد النساء في قصر الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م) [8] كان قد بلغ حوالي أربعة آلاف بين جارية وحرة [9]، وسواء أَ كان الباعث هو التفاخر في جمع الجواري، أو لأغراض الزينة والأبهة في قصر الخلافة [10]، وبما كانت الجارية تلبسه

1- اليعقوبي: البلدان، ج2، ص243؛ المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص301؛ المدور: حضارة الإسلام، ص93.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص191؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص171؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص88.

3- المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص68؛ الخطيب البغدادي: تاريخ البغدادي، ج3، ص108؛ السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص16.

4- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص117؛ الوشاء: الموشي، ص42؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص15.

5- الصابي: الوزراء، ص32؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص88.

6- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص107؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص148.

7- ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص149؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص71؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص88.

8- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص129؛ ابن طيفور: بغداد في الخلافة العبّاسية، ص94، ابن قيّم الجوزية: أخبار النساء، ص48.

9- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص76؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص78؛ الدميري: حياة الحيوان، ص68.

10- الدينوري: الأخبار والطوال، ص239؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج2، ص123؛ الذهبي: العبر، ص119.

من فاخر الثياب، وما تظهره من جمال ورونق، ولاسيما اللاتي كن وصيفات لزوجات الخليفة[1].

وإن شراء الجواري لم تكن الطريقة الوحيدة لمثل هذا التجمّع للجواري في القصور والبيوتات؛ إذ إن مصدراً كبيراً لهذا الازدياد يرجع إلى الهدايا التي تبادل بها أصحاب تلك البيوت [2] على نحو ما تُهدى الحلي والجواهر مجاملة وملاطفة [3]، وفي هذا الصدد، يُذكر بأن أول مَن بدأ بالتهادي من الخلفاء العبّاسيين بالجواري هو الخليفة المهدي (158-169هـ/774-785م)، فقد أهدى زوجته الخيزران ألفَ جارية وألفَ وصيف مع هدايا أخرى [4].

فضلاً عن الهدايا التي كانت تُرسل إلى الخلفاء العبّاسيين من الحكام في الأقطار الأخرى التابعة لدولة الخلافة، مثل الهدايا التي وصلت إلى الخليفة المكتفي بالله (289-295هـ/892-907م) [5] من زيادة الله أغلب صاحب المغرب سنة (291هـ 903-م) [6] بما يضم هدايا كثيرة، كان من جملتها مائة جارية ومائة خادم [7]، كما كان هناك خُمس الغنائم الذي كان يرد إلى بغداد، ويغنمه المسلمون في الحروب، والذي يشمل خمسه الكثير من السبايا [8].

ومع ذلك، فالجواري اللاتي يعشن في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء العبّاسيين كن أحسن حالاً، وأرغد عيشاً، وأفضل لبساً [9]، وأرقى أكلاً وشراباً من عامة الجواري، فكن مرهفات، تحيطهن الرعاية من كل مكان، ولاسيما إذا كانت من المحظيات، يساعدها في

1- الصولي: أمالي، ص155؛ الشهرستاني: الملَل والنّحَل، ص98؛ القرماني، أخبار الدول، ص82.
2- أبو زيد بن سهل البلخي (ت322هـ: البدء والتاريخ، تح: نيس طاهر بن طاهر المقدسي (القاهرة: مط دار الثقاة، 1916)، ج4، ص47.
3- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص56؛ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج6، ص81؛ عبد المنعم ماجد، العصر العبّاسي الأوّل، ص52.
4- ابن بطلان: رسائل جامعة، ص74؛ ابن حزم: الفصل في الملَل، ج2، ص12؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص178.
5- ابن الطقطقي: الفخري، ص137؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص14؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص60.
6- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص131؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص83.
7- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص89؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص72.
8- أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، م2، ص108؛ الأبشيهي: المستطرف، ص85، الذهبي: العبر، ص115.
9- الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص116؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج4، ص79؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص91.

ذلك مواهبها التي تمتلكها؛ مثل الغناء والعزف على العود والمساجلة الشعرية والرواية والطرافة والرقص، وما إلى ذلك [1].

فتفوز من دون أدنى ريب بالتقرب من الخليفة [2]، وربما يبلغ الأمر إلى أن تصبح محظيته المفضلة، ومن ثم؛ أمّ ولد له؛ إذ تصبح من أمّهات النفوذ في البلاط العبّاسي [3]؛ أمثال الجارية الخيزران، والجارية قبيحة، والجارية شغب، وكذلك القَهْرَمَانَة عَلَم، والقَهْرَمَانَة ثمل، والقَهْرَمَانَة أمّ موسى، والقَهْرَمَانَة زيدان [4]، وغيرهن.

إذاً؛ فأعداد الجواري داخل القصور والبيوتات العبّاسية كانت كثيرة، إلا أنه لا توجد إحصاءات دقيقة لعددهم [5]، بل إشارات متناثرة بين الروايات بأعدادهم، فمثلاً في عهد الخليفة الأمين (193-198هـ/808-813م) بلغ عدد الجواري في قصره حوالي ألفي جارية [6]، وفي عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م) بلغ حوالي أربعمائة بين جوارٍ وعبيد [7]، وفي عهد المكتفي (289-290هـ/ 901-907م) بلغ عشرة آلاف بين جوارٍ وعبيد وخدم ومماليك [8]، وفي عهد المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)، بلغ عددهم أحد عشر ألفاً من الجواري والخدم والعبيد[9].

1- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص119؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج3، ص14.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص175؛ ابن الجوزي: الوسائل في مسامرة الأوائل، ص265.

3- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص128؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص45 أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص10.

4- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص157؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص187.

5- الصولي: أمالي، ص159؛ الشهرستاني: المِلَل والنِّحَل، ص5؛ القرماني: أخبار الدول، ص85.

6- البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص86؛ ابن بطلان: رسالة جامعة، ص77؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج5، ص175.

7- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص196؛ التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص64؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص81.

8- الدينوري: الأخبار الطوال، ص89، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص84، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، م2، ص70.

9- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج4، ص151؛ لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص71؛ ابن قيّم الجوزية: أخبار النساء، ص16.

ولاشك أن هـذه الأعداد الفلكية كانت تتطلّب نفقات ضخمة من الواردات[1] كثيراً ما كانت تنوء تحت ثقلها ميزانية الدولة العبّاسية[2]، وفي وقت، قلّت واردات الدولة، كانت تؤدي إلى حدوث الأزمات المالية المتكررة، والتي عصفت بكثير من الوزراء، وأدت إلى نكباتهم، وكثيراً ما كانت تزعزع مركز الخلافة نفسه[3] بعد انتقال مركز الحكم من الخليفة إلى أمير الأمراء، ثم البويهين والسلاجقة[4] وبنظرة بسيطة إلى نفقات المطابخ أو المخابز في زمن الخليفة المقتدر (295-320هـ/907-932م) التي بلغت عشرة آلاف دينار في الشهر[5]، ونستطيع أن نكوّن فكرة عن جزء من تكاليف أولئك الجواري والخدم والعبيد لميزانية الدولة.

4 ـ مصير الجواري والقَهْرَمَانَات في البيوتات العبّاسية:

كان مصير الجواري والقَهْرَمَانَات في البيوتات العبّاسية إعتاق بعض منهن لوجه الله، مثلما فعلت الجارية بنفشا في عهد الخليفة المستضيء (556-575هـ/1170-1179م)[6] كانت قد أعتقت أعداداً من الجواري، ولبعض آخر كانوا يعتقون الجارية، ثم يتزوجونها، وفعل ذلك أكثرية الخلفاء العبّاسيين؛ أمثال الجارية خيزران زوجة الخليفة المهدي (158-169هـ/774-785م)[7]، والجارية قبيحة زوجة الخليفة المُتوكِّل (232-247هـ/846-861م)[8]، والجارية شغب زوجة الخليفة المعتضد (279-289هـ/892-901م)[9]، والقسم الثالث لا يكتفي بذلك، بل يعمد إلى تزوج الجارية

1- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، (طبعة الدوحة)، ص199؛ ابن حزم: الفصل في المِلَل، ج2، ص75؛ أحمد شلبي: قصور الخلفاء، ص11.

2- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص129؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص187؛ السيوطي: المستطرف من أخبار الجواري، ص28.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص161؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص195؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج5، ص43.

4- الثعالبي: يتيمة الدهر، ص89؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص192؛ عبد المنعم ماجد: العصر العبّاسي الأوّل، ص76.

5- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص211، ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص149.

6- أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص187؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص247؛ السيوطي: بين الخلفاء والخلعاء، ص15.

7- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص21؛ الأبشيهي: المستطرف، ص201؛ الوشاء: الموشي، ص29.

8- الصولي: أمالي، ص183؛ الصابي: الوزراء، ص217؛ ابن كثير: البداية والنهاية ج9، ص196.

9- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص179؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص175 أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص21.

برجل حر[1]؛ مثل الجاريتين عتبة وخالصة[2] التي سعت الخيزران إلى تزويجها بعبد رقيق، وعتقهما معاً[3].

أما الجارية التي كبرت سناً، وذهب ما كانت تمتلك في صباها من الجمال والصوت واللباقة، فكانوا في البلاط العبّاسي يخيّرونها؛ إما أن تبقى داخل البلاط، وتعلّم بقية الجواري ممّا كانت تعرف من الصنعة[4]، أو يعتقونها، وتتحول للعيش مع أولادها، إن وُجدوا، أو مع أقربائها حتى تتوافاها المنية [5].

وأخيراً يتضح أن عامل الضعف الذي أصاب الخلفاء العبّاسيين واحتجابهم في قصورهم أدى إلى سيطرة الجواري والقَهْرَمَانَات على أمور داخل وخارج دور الخلافة [6]؛ مثل الجارية خيزران التي فرضت سيطرتها على كل من الخليفة الأب المهدي والأبناء الهادي والرشيد[7]، والقَهْرَمَانَة هيلانة على الرشيد [8]، والقَهْرَمَانَات زيدان وأمّ موسى وثمل وغيرهن على الخليفة المقتدر (295-320هـ/907-932م)، وأم الخليفة شغب[9]، والقَهْرَمَانَة حدق التي نصّبها الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م) قَهْرَمَانَة في داره، وتدخّلت -بعد ذلك- في تنصيب الوزراء، وعزلهم[10]، وغيرهن، ممّا ذُكرن في المصادر التاريخية.

1- ابن طيفور: بغداد في التاريخ الخلافة العبّاسية، ص192؛ القلقشندي: مآثر الأناقة، ج2، ص61؛ السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص22.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص164؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص196؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص76.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص165؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص196؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج5، ص36.

4- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص215؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص249.

5- ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص104؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج4، ص185.

6- أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص187؛ الأبشيهي: المستطرف، ص205.

7- القلقشندي، مآثر الأناقة، ج2، ص61؛ ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص192.

8- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص69؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص171.

9- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص23؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص252؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص152.

10- الثعالبي: يتيمة الدهر، ص91؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج5، ص195.

الفصل الثاني

الجواري والقَهْرَمانَات

في عهد الخلفاءِ العبّاسيين الأوائل

أولاً: جواري وقَهرَمانَات الخليفة أبي العبّاس السّفّاح
(132ـ136ـ749ـ753م)[1]

هو الخليفة الأوّل من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس. اتّصف عهد الخليفة السّفّاح بعدم الاستقرار، فقد كان مركز الخلافة - بادئ الأمر - في الكوفة [2]، وفي سنة 134هـ/ 751م، انتقل إلى الأنبار، وصيّرها داراً للخلافة [3]؛ لأن العبّاسيين لم تستقرّ عاصمتهم بعد، علماً أن السّفّاح لم يتولّ أولاده الخلافة من بعده.

إن العبّاسيين لم يعرفوا -في هذا الوقت المبكر من قيام دولتهم- أن يسبغوا للمرأة أي دور رئيس في المجتمع سوى الشريحة المعروفة بالهاشميات[4]، وفخرهم بأمومة النساء الفضليات من بنات العرب[5].

كما أن نظرة أبي العبّاس إلى الإماء وإلى أبنائهم من شريحة الهجناء، أدت بالخليفة على التزاوج من الحرائر، من ذوات الشرف والحسب (عقائل العرب)[6]، من دون مصدر آخر، فتزوج من أمّ سلمة المخزومية: وهي بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد (أخو خالد بن الوليد) بن المغيرة المخزومي (من ذرية عبد الله المخزومي)[7]، كانت تسكن - بادئ

1- السّفّاح: هو مُحمّد بن عبد الله السّفّاح (ت:136هـ/753)، وُلد بأرض البلقاء، وكان له أعمال دمشق، وخرج مع أبيه إلى الكوفة، وولاه عمّه المنصور البصرةَ، ومات السّفّاح بمرض الجدري، وله شعر رقيق، ولقّبه بعضهم بأبي الدبس، لكثرة ما كان يضع على لحيته من الطيب حتى تكاد تقطر، يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص258-259.

2- خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس ترجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط4(بيروت: مط دار العلم للملايين، 1999م)، م9، ص220.

3- مُحمّد بن عبد الله بن مُحمّد بن إبراهيم اللواتي الطبخي ابن بطوطة (ت:779هـ): تحفة النضار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (القاهرة، مط بولاق، 1939) ج3، ص189.

4- ابن طيفور: بغداد في الخلافة العبّاسية، ص79؛ ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص112.

5- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص258؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص127، ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص28.

6- عقائل العرب: تسمية عربية أصيلة، كانت موجودة في عصر قبل الإسلام؛ يُنظَر، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص115.

7- ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص145؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، طبعة القاهرة، ج2، ص61.

الأمر - فلسطين التي سكنها بنو العبّاس المطالبون بالخلافة[1]، فتزوجت هناك، وعهد اشترط فيه بأن يحلف لها: أن لا يتزوج عليها، ولا يتسرّى بجارية[2]، وولدت للسفاح ذكراً، هو مُحمّد، وأنثى تسمّى ريطة[3] (لم نقف على تاريخ وفاتها) على الرغم من أنها كانت من النساء المعمّرات[4].

ويُذكر بأن هناك محاولات، قام بها بعض المتنفّذين تمثلاً بشخص خالد بن صفوان التميمي(ت 133 هـ/750م)[5] لإغراء الخليفة بالتمتع بالنساء، واقتناء الجواري، إلا أن هذه المحاولات لم تسفر بنتائج تُذكر[6]، ولاسيما أن مجلس أبي العبّاس كان من مفاخر مجالس الخلفاء العبّاسيين، ويُذكر أن السّفّاح كان له من صفات وهبه الله تعالى له من كمال الخلق وصواب الرأي واستقامة السيرة وحسن التدبير، فضلاً عن جمال الصورة[7]، حتى إنه وُلّي الخلافة قبل أخيه أبي جعفر المنصور، مع أن الأخير كان أكبر منه سناً، وذلك لكون أمّه بربرية[8]، وأما أمّ أبي العبّاس؛ فهي عربية النسب، تسمّى ريطة بنت المدان الحارثي[9] (المعلومات عنها مفقودة). كل هذه الأسباب أدت إلى خلوّ دار السّفّاح من الجواري والقَهْرَمَانَات اللاتي كنّ بحاجة إلى مصاريف كثيرة، لم يستحسن الخليفة الصرف عليهن؛ لأن الدولة كانت في بداية تكوينها.

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص118؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص146.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص97؛ ابن عبد ربّه: العقد الفريدج9، ص80.

3- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص10؛ السيوطي: تاريخ، ص259؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص20.

4- ابن الطقطقي: الفخري، ص140؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص260؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص38.

5- هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري (ت: 133هـ/750م) من فصحاء العرب، كان يجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز والخليفة هشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار، وُلد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها مالاً، ولم يتزوج، وعاش إلى أن أدرك خلافة أبي العبّاس، وحظي عنده، وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح وذمّ الشيء؛ يُنظَر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص243.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص98؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص127.

7- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص10؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج4، ص104؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط، ص40.

8- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص80؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص260؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص147.

9- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص120؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص41؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص90.

ثانياً: جواري وقَهْرَمَانَات

الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م)[1]:

هو الخليفة الثاني من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس، اتصفت خلافة المنصور - والذي حكم ما يقرب من عقدين ونيف (اثنتان وعشرون سنة) - باستقرار الحكم العبّاسي لبناء بغداد العاصمة العبّاسية[2]، وتوطيد الأقاليم كلها، لحكم المنصور، فعظمت هيبته في النفوس[3]، ودانت له الأمصار، ولم يبقَ خارجاً من حكمه سوى شبه جزيرة الأندلس فقط الذي غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموي (ت: 172هـ/788م) المعروف بصقر قريش[4]. والمنصور على خلاف السفّاح، يتحدّر من أمّ ولد، بربرية اسمها سلامة (المعلومات عنها قليلة). لم يكن قصر المنصور (قصر باب الذهب)[5] في بدايته يعرف ظاهرة الجواري والقَهْرَمَانَات إلا بعد سنة (145هـ/762م) بعد تفرّغه من بناء العاصمة بغداد، فيذكر التنوخي أن المنصور كان له قَهْرَمَان عمّه سبع الدرر.

1. سبع الدرر القَهْرَمَان:

عاقبه المنصور لسوء تصرّفه في أرزاق الجواري، وهو ليس من مراتب النساء[6]. إلا أن رصانة المنصور شهدت تواجد عدد من القَهْرَمَانَات والجواري اللاتي اشتهرن في أدوارهن الخاصة، وهما القَهْرَمَانَة هيلانة، والقَهْرَمَانَة ريسانة[7]، وسوف نتعرف على

1- أبو جعفر المنصور: هو عبد الله بن مُحمّد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم، وُلد سنة 95 هـ، بُويع بالخلافة بعد أخيه السفّاح سنة 136هـ، وعمره - آنذاك - إحدى وأربعين سنة، ويعدّ فحل بني العبّاس هيبة وشجاعة وحزم ورأياً وجبروتاً، كان جمّاعاً للمال، وغاية الحرص، حتى لُقّب بأبي الدوانيق، لمحاسبة العمال والصنّاع على الدوانيق، وأعظم مآثره بناؤه مدينة بغداد، توفي، وهو في طريقه إلى الحج، وعمره ثلاث وستون سنة، يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 260-262.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص142؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص150.

3- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص97؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص110.

4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص144؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص242.

5- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج8، ص97؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص92.

6- نشوار المحاضرة، ج6، ص123؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص11؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص28.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص114؛ ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج10، ص80.

خصوصيات سيرتهما، من أجل التعرف على الوظائف والمهمات التي اضطلعن بها قَهْرَمَانَات دار الخلافة السابقات.

2. هيلانة القَهْرَمَانَة:

هي فارسية الأصل[1]، وصلت إلى الخليفة المنصور عن طريق الإهداء من أحد الأمراء[2] (نجهل اسمه)، وأصبحت حظية لدى المنصور مع المكانة الكبيرة، ويُذكر بأنها كانت من ربّات النفوذ والسلطان والبرّ والإحسان[3] مثلاً حفرت حوضاً بالجانب الشرقي من الرصافة في بغداد سبلته، فنسب إليها، وعُرف بـ (حوض هيلانة)[4]، كما خصّص لها المنصور إقطاعاً كبيراً في باب المحول من الجانب الشرقي، سُمّي بـ (إقطاع هيلانة)[5].

ويُذكر بأن المنصور سمّاها هيلانة؛ لأنها كانت تُكثر من قول (هي الآن)، ولأجل ذلك سُمّيت هيلانة [6].

وقيل إن القَهْرَمَانَة هيلانة كانت تحتفظ بجواري، يقمن بخدمتها وتلبية طلباتها؛ مثل الجارية صالحة [7]. لم يُذكر هذا، ولم تذكر المصادر شيئاً عن عملها كقَهْرَمَانَة، ولكنها كانت تحتل مكانة متميزة لدى المنصور، فقد كرّمها المنصور بإقطاع، في حين لا يقطع الخليفة إقطاعاً إلا للمقرّبين إليه والأمراء وقادة الجيش. وماتت هيلانة سنة 145هـ/762م[8]، وجزع عليها المنصور كثيراً، وأخذ فيها العزاء[9].

1- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج6، ص123؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص25، عمر كحالة: أعلام النساء، ج5، ص27.

2- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج10، ص122؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص11، مصطفى جواد: سيدات البلاط، ص18.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص132؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص247.

4- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص101؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص168.

5- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص175؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص26.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص135؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص39.

7- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص46؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص12.

8- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص147؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج1، ص36.

9- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج2، ص99؛ الزركلي: الأعلام، ج4، ص112.

3. القَهْرَمَانَة ريسانة:

هي تركية الأصل[1]. وصلت إلى المنصور عن طريق الإهداء - أيضاً - من عامله على المدينة عيسى بن موسى (ت: 167هـ/783)[2]، وحلت محل القَهْرَمَانَة هيلانة في البلاط العبّاسي عند رحيل الأولى، ويُذكر بأنها كانت من الشهيرات في البلاط العبّاسي؛ لأنها كان برسمها إقطاع في غرب بغداد، تعرف بدءاً إقطاع ريسانة التي تقع بالقرب من مسجد ابن رغبان في جانب الرصافة[3]، فضلاً عن محلّة قرب باب الشعير غربي بغداد، تُعرف بـ (محلّة ريسانة القَهْرَمَانَة)[4]، ولا تذكر المصادر العبّاسية شيئاً عن وظيفتها، وسبب إعطائها المنصور هذه المكارم، ولا عن أدوارها داخل وخارج البلاط العبّاسي، ولم تعمل في دار الخلافة سوى خمس سنوات، وتوفيت سنة 150هـ/767م، ودُفنت بالرصافة[5].

4. الجارية أمّ علي:

هي حميرية الأصل، اشتراها المنصور بمبلغ ألف درهم، من أحد التجّار والمارّين في سوق بغداد[6]. كانت محظية لدى المنصور، فولدت له علياً، وجعلها قيّماً في داره[7].

كما كان يضم قصر باب الذهب - أيضاً - الزوجة الرسمية للخليفة المنصور، وهي أمّ موسى بنت منصور بن عبد الله الحميري، وهي أمّ ولده المهدي ولي العهد[8]، ثم تزوج من فاطمة بنت مُحمّد بن طلحة بن عبيد الله، فولدت له سليمان وعيسى ويعقوب[9]،

1- المسعودي: التنبيه والأشراف، طبعة الدوحة، ج4، ص116؛ ذهبي، مشاهير النساء، ص31.

2- عيسى بن مُحمّد بن موسى: هو أمير عبّاسي ابن أخ السفّاح، تولى المدينة، ثم الكوفة، يُنظَر لوسي معلوف: المنجد في الأعلام، ص382.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (طبعة دمشق)، ج 4، ص45؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص112.

4- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص175؛ ابن عساكر: التاريخ الكبير، م3، ج5، ص81.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص137؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج2، ص165.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص46؛ ابن عساكر: التاريخ الكبير، م3، ج5، ص82.

7- قيّماً: المسؤولة عن المالية في دار الخلافة، إلا أن أمّ علي لم تحمل لقب القَهْرَمَانَة، ونجهل السبب، يُنظَر: ابن منظور لسان العرب، ج4، ص214.

8- الأبشيهي: المستطرف، ص140؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص 15؛ السيوطي: المستظرف، ص21.

9- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص139؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص167.

ورُزق من أمّهات الأولاد صالحاً وعالية وجعفر والقاسم والعبّاس وعبد العزيز[1]، ونجد أن أبا العبّاس السّفّاح وأبا جعفر المنصور - على الرغم من أنهما كانا قد حصلا على الثروة والجاه، وعلى كل مباهج الحياة - إلا أنهما فرضا على نفسيهما، وعلى أتباعهما، بل وعلى دولتهما حياة الصلابة والجدّ وعدم الانسياق وراء ملذات وملاهي الحياة[2]، حتى إن المنصور لم يكن يظهر لندمائه بشرب ولا غناء[3] غير أن هذا الأمر اختلف كثيراً حين خلفه المهدي الذي يُعدّ أول مَن ظهر للندماء من خلفاء بني العبّاس[4].

وتبقى المرأة مثار شك عند الخليفة المنصور حتى آخر أيامه، حتى كانت آخر وصية له لولده ولي العهد مُحمّد المهدي: «إياك والاستماع لمشورة النساء، وأظنك ستفعل»[5].

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص47، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص115.

2- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص352؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص29.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة القاهرة، ج6، ص53؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص129.

4- أبو الفتح مُحمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت: 548هـ): المِلَل والنِّحَل (القاهرة: مط بولاق، 1948) ج2، ص28.

5- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص215؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص63.

ثالثاً: جواري وقَهْرَمانَات الخليفة أبي عبد الله مُحمّد المهدي (158-169 هـ/774-758م)[1]:

وهو الخليفة الثالث في قائمة السيوطي من خلفاء بني العبّاس. اتصفت خلافة المهدي - مقارنة بوالده المنصور - بالهدوء والاستقرار السياسي، ممّا أدى إلى حصول الرخاء الاقتصادي والإنتاج ورفاهية الحالة الاجتماعية داخل المجتمع العبّاسي[2]، إلا أنه ورث من أبيه دولة عظيمة الاتساع، وثابتة الأركان، وعامرة الخزائن [3]، ولذلك كانت حياة المهدي سعيدة لنفسه ولأمته، فيُذكر عن المهدي أنه كان له قصر عيساباذ يضم حُجراً كثيرة للجواري، يأوي إليه بين وقت لآخر [4]، وكذلك قصر السلامة، ولكن المهدي لم يستوطن قصر الخلد [5].

سمحت كل هذه السمات ببروز ظاهرة جديدة في الدولة العبّاسية، وهي ظاهرة تدخل النساء من الجواري والقَهْرَمَانَات في أمور الخلافة، بدءاً بالخيزران، ثم الجارية بختيار، والجارية شكل، والجارية مكنونة، والجارية بصبص، والجاريتين خولة وحسّانة، والجارية حسنة، وكذلك القَهْرَمَان واضح، فضلاً عن جواري الخيزران، وهما كل من الجاريتين عتبة وخالصة، ونبدأ بأشهرهن، وهي الجارية ذائعة الصيت الخيزران.

1- المهدي: هو «مُحمّد بن علي بن عبد الله المنصور»: وُلد سنة 126 هـ في الحميمة من أرض البلقاء، وطارد الزنادقة والملحدين، واستأصل معظمهم، وفي سنة 169 هـ في إحدى رحلات الصيد، انطلق خلف صيد، فاقتحم الصيد خربة، وتبعه فرسه فدُق ظهر المهدي في بابها، فمات لوقته، وعمره ثلاث وأربعون سنة: يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 273-274.

2- أبو حيان التوحيدي (ت: 38 هـ): الإمتاع والمؤانسة، تر: أحمد أمين وأحمد الزين (القاهرة، مط دار المعارف، 1953م)، ج2، ص91.

3- الأبشيهي: المستطرف، ص125؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج3، ص49.

4- شمس الدين أبو عبد الله مُحمّد بن أحمد عبد عثمان الذهبي (ت748هـ) العبر في خبر من غبر، تر: صلاح الدين المنجد (الكويت: مط العروبة، 1960)، ص39.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص321؛ اليعقوبي: البلدان، ص240.

1.الخيزران:

أصلها من مولدات اليمن [1]، ويُذكر بأن الخليفة المهدي اشتراها من تاجر رقيق، بسعر غير معلوم من الدنانير، ويقال بأنها كانت - قبل انتقالها إلى عصمه المهدي - لرجل من قبيلة ثقيف من (جرش) في اليمن [2]. ثم ظهرت في سوق الرقيق بمكّة [3]، فاشتُريت. ثم عُرضت على المنصور الذي أهداها للمهدي، عندما كان ولياً للعهد سنة 140هـ/757م[4]، ويذكر بعضهم أن المهدي هو الذي اشتراها، عندما كان ولياً للعهد من أحد تجّار في سوق بغداد[5] إلا أن الرواية الراجحة هي التي تنسب الشراء إلى المنصور، في الوقت الذي كان المهدي صغيراً[6]، ويذكر أن الخيزران رافقت المهدي، عندما كان في طريقه إلى الري[7]، وهي حامل بمولودها الأوّل موسى الهادي، ومن ثم هارون[8]؛ إذ وُلد هناك بين سنة 144هـ/145هـ/ 761-762م)[9]. وبعد تولّي المهدي الخلافة سنة (158 هـ/774م) انتقلوا إلى العاصمة بغداد في قصر الخلد[10]. بدأت الخيزران في تثبيت مركزها، لكونها السيدة الأولى في البلاط العبّاسي، على الرغم من وجود ما يقارب من مائة وخمسين من الجواري المغنيات البارعات الجمال اللاتي كن في قصر الخلد[11]، ويُذكر بأن الخيزران

1- يقال بأنها يونانية، ولكنْ؛ ليس هناك ما يؤيّد أصلها اليوناني، أو من أصل بربري، وإن كان انتسابها إلى البربر في أفريقيا يجد قبولاً؛ لأن أسرى النساء البربريات كن ينعمن بحظ وافر من الجمال والملاحة، يُنظَر: ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص81؛ أحمد أمين: ضحى الإسلام، ص172.

2- في اليمن، للخيزران شقيقة، وهي أسماء، وشقيق، هو غطريف، جلبهم المهدي من اليمن إلى الري، يُنظَر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص94.

3- المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص24؛ ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص56.

4- ابن الطقطقي: الفخري، ص171؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص30؛ المنجد بين الخلفاء والخلعاء، ص21.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص155؛ ابن الكارزوني: مختصر التاريخ، ص125.

6- ابن الطقطقي: الفخري، ص174؛ ابن القفطي: أخبار العلماء الحكماء، ص71.

7- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص439؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص31.

8- وولدت ولداً ثالثاً، يُدعى عيسى (المعلومات قليلة عنه)، إلا أن والده سمّي مدينة بـ (عيسى باد) على اسمه، وكذلك ولدت بنتاً، وهي بانوقة، ماتت، وهي صغيرة، يُنظَر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص56؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص81.

9- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص156؛ القرماني: أخبار الدول، ص129.

10- ابن الطقطقي: الفخري، ص173؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص30؛ نابيا آبوت: ملكتان في بغداد، ص50.

11- الوشاء: الموشي، (طبعة دمشق)، ص42؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص51.

التي نجهل اسمها الأوّل قد سمّاها المهدي بهذا الاسم لدقّة ساقيها[1]، فضلاً عن أنها كانت ذكية، وتحسن الحديث والمناقشة والجدل[2]، وتحسن استعمال ما تعرفه من ألوان المعرفة، ويُذكر بأنها تثقّفت كثيراً عندما كانت صحبة سيدها الأوّل، لاسيما بعد انتقالها إلى مكّة؛ لأن في عهدها كان يُسمح للجواري الجلوس في حلقات الدرس التي كانت تُلقى في المساجد لتعليم التلاميذ والطلبة[3]، ومع أنه لا يوجد نص ما يشير إلى حضورها إحدى هذه الحلقات؛ لأنها لم تكن قد نالت الشهرة حينئذ، كما كانت قد سمعت على يد عالم الشام الأوزاعي (ت157هـ/773هـ)[4] عندما انتقلت إلى البلاط العبّاسي.

ومن صفاتها الأخرى أنها كانت قوية الشخصية[5]، وتحسن التصرف، مع قدرتها على اقتناص الفرص[6] مقابل رقّة المهدي وتسامحه وحبه للمرح، وربما يكون هذا أحد الأسباب التي تقف وراء تمكّن الخيزران من الخليفة المهدي، ومن تقرير مستقبل ولاية العهد لصالح أبنائها الهادي والرشيد[7]. ويُذكر - أيضاً - أن الخيزران تعلّمت كثيراً من رفيقتها الأميرة زينب بنت سليمان بن علي[8] التي كانت تسكن في قصر السلامة[9]، ولها

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص155؛ الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص56.

2- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص84؛ فيليب حتي: تاريخ العرب، ج2، ص151؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص186.

3- ابن الطقطقي: الفخري، ص175؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص38؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص20.

4- الأوزاعي (88-157 هـ/707-774م): هو عبد الرحمن من أئمّة الفقهاء في الإسلام. وُلد في بعلبك، وترك مذهباً معروفاً. كان جريئاً، احتج على ظلم الولاة، دُفن في جنوب بيروت. له كتاب السنن والمسائل، يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص850.

5- ابن الكازوني: مختصر التاريخ، ص127؛ ابن الطقطقي:الفخري، ص177؛ الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص58.

6- زينب: هي امرأة مسنّة، سايرت أحداث الدولة العبّاسية منذ نشأتها. كان المهدي قد نصح الخيزران بالتقرب منها، والإفادة من أسلوبها في معاملة الناس، واستقبالهم. وعملت الخيزران برأي المهدي، ونجحت في الإفادة من صداقة زينب، وهناك رواية: عندما دخلت مزنة شقيقة مروان الثاني الأموي على زينب، وكيف تصرفت الخيزران بحكمة في هذا الموقف، ونقلتها إلى الخليفة المهدي، فرضي عليها تمام الرضا، يُنظَر: نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص ص 55-60.

7- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص398؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص188.

8- ابن الطقطقي: الفخري، ص193؛ ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ص182، الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص59.

9- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص69؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص49.

الفضل في تقوية شخصيتها الاجتماعية، والارتقاء إلى مستوى حياة البلاط العبّاسي، وتعلّمها كان بتشجيع من الخليفة المهدي شخصياً [1].

إن ارتقاء الخيزران إلى منزلة السيدة الأولى في البلاط العبّاسي، يدلّل عليها إيرادها المالي السنوي الذي يُقدَّر بـ (مائتي ألف وستين ألف ديناراً) [2]، وجوائزها الكبيرة التي كانت تنص إلى كل مَن يتحدث عن فضائلها، مثال ذلك: أمر الجدال الذي حصل بين الخليفة المهدي وجاريته الخيزران، وأدى إلى غضبه بحضور صاحب الطبقات الواقدي[3]، فسأل الخليفةَ عن غضبه، فذكر بأن الخيزران صاحت بوجهه، وتسأل: «ما الذي أفدتُهُ أنا منكَ؟»[4]، وقد استنكر المهدي هذا الكلام من جارية، قدّمها على نساء المملكة، ثم أعطى ولديها العرش من بعده[5]، والفهم من الحادثة أن الواقدي قام بتهدئة الخليفة بكلام موزون حتى هدأ روعه تماماً، إلى أن أعطاه الخليفة ألف دينار [6]، أما المفاجأة؛ فقد حصلت بعد رجوع الواقدي إلى داره، وجد هدية من الخيزران في انتظاره، فضلاً عن رسالة، تقول فيها إنها سمعت كلامه مع الخليفة، وهي تشكره، وتعطيه هذه الجائزة بنفس المبلغ الذي ناله من الخليفة، إلا انها أنقصت منه عشرة دنانير حتى تظل هدية الخليفة أعظم وأكبر[7].

وقد كان هذا إيذاناً منذ عهد المهدي بقيام ظاهرة جديدة، لا نجدها في عهود الخلفاء العبّاسيين الذين سبقوه، تتمثل بسيطرة النساء من الجواري على جوانب من شؤون الخلافة [8] بما يرقى إلى مستوى التدخل في شؤون الدولة، مثلاً، كانت الخيزران في بعض المناسبات تستقبل رجال الدولة وقواد الجند [9] بحجر لها داخل قصر السلامة قبل أن

1- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص57؛ الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص60.

2- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص70؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، ص38.

3- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص212؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص195.

4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص214؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص185.

5- ابن الطقطقي: الفخري، ص171؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص124؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص66.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص178؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص110.

7- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص675؛ فيليب حتي: تاريخ العرب، ص394.

8- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص51؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص185.

9- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص129؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص188.

يستقبلهم الخليفة المهدي شخصياً[1]، فضلاً عن ذلك، أصبح للخيزران طبيب خاص، هو عيسى (أبو قريش)[2]، إلا أن المهدي لم يفسح لها المجال - بشكل واسع - للتدخل [3]، والتحكم بشؤون الدولة [4] مثلما فعلت بعد موت الخليفة المهدي، علماً أن المهدي خلّف اثنين من أولاده للخلافة، هما موسى الهادي وهارون الرشيد.

2.الجارية بختيار:

فارسية الأصل[5]. كانت ابنة أحد كبار المتمردين الفرس باسم استاذسيس[6] عندما كان المهدي ولياً للعهد، لمحاربتهم في خراسان، وحصل عليها مع الغنائم والأسرى، وأصبحت - بعد مدة - من محظياته، بل ومن ذوات الحظ الوافر والعالي لدن الخليفة المهدي[7]، ولكننا نجهل شيئاً عن حياتها في قصر عيسى باد، ونهايتها.

3.الجارية شكل:

هي - الأخرى - فارسية. اشتراها المهدي بمبلغ زهيد، قدره ألف دينار من سوق بغداد لبيع الجواري[8]. ويرد في الخطيب البغدادي أنها كانت صغيرة السن، وقد أهداها المهدي إلى جاريته (مهيات) الحظية الأولى للخليفة المهدي[9] التي وجدت في الجارية شكل استعداداً للغناء[10]، فأحسنت تثقيفها، وأرسلتها إلى الطائف؛ لتتعلم أصول

1- لقّب المهدي الطبيبَ عيسى بأبي قريش تكريماً وتعظيماً؛ لأنه بشّر الخيزران عندما كانت حاملاً بمولودها الأوّل، بأنها سوف تلد ذكراً، وكذلك في حملها الثاني، قال بأنها سوف تلد ذكراً أيضاً، وصدق في قوله، وولدت الهادي، ثم هارون، ولكن عيسى الطبيب اعترف بأنه لم يكن يملك من علم الغيب، وإنما هي فلتة، صدقت. يُنظَر: ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ج2، ص190.

2- ابن الطقطقي: الفخري، ص172؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص374؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص189.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص180؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص229.

4- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص44؛ نابيا ابون: ملكتان في بغداد، ص75.

5- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص81؛ ابن كثير: البداية والنهاية (طبعة القاهرة)، ج9، ص131.

6- استاذ سيس: عن هذا الخروج عن حكم الخليفة المنصور، يُنظَر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص180.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص182؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص290.

8- المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص116؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص17؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص27.

9- تاريخ بغداد، ج1، ص99؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص41؛ الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص59.

10- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج8، ص196؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص124.

الغناء[1] إلى أن شاهدها – فيما بعد – الخليفة المهدي في جناح الجارية مهيات فاستدعاها مجدداً [2]، وجعلها إحدى محظياته، ويقال بأنها هي التي ولدت للمهدي إبراهيم المهدي الشاعر الذي ورث عن أمّه حب الغناء والبراعة فيه، الذي كان شاعراً وعالماً في الوقت نفسه [3]، كما حاول البغداديون أن ينصّبوه للخلافة بعد مقتل الأمين من دون جدوى[4]. لم تقلق الخيزران لتعلّق المهدي ببعض الجواري على نحو حالة الجارية، ولا خشيت على مكانتها، أو تحل محلها إحداهن [5]. ولكنها -في وقت ما من حياتها – أحست الخيزران ببعض الخطر من قرب المهدي من الجارية شكل، نظراً لما تعرفه عن زوجها المهدي من ميل إلى الغناء والموسيقى الذي كانت تجيده [6]، لكن الجارية شكل لم ترقَ يوماً إلى منزلة الخيزران، بأي حال من الأحوال.

4. الجارية مكنونة:

وهي من مولودات المدينة [7]. اشتراها المهدي بمبلغ ألف درهم عندما كان ولياً للعهد[8]، وهو مبلغ عال جداً حتى للجواري من الصنف الأوّل، ربما يكون هذا السبب سراً وراء إبقاء الصفقة سراً حتى لا يعرف والده المنصور بها [9]. وُصفت بأنها كانت جميلة الوجه، ودقيقة الجسم[10]، وكانت تسمّى بمكنونة المروانية [11] (ليست من آل مروان بن الحكم، ربما لعائديتها لمروان بن مُحمّد) إلا أن زوجها كان قبل التحاقها بالمهدي هو

1- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب المفاخرة بالجواري والغلمان، ص145؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص149.
2- البيهقي: المحاسن والمساوئ، (طبعة بيروت)، ص570؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص27.
3- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج8، ص197؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص132.
4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص185؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج2، ص150.
5- الأصفهاني: الأغاني، (طبعة دمشق)، ج7، ص32؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص193.
6- الجاحظ: رسائل الجاحظ: باب رسائل القيان، ص73؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص76.
7- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج4، ص35؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص230.
8- الأصفهاني: الأغاني، ج7، ص33؛ ابن الجوزي: المنظم، ج5، ص177؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص27.
9- البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص57؛ ابن الجوزي: أخبار الظرفاء والمتماجنين، ص97.
10- الجاحظ: التاج، ص74؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج 2، ص 151؛ الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص91.
11- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص195؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص232.

الحسين بن عبد الله بن العبّاس (ت: 134هـ/751م) [1]. وولدت للخليفة فتاة عبّاسية، دُعيت (عليا) المهدية الأخرى، ورثت عن والديها حب الموسيقى والغناء [2].

5. الجارية بصبص:

على غرار سابقتها مكنونة، تعود إلى مولدات المدينة. كان قد اشتراها الخليفة المهدي بمبلغ مائة وعشرين ألف درهم [3]، وقيل إن المهدي اشتراها، وهو وليّ العهد سراً بسبعة عشر وألف دينار [4]، وهو مبلغ غال لجارية مثقّفة، ووُصفت بأنها كانت حسنة الغناء، وتنتمي إلى الطبقة الأولى من المغنّين، فضلاً عن رقّة وجهها، وسلامة بشرتها [5]، وكانت بصبص هذه خفيفة الظل، لعوباً حاضرة البديهية، إلى جانب إتقانها الغناء [6]، وتذكر بأنها تُنسب إلى يحيى بن نفيس مولاها، وقيل نفيس بن مُحمّد، ولكن الأوّل الأصح، الذي كان صاحب قيان [7]، ويقصده الأشراف، ويسمعون غناء جواريه، وله في ذلك قصص، وكانت بصبص أنفسهن تقدّماً في الغناء والطرب [8].

6. الجاريتان خولة وحسّانة:

من مولدات المدينة أيضاً [9]، ويذكر المسعودي أن حسّانة تقربت من الخليفة المهدي بعض الوقت [10]، ممّا دعا بالخيزران إلى أن تضيق بها ذرعاً، لما كان يشاع من

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص181، نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص77.

2- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص210؛القرماني: أخبار الدول، ص154.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص198؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص182.

4- الأصفهاني: الأغاني، ج15، ص27؛ ظافر القاسمي: الحياة الاجتماعية عند العرب (بيروت: دار النفائس، 1978)، ص244.

5- الأصفهاني: الأغاني، ج8، ص35؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص37 نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص77.

6- ظافر القاسمي: الحياة الاجتماعية عند العرب (بيروت: دار النفائس، 1978) ص244.

7- كارل بروكمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص111؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص62.

8- الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص72؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص155، مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص27.

9- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص281؛ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج6، ص121.

10- مروج الذهبي، ج3، ص217؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص69؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص63؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص27.

علو منزلتها عند الخليفة، ويقال إن المهدي كان – في بعض الأحيان – بحث في أيهما يفضّل أو يقدّم: الخيزران أمّ حسّانة [1]؟ ومع أنه في التقدير النهائي لم تظهر بين محظيات المهدي جارية على مستوى الخيزران من علوّ قدرها ومنزلتها، وكذلك أهميتها في البلاط العبّاسي. ومن جهة أخرى، لم يكن الخليفة المهدي وحده الذي يمتلك الجواري في قصر الرصافة[2].

أ. جواري الخيزران:

كان للخيزران جواريها الحسان أيضاً العيش في حجر قريبة من جناحها، لأغراض خدمة وتلبية مطالبها[3]، ومن هؤلاء:

1. الجاريتان عتبة وخالصة:

هاتان الجاريتان أهداهما الخليفة المهدي إلى الخيزران في وقت واحد[4]، ويقال إنهما كانتا فتاتين صغيرتين، تمتلّكهما أمّ سلامة زوجة الخليفة السفّاح التي أهدتهما إلى زوجة المهدي الخيزران[5]، وفيما بعد؛ استقرتا عند زبيدة زوج الخليفة الرشيد[6]، ويُذكر أن الخيزران سعت –بنجاح– إلى تزويجهما من رجال، من أهل الصنعة، فالأولى اقترنت بالشاعر أبي العتاهية[7]، والأخرى لمغنٍّ مشهور، وهو يزيد بن حواء[8].

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص217؛ الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص65.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص321.

3- الجاحظ: رسائل الجاحظ: باب المفاخرة بالجواري والغلمان، ص142؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج4، ص151.

4- الشابشتي: الداريات، ص203؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص92، السيوطي: المستطرف، ص77.

5- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص27؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص137؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص65.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص322؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص71.

7- الشاعر أبو العتاهية (ت: 210هـ/825م) هو إسماعيل بن القاسم، شاعر مكثر سهل الأسلوب، نشأ في الكوفة، اشتغل بصناعة الجرار، كُنّي بأبي العتاهية لميله إلى شعر المجون والمتعة، وأغلب شعره في الزهد والتنكّر للدنيا، مع حرصه الشديد على المال. اتصل بالمهدي والهادي، وبلغ منزلة عالية عند الرشيد. وله ديوان، يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص20.

8- لم أقف على ترجمة ليزيد بن حواء في كتب تراجم الرجال والأعلام.

2. الجارية حسنة:

هي تركية الأصل [1]، أهدتها الخيزران إلى الخليفة المهدي [2] بمناسبة غير محدودة، ويشير الخطيب البغدادي إلى أنها كانت ترافق المهدي في رحلاته البعيدة بشرق بلدان الخلافة مثلاً أثناء رحلة المهدي إلى جرجان، اصطحب معه الجارية حسنة [3]، كما يذكر بأنها جزعت كثيراً لموت المهدي، وحزنت عليه حزناً شديداً. [4]

ب. واضح القَهْرَمَان:

هو فارسي الأصل[5]، يرد في الطبري بأن القَهْرَمَان واضح كان مع الخليفة المهدي أثناء رحلته الأخيرة للصيد[6]، ولا نعرف مَن هو هذا القَهْرَمَان، سوى أنه من أصول فارسية، وأنه كان موضع ثقة العبّاسيين؛ إذ صرفوا روايته بشأن موت المهدي في منطقة الرذبماسبذان في بلاد إيران[7].

أما الزوجة الرسمية للخليفة المهدي: هي ريطة بنت أبي العبّاس السفّاح قبل تسميته لزوجته الرسمية الخيزران سنة 159 هـ/775م [8]، التي كانت على عكس دلالات اسمها، يعني في منتهى الرقّة، بل وفيها ملامح القوة والشدة [9]، وهي حرة، وليست محظية، وأم لولدين هما: عبد الله وعلي [10]، لكن أخبار هذه السيدة العبّاسية قليلة، مع

1- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص45؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص66؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص31.

2- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص230؛ الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص65.

3- تاريخ بغداد، ج2، ص102؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص145؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص27.

4- الجاحظ: رسائل الجاحظ باب رسائل القيان، ص188؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص67.

5- الشابشتي: الديارات، ص205؛ الأبشبهي: المستطرف، ص151؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص70.

6- تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص187؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص246؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص38.

7- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص247؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص79.

8- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص150؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص80، أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص46.

9- يُذكر بأن مُحمّد بن السفّاح في المجالس كان يلوي قضيباً من الحديد، فيرمي به إلى أخته ريطة، فتُرجعه إلى وضعه الأوّل، يُنظَر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص188.

10- الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص118؛ بانيا أبوت: ملكتان في بغداد، ص72؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص32.

علوّ منزلتها، ويُلاحظ أنها لم تكن تزاحم الخيزران يوماً، وهو أمر يبعث على الدهشة وأنها كانت حتى سنة 159 هـ/757 م هي السيدة الوحيدة في البلاط العبّاسي، وكانت تنعم بثقة المنصور وإكرامه حتى إن الخليفة المهدي نفسه كان محباً ومكرماً لها [1]، ولم يصدر عنه شيء ما يخالف آراءها، وهذا يؤكد تأثير الخيزران العظيم في المهدي، وإذا لم تحاول ريطة شيئاً ضدها، فلأنها كانت تعلم أنه لا فائدة من ذلك.

رابعاً: جواري وقَهْرَمَانَات أبي مُحمَد موسى الهادي (169ـ170هـ/785ـ786م) [2]

هو الخليفة الرابع في قائمة السيوطي من خلفاء بني العبّاس. اتصفت خلافة الهادي بقصر مدة حكمه؛ إذ أقام فيها سنة وأشهراً[3]، فعد الخلافة استمراراً لأحوال والده المهدي الذي أوصاه بقتل الزنادقة، والجد في متابعة شرورهم، وأوصاه في احترام حق أخيه الرشيد بالخلافة[4]، فكان عهده يتميز باستحواذ أمّه الخيزران على شؤون الحكم، بالتعاون مع البرامكة، وبالميل إلى ابنها الرشيد على حساب الهادي [5]، كما كان للهادي جواريه الخواص، علماً أن الهادي لم يتولّ أحد من أولاده الخلافة من بعده، على الرغم من كثر أعدادهم.

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص178؛ الخربوطلي: المهدي العبّاسي، ص65.

2- الهادي: هو مُحمّد بن المهدي بن عبد الله. وُلد بالري سنة 147 هـ، كان حسناً جميلاً، وأبوه المهدي يسمّيه ريحانتي. ولي الخلافة في محرم سنة 169 هـ، كان فصيحاً وأديباً، وطارد الزنادقة. اشتهر الهادي بقساوة القلب وشراسة الاخلاق وصعوبة المراس مع الجود والسماحة، كان غيوراً جداً على النساء، مات سنة 170 هـ، يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 280-281.

3- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص159؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص271.

4- الدينوري: عيون الأخبار، طبعة القاهرة، ص275؛ النويري: نهاية الأدب، ج6، ص156.

5- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص328؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص38؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص30.

1 ـ الخيزران والهادي:

استمرت الخيزران بالتدخل في شؤون الحكم على نحو ما، بدأت في خلافة زوجها المهدي [1]؛ إذ أرادت الاحتفاظ بما وصلت إليه -حينئذ- من مكانة ونفوذ لكن سياسة الهادي تتناقض مع توجيهاتها، وتطلّعاتها، فنهاها، وزجرها بقسوة [2]، ممّا لم تشهد مثله في عهد الخليفة المهدي، فضلاً عن أنه كان غيوراً على نسائه، ويمنع الخيزران من التدخّل في شؤون حريمه [3]، ممّا أدى إلى المواجهة بينهما، انتهت بمقتل الهادي، وارتقاء الرشيد للخلافة، بفضل تخطيط الخيزران، وإرادتها[4].

ويُذكر بأن الخيزران سألت الهادي يوماً، بخصوص أحد رجالاتها، هو عبد الله بن مالك[5]، كان مدير شرطة المهدي، فردّ الهادي طلبها، ورأى من العسير تلبية طلبها هذا، فألحّت في الطلب، وأبدت غضبها [6]، ممّا أثار الهادي، وصاح على أمّه: «لئن بلغني أنه قد وقد ببابك أحد من قوّادي، أو من خاصتي، أو خدمي؛ لأضربن عنقه، ولا قبضن ماله، فمَن شاء، فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك كل يوم؟ أَ مالكِ مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك؟! إياك إياك أن تفتحي بابك في حاجة لمسلم، أو ذمّيّ» [7]. واتهمها بالاستبداد والتدخل بشؤون الخلافة، وفي دسّ أنفها في أمور الدولة الخطيرة [8]، فعملت على قتله، ويُقال إن الهادي حاول قتل أمّه بالسم، فبعث لها لوناً من ألوان الطعام، وقيل (الأرز)، ولكن الجارية خالصة حذّرتها من ذلك، فأطعمت كلباً منه، فمات في الحال [9]، لكن محاولته لم تنجح، وانتهت بانتصار الخيزران، وارتقائها وابنها هارون الرشيد

1- الثعالبي: ثمار القوب، ص215؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص75؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص39.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص330؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص160.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص189؛ الأبشهي: المستطرف، ص153.

4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص78؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص27؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص47.

5- عبد الله بن مالك: أحد رجال الدولة العبّاسية. تولّى مهاماً كثيرة؛ منها مدير الشرطة في عهد المهدي، ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن هذه الخدمة التي طلبتْها الخيزران من الهادي، يُنظَر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص185.

6- الثعالبي: ثمار القلوب، ص81؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج1، ص145.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص422؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص30.

8- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص326؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص185؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص48.

9- الصابي: الوزراء، ص59؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج7، ص120؛ نابيا آبوت: ملكتان في بغداد، ص؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص110.

للخلافة[1]، ممّا أدى إلى زيادة في غضب الخيزران، وقد عملت على قتله، عندما كان معتلاً بمرض قرحة في المعدة [2].

2.الجارية غادر:

التي نجهل أصلها . تُعرف أنها كانت أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكانت محظية لدى الهادي [3]، فكان الهادي يتوجّس - دائماً - الأسوأ من كل فرد لحياته، ولاسيما من ولي العهد هارون الرشيد، بالاستعانة بجواريه[4]، مثلاً في مدة راحة، لمجلس طرب، تحييه غادر، يفاجئ الهادي حاضريه بالقول بأني سوف أموت، وهارون يتزوج جاريتي غادر، عند توليه الخلافة[5]، وهارون يحاول نفي ذلك[6].

3. الجارية أمة العزيز:

هي فارسية الأصل. كانت - في البدء - جارية للربيع بن يونس (وزير الهادي)، فأهداها للخليفة الهادي [7]، كان يتمتع بجمالها وشبابها، ويُذكر بأنها أصبحت محظية لدى الهادي، وظفرت بإعجابه، وحملت له أكبر ولديه [8].

4. الجارية رحم (رحيم):

هي - كسابقتها - فارسية النسب، وَلدت للهادي (جعفراً) [9]، ولا تذكر المصادر العبّاسية كيفية وصولها، ولا مصيرها داخل البلاط العبّاسي.

1- الشهر ستاني: المِلَل والنِّحَل، ج1، ص229؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج2، ص235، المنجد : بين الخلفاء والخلعاء، ص32.

2- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص62؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية ص174.

3- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص57؛ البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص72؛ ماجد عبد العظيم: العصر العبّاسي الأوّل، ص49.

4- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص74؛ القرماني: أخبار الدول، ص89.

5- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص316؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص33؛ مصطفى جواد : سيدات البلاط، ص39.

6- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص130؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص188.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة بيروت، ج4، ص125؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، ج5، ص110.

8- الجاحظ: المحاسن والأضداد، طبعة بيروت، ص112؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة بيروت، ج4، ص126.

9- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج6، ص175؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة بيروت، ج4، ص126؛ نابيا آبوت: ملكتان في بغداد، ص78.

أما زوجات الخليفة الهادي؛ فأولهما : لبابة: كانت ابنة جعفر بن الخليفة المنصور[1]، والثانية: عبيدة ابنة غطريف شقيق الخيزران [2]. ولما كانت المصادر التاريخية لا تذكر تاريخ زواجه هذا، ولما كان أكبر من هارون، فلابد أن هذا الزواج قد تم قبل زواج هارون سنة 165 هـ/ 781م لابنة عمه زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور.

ويُذكر أن مجموع أولاد الهادي سبعة ذكور وابنتان في حياته القصيرة التي لم تدم كثيراً[3]. أما بقية الجواري وأولاده؛ فلا شأن لهم في التاريخ العبّاسي، لا في كثير، ولا قليل.

خامساً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي جعفر هارون الرشيد (170 ـ 193هـ/786ـ808م) [4].

هو الخليفة الخامس من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس. وتُمثل خلافة الرشيد العصر الذهبي لبني العبّاس، بما يتميّز عهده في اليُسر والرخاء والترف[5]، وكان الرشيد يستجيب لهذا التطور، ويتفاعل معه، وساعده على ذلك شبابه الغضّ، وقصر أبيه الذي أُنشئ بجانب الرصافة[6]، ورجاله الذين حملوا أعباء الحياة، ومسؤوليات الملك، ومهّدوا له سُبل الترف وأسباب النعيم وحلقته الشعرية وشراء الجواري؛ من أمثال إبراهيم الموصلي، وابنه إسحق[7]، وكان الرشيد يتشبّه في أفعاله بالمنصور خليقاً بالإمارة، إلا في

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة بيروت، ج4، ص127؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص79.

2- ابن الطقطقي: الفخري، ص187؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، ج5، ص111.

3- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص118؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص132.

4- هارون: هو هارون بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، لقبه الرشيد لرشاد عقله، ووُلد سنة 148هـ، حينما كان والده والياً على الري. كان جميلاً شهماً وشجاعاً وحازماً وصاحب دين وسُنّة مثلما قيل، وكان يغزو سنة، ويحج سنة، ويصلي في كل يوم مائة ركعة، وكانت وفاته بطوس سنة 193 هـ، يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 284-285.

5- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص214؛ ابن القفطي: أخبار الحكماء، ص142.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص287؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة الدوحة، ج5، ص114.

7- الثعالبي: ثمار القلوب، ص217؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص215؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص78.

بذل المال، فإنه لم يرَ خليفة أسمح منه بالمال[1]، وشهد عصره ازدياد نفوذ أسرة البرامكة في بغداد، بقيادة جعفر بن يحيى البرمكي، وولده الفضل، ممّا دعا بالشخصيات العربية في البلاط إلى مقاومتهم؛ أمثال الوزير الفضل بن ربيع، والسيدة زبيدة[2]، وانتهى ذلك الصراع بين العرب والفرس إلى حدث من أحداث التاريخ البارزة في تصفية استعادة الرشيد سلطانه الذي فقده لهم[3].

أما بالنسبة لدور الجواري والقَهْرَمَانَات في عهد الرشيد؛ فقد ظهر الكثير منهن على مسرح قصر الخلد نتيجة الترف في البلاط العبّاسي وقصور دار الخلافة وولع الرشيد في اللهو وعقد مجالس الطرب[4]، ولاسيما مساهمات الخيزران وهيلانة القَهْرَمَانَة ومجمع الجواري والوصيفات داخل قصر الخلد وخارجه[5]؛ أمثال غضيض وفتنة وذات الخال، وفيما يأتي وصفاً لأشهرهنّ:

1. أمّ الرشيد الخيزران:

بما ان الرشيد كان الابن الأفضل لدى خيزران، هذه السيدة - على مدى عقدين وأكثر - مطلقة اليد، وتتصرف في شؤون المملكة، بتشجيع من الخليفة وإداراته الدولة البرمكية[6]. كانت تأمر وتنهي دون أدنى اعتراض من أحد[7].

ويُذكر أن الخيزران كانت متشوّقة للبطش أكثر من الرشيد نفسه[8]، وأرادت – منذ البداية - تأمر بقتل كل مَن تسرّع في خلع الرشيد عن ولاية العهد، ودعا إلى بيعة جعفر

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص268؛ المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص336.
2- الصابي: الوزراء، ص59؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص156؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص32.
3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص321؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص173؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص66.
4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص71؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص25 مصطفى جواد: سيدات البلاط، ص29.
5- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص226؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص287.
6- الشهرستاني: الملَل والنِّحَل، ص147؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص25؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص34.
7- يُذكر أن يحيى بن خالد البرمكي كان يعرض على الخيزران بعض الأمور التي تخصّ الدولة، ويريد مساعدتها في تسيير سفينة الدولة، في كثير من البراعة والحذر، لأن الخليفة هارون أطلق يد يحيى؛ ليتصرف كيفما يشاء، ويحكم على النحو الذي يخدم مصلحة الخيزران، وبعد أن عدّ ان هذه الخطوة سوف ترضي الرشيد وأمّه، وأنها لا تثير في نفسها قلقاً وحرجاً. يُنظَر: ابن القفطي: أخبار الحكماء، ص79؛ الجومرد: هارون الرشيد، ج2، ص365.
8- المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص 338، الثعالبي: ثمار القلوب، ص210، الجومرد: هارون الرشيد، ج2، ص366.

بن موسى الهادي[1] من القواد ورجال الحاشية، لولا اعتراض يحيى البرمكي على سياستها، حتى صرفها عن ذلك تدريجياً[2].

أ ـ أعمال الخيزران في عهد الرشيد:

إن امتلاك الخيزران للجواري والاهتمام بمجالس الأدب والطرب لم تمنعها من القيام بأعمالها، فقد حجّت سنة 171 هـ/787م[3]. أثناء وجودها في الحج، اشترت المكان الذي وُلد فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم)[4]، وفيه بُني مسجد عليه، أَسمتْه بمسجد الميلاد [5]، كما تملّكت الأرض القائمة إلى جانب منزل آل الأرقم [6]، وسمّتْه بمنزل الخيزران، بعد أن أقامت فوقه بناءً خيرياً خاصاً [7]، فضلاً عن إقامتها مشربة، وماء للسبيل، لندرة الماء في طريق الحج [8]، وأقامت مشربة أخرى في الرملة، من أعمال فلسطين، تحمل اسمها للغرض نفسه [9]، وثالثة في الأنبار، من العراق، سمّتْه الريان لغزارة مائه[10]. ويُذكر بأن الخيزران كانت تمتلك إقطاعات كثيرة حول بغداد، وفي مكان غير

1- القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص220؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص85؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص69.

2- أمثال إبراهيم الحراني: وزير الهادي، فقد حبسته في بيت يحيى بن خالد، إلى أن سألها الرضى عنه، وتخلية سبيله، والإذن في الانحدار، ومعه مُحمّد بن سليمان، إلى البصرة، فأجابتهم إلى ذلك. يُنظَر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص260.

3- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص89؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص75.

4- أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ): صفة الصفوة (حيدر أباد، دائرة المعارف العثمانية، 1935 م)، ج3، ص55.

5- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص77؛ الأبشيهي: المستطرف، ص170؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص139.

6- كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجتمع ويصلي مع أتباعه من المسلمين حين كان في مكّة، وكان منزل الأرقم يُدعى بيت الإسلام، وهو مكان له جلالة وقدرة وقداسة عند المسلمين في ذلك العهد، واشترتْها الخيزران. يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص475.

7- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص162؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص161؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص24.

8- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة دمشق، ج4، ص237؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص189.

9- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص67؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص115.

10- كانت المشربة في مكان يمتلكها جعفر البرمكي في مكّة، وعندما قُتل جعفر، أخذتها الخيزران، وعندما توفيت، انتقلت المشربة أو السبيل إلى زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد. يُنظَر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص340.

معروف، يُدعى الخيزرانية[1]، وأجمع المؤرخون أن الخيزران كانت كثيرة الثراء، وتمتلك الكثير من القصور والأملاك، وتشرف على إدارتها بواسطة وكلائها [2]. وكان للخيزران كاتب، يدير لها شؤونها المالية، هو عمر بن مهران [3] الذي خدم هارون الرشيد بعد ذلك، وتذكر المصادر أن ابن مهران هذا كان بارعاً في عمله، وأنه أرسل للخيزران يوماً كشفاً بالمصاريف والحسابات، فكتبت له شعراً، تُشعره بوصول كتابه، وتطلب منه المضي في أعماله على الشكل الذي يراه موافقاً للمصلحة [4]، لتظل عطاياها متواصلة إليه.

توفّيت الخيزران سنة (173هـ/789م) على نحو ما يذكر البيروني: تجاوز عمرها الخمسين عاماً، على أثر مرض مفاجئ [5]، وتألم الرشيد كثيراً لفقدانها، وكان يوماً مهيباً لدى العبّاسيين، فقد خرج لتشييعها كبار أمراء ورجال الدولة، حتى إن الرشيد أخذ بقوائم النعش، وسار حافياً إلى مقابر قريش، وأتوا بماء، فغسل رجليه، وصلى في الناس عليها[6].

2. هيلانة القَهْرَمَانَة:

هي مجهولة الأصل، كانت من مقتنيات الوزير يحيى بن خالد البرمكي الذي أهداها للرشيد في مناسبة غير معلومة [7]؛ إذ إنها تنتسب إلى صنف القَهْرَمَانَات من الجواري، إلا أن المصادر تشير إليها كإحدى محظيات الرشيد كذلك[8]، وسكنت في حجر قصر الخلد ثلاث سنوات، ثم توفّيت خلال عهده[9]، ويشير ابن الجوزي، إلى أن الرشيد حزن عليها حزناً عظيماً، فامتنع عن الأكل والشرب بسببها[10] وفيما عدا ذلك، لا نعرف شيئاً عن وظيفتها كَقَهْرَمَانَة.

1- أبو إسحق إبراهيم بن مُحمّد الفاسي الأصطخري (ت 321هـ): مسالك الممالك (ليبزك: طبعة ليدن، 1927م)، ص204.

2- الشابشتي: الديارات، ص118؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص75.

3- عمر بن مهران: كان يكتب للخيزران فقط، ويوصف بأنه كان أحول ومشوّه الوجه وخسيس الثياب، ويرطب نبلاً، فوطأ مصر في عهد هارون الرشيد.

4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص166؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص290.

5- (ت 440هـ) الآثار الباقية عن القرون الخالية (طبعة ليبزك، برول هاوس 1923م)، ص72.

6- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص179؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص69.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص195؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص291.

8- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص189؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص288، أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص30.

9- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص60؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص88.

10- الوسائل إلى مسامرة الأوائل، ص76؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص292.

3. الجارية غضيض:

هـي فارسـية الأصـل، اشـتراها الرشـيد بمبلـغ خمسـة آلاف دينـار، مـن سـوق بغـداد، لبيـع الجـواري [1]، وهـو سـعر واطـئ جداً، مقارنـة بالأثمـان التـي تُدفع للجواري الشـهيرات، وكانـت - فـي الأصـل - بمعيـة مظلومـة، جاريـة عبّاسـة بنـت المهـدي أخـت الرشـيد [2]، وأصبحت إحدى حظاياه، وهـي أمّ لابنته حمدون، وماتت في خلافة الرشيد أيضاً [3].

4 ـ الجارية فتية:

كانت - في باديء الأمـر - لجعفـر البرمكي، نديم الرشيد في مجالس الشعر والطرب[4]، صَنْعتُها الغناء، اشتراها جعفر بمائة ألف دينار، فطلبها الرشيد منه، إلا أن جعفر أبى، وأراد الاحتفاظ بها[5]، ثم اصطفاها له بعد مقتل سيدها جعفـر، ومنذ - حينئذ - امتنعت عـن الغناء[6]، وقاومت كل محاولات الرشيد لإجبارها على الأداء. بمحضر من فتيات قصره جميعاً، حتى إن ذلك كلّف - في النهاية - حياتها[7]، بعد ثلاثة أيام من الضرب المبرح لها، فلحقت بسيدها جعفر البرمكي دلالة على ولائها لسيدها . [8]

5 ـ الجارية ذات الخال:

هي - كسابقتها - من أصول فارسية [9]، كانت لإبراهيم الموصلي، تثقّفت على يديه، ويقال إن اسمها خشف، أما صَنْعتُها؛ فهي الغناء، وتوصف بأنها كانت من أجمل النساء، وأكملهن[10]، وعن طريق إبراهيم الموصلي وأشعاره، بلغ خبرها الرشيد،، فاشتراها

1- البروني: الآثار الباقية، ص73؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص118؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص288.

2- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص95؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج6، ص70.

3- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص180؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2 ص70.

4- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص80؛ نابيا آبوت: ملكتان في بغداد، ص85.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص212؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص91.

6- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص225؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج2، ص291.

7- وكان لها خال فوق شفتها العليا . يُنظَر: ابن الساعي. نساء الخلفاء، ص39؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص205.

8- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص269؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص89؛ المنجد : بين الخلفاء والخلعاء، ص44.

9- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص170؛ ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص149.

10- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص161؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص125؛ مصطفى جواد سيدات البلاط، ص22.

لقاء سبعين ألف درهم نقداً [1]، وهو ثمن عالٍ لجارية صَنّعتُها الغناء، وقد حصلت على حظوة خاصة، حتى إن الرشيد كان يهديها هدايا ثمينة، ويلبّي طلباتها، حتى بشأن تعيين حموية الوصيف على البلاد، مثل: استجابته لطلبها بتعيين حموية الوصيف في بلاد فارس على الحرب والخراج لسبع سنين، وكتب عهده به، وشرط على ولي العهد مُحمّد الأمين بعده أن يتمّها له، إن لم يتمّ في حياته [2].

6 ـ الجارية مراجل:

هي فارسية الأصل[3]، اشتراها الخليفة هارون الرشيد في بلاد فارس، بسعر غير معلوم، وأصبحت زوجة الخليفة، وأمّ ولد لابنه الخليفة السابع عبد الله المأمون[4]، وحياتها قصيرة؛ لأنها ماتت في نفاسها بالمأمون سنة 170هـ/ 786م[5]، وأخبارها تكاد تكون معدومة.

7 ـ الجارية دنانير:

كانت صفراء مُولّدة من الحجاز، كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكي، وتصف بأنها كانت من أحسن الناس وجهاً، وأظرفهم، وأكملهم أدباً، وأكثرهم رواية للغناء والشعر، وكان اعتمادها في غنائها على ما أخذتْه من الجارية بذل [6]، ويُذكر بأن الرشيد دعا بدنانير بعد البرامكة، فأمرها أن تغني، فقالت: «يا أمير المؤمنين، إني أبيت ألا أغني بعد سيدي أبداً».[7] فغضب، ولكنّ؛ رقّ لها الرشيد، وأمر بعتقها. فانصرفت[8]، وانتهت أخبارها.

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص199؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص92، أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص45.

2- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص171؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص270، النويري: نهاية الأرب، ج6، ص92.

3- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص151؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص174.

4- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص79؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص182.

5- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص184؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص188.

6- الأصفهاني: الأغاني، طبعة بولاق، ج14، ص105؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص94.

7- كانت قد غنت:

يا دار سلمى بنازح في السند
من الثنايا ومسقط اللبد
لما رأيت الديار قد درست
أيقنت أن النعيم لم يعد

يُنظَر الأصفهاني، الأغاني، طبعة بولاق، ج14، ص105.

8- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص180؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص94.

والخلاصة أن الرشيد كان يفضّل - خلال عهده - امتلاك الجواري الجميلات المتعلّمات[1]، فكلما كثر علم الجارية وثقافتها، زاد وقعها عند الخليفة [2]، وكان - في بعض الأحيان - يرسل نديمه خلف الأصمعي (ت213 هـ/828م)؛ ليفحص الجواري المعروضات عليه قبل شرائهن؛ لتقدير علمهن ومعرفتهن من العلوم [3]، كما زاد في عهده أعداد الحريم في البلاط العبّاسي، بما كان يضم إلى بلاطه من الجواري الحاذقات، ويستبدل فيهن الجواري اللواتي تقدّم بهن العمر باليافعات [4]، أما زوجته الرسمية الحرة؛ فهي السيدة أمة العزيز الملقّبة بزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، تزوجها سنة 160هـ/776م في حياة أبيه المهدي، فولدت له مُحمّد الأمين [5]، وتزوج من أخرى، وهي أمة العزيز، كانت لأخيه موسى الهادي، فولدت له علي بن الرشيد [6]، كما تزوج من أمّ مُحمّد بنت صالح، وتزوج من العبّاسة (ابنة عمّه سليمان غير أخته العبّاسة)، وهي بنت سليمان بن أبي جعفر، فزفّتا إليه في ليلة واحدة سنة 187هـ/802م بالرقّة [7]، وتزوج من عزيزة بنت الغطريف، وهي بنت خالة (أخي أمّه خيزران) [8]، وتزوج من ابنة عبد الله بن مُحمّد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان، ويقال لها الجرشية (لأنها وُلدت بجرش في اليمن) [9]، وتوفي الخليفة هارون عن أربع زيجات: زبيدة والعبّاسة وابنة صالح والجرشية، وأما ما يُذكر من الحظايا؛ فيقول بعضهم إنه كان في البلاط العبّاسي، في زمن الرشيد حوالي أربعة آلاف جارية من السراري الحسان [10]، علماً أن الرشيد تولى من بعده ثلاثة من أولاده الخلافة؛ هم الأمين والمأمون والمعتصم.

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص210؛ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج6، ص93.

2- الأبشيهي: المستطرف، ص88؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص222؛ نابيا أبوت: ملكتان في بغداد، ص80.

3- الأصمعي: هو أبو سعيد عبد الملك: لغوي بصري من المشاهير، تلميذ أبي عمرو بن العلاء، ومن كتبه الخيل، والإبل، والأصمعيات، يُنظَر: لويس معلوف: المنجد، ص52.

4- الثعالبي: ثمار القلوب، ج2، ص95؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص149.

5- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص84؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص119.

6- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص33؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص85؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص22.

7- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص188؛ ابن كثير: البداية والنهاية (طبعة بيروت)، ج10، ص222.

8- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص61؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص87.

9- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص189؛ أبو الفداء: المختصر من أخبار البشر، ج2، ص190.

10- الأبشيهي: المستطرف، ص190؛ الوشاء الموشي، ص25؛ السيوطي: المستظرف، ص21.

سادساً: جواري وقَهْرَمَانَات
الخليفة أبي عبد الله مُحمَد الأمين (193-198هـ/808-813م) [1].

كان الأمين على خلاف مَن سبقه من الخلفاء هاشميي النسب من أبيه الرشيد وأمّه زبيدة، وهو الخليفة السادس في قائمة خلفاء بني العبّاس، لم يزد عمره - عندما قتل سنة (198هـ/813م) - عن عشرين عاماً [2]، إلا أن خلافته اتصفت بسوء التدبير، وكثرة التبذير، وضعف الرأي [3]، فوزيره الفضل بن الربيع (ت202هـ/818م) [4] علم بأن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون لم يُبقِ عليه، فأغوى الأمَين به، وحثّه على خلع المأمون، بتشجيع من أمّه زبيدة سيدة البلاط العبّاسي حينئذ. كما أن توليه العهد لابنه موسى بن الأمين [5]،كان الأمر الذي أشعل الفتنة أو الحرب الأهلية بين الأخوين منذ سنة195هـ/810م، وتراجع الأمين لانهماكه في اللعب والجهل، زادت من أمر المأمون، حتى فسد الحال على الأمين جداً، وفاز المأمون بالخلافة، لكنه لم يعد إلى بغداد إلا في 204هـ/854 [6]؛ إذ كان في مدينة مرو. كان الأمين - خلال خلافته (193-198هـ/808-813م) - قد بنى عدداً من القصور، وطلب لهما الملهين، وأجرى لهم الأرزاق [7]،وأكثر الغلمان الخصيان على حساب النساء والجواري، فمن جواريه بقصر المنصور [8] كل من:

1- الأمين: هو مُحمّد بن هارون الرشيد، وُلد بالرصافة سنة 170هـ، وهو أول خليفة عبّاسي من أبوين هاشميين، ولي الخلافة سنة 193هـ، ومن صفاته أنه كان فصيحاً، ويحب البلاغة والأدب، وكان يحارب الزنادقة، ويطاردهم، وكان منفقاً للمال، بنى بنايات كثيرة للنزهة، وفرشها بأنواع البسط والحرير، ودارت حروب طاحنة بينه وبين المأمون الذي كان على رأسهم طاهر بن الحسين الذي دخل بغداد، واستباح حرمتها، وقتل الأمين سنة 198هـ. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص303-304.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص41؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص166.

3- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص128؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص354.

4- الفضل بن الربيع: كان حاجب المنصور العبّاسي، ووزير الرشيد بعد نكبة البرامكة، أقره الأمين في الوزارة، وعمل على مقاومة المأمون. يُنظَر: لويس معلوف: المنجد، ص415.

5- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص167؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص27؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص147.

6- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص183؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص191.

7- ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص89؛ ابن الطقطقي الفخري، ص166؛ أبو الفداء المختصر من أخبار اليد، م2، ص76.

8- البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص77؛ البيروني: الآثار الباقية، ص25؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص186.

1 ـ الجارية بذل:

كانت من مولدات المدينة[1]، ابتاعها جعفر بن مُحمّد الهادي، ولكنّ؛ بحيلة من قبل الأمين، اشتراها منه[2]، كانت صَنّعتُها الغناء، وتجيده، فقد قيل إنها تجيد ثلاثين صوتاً، فكانت تغني بحضور إسحق الموصلي ثلاثة أصوات، تعلّمتها من سيد الغناء إبراهيم الموصلي[3]، ويشير المسعودي إلى أن بذل ظلّت من دون زواج، على الرغم من الفرص الكثيرة التي توافرت لها من القوّاد والكتاب؛ إذ احتفظت بحياتها داخل حجر قصر المنصور حتى وفاتها سنة (199هـ/814م)[4].

2 ـ الجارية عريب (181ـ277هـ/767ـ890م):

تدّعي بعض الروايات أن عريبا هي ابنة الوزير المخلوع جعفر البرمكي، وسُرقت - وهي صغيرة [5] - لتُباع في سوق بغداد لبيع الجواري، فاشتراها الأمين بمبلغ سبعة عشر ألف دينار [6]، كانت صنعة عريب - كقريناتها من الجواري - الشعر والغناء، وكانت تتصف بحسن الوجه، وتجيد الطرب والضرب على العود، وبإتقان لعب الشطرنج [7]، وأغلب الظن أن نسبها إلى جعفر البرمكي لا يبدو صحيحاً، ومحاولة من ممتلكها لترغيب الخلفاء لبضاعتها، لأن المدة بين سقوط البرامكة وخلافة الأمين ليست بعيدة، لو كانت ابنة البرامكة، لما غابت عن أعين ممثلي الخلافة.

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص215؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص409.

2- الحيلة التي استعملها الأمين للحصول على بذل: أن الأمين رأى يوماً جعفر بن موسى الهادي، ودعاه للشراب، ثم زاد الأمين عليه بالشرب، حتى ثمل، فانصرف الأمين، واخذ الجارية بذل، وترك مكانها مبلغاً من المال: يُنظَر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص166.

3- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص42؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص28؛ الدينوري: نهاية الأرب، ج6، ص207.

4- مروج الذهب، ج3، ص29؛ ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص157؛ السيوطي: المستظرف، ص31.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص217؛ الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص117.

6- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص184؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص167.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص218؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، (طبعة الدوحة)، ج2، ص493.

3 ـ الجارية فريدة:

كانت من مولّدات الحجاز[1]، ونشأت فيه، وكانت تسمّى بفريدة الكبرى، تمييزاً لها عن الجارية فريدة الصغرى في عهد الخليفة الواثق (227-232هـ/ 841-846م)[2]. كانت - منذ البدء - في صحبة ربيع بن يونس حاجب الرشيد، فتعلّمت الغناء والشعر في داره[3]، ثم صارت إلى البرامكة، وبعد زوال نفوذهم، هربت فريدة لجهة مجهولة[4]، ولم يعلم بخبرها وقتئذٍ، وَجَدَ الرشيد في طلبها، فلم يعثر عليها[5]، ثم ظهرت في عهد الأمين. بقيت في البلاط العبّاسي مدة، إلى أن قُتل الأمين سنة 198هـ/813م[6]، وبعدها؛ خرجت من البلاط، وتزوجت من شخص باسم هيثم بن بسام، فولدت له ولد هو باسم عبد الله، ثم مات[7]، فتزوجها مجهول آخر باسم السندي بن الجرشي، وتوفّيت عنده سنة 220هـ/835م.[8].

4 ـ الجارية ضعيف:

نجهل أصلها. كانت مغنية وشاعرة في قصر الأمين، فتطيّرت من اسمها، فدعا الأمين مرة لكي تغني برفقة إبراهيم بن المهدي، فتطيّر الاثنان من غنائها، فقال - حينها- الأمين: والله؛ ما أظن أمري إلا قريب[9]، وقُتل بعد ليلتين من السنة 198هـ/813م [10]، والمعلومات عنها قليلة.

1- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص291؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص178؛ نابيا أبوت: ملكتان في بغداد، ص81.

2- الأبشيهي: المستطرف، ص185؛ ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص28؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص142.

3- ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين، ص107، علي حسن إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام، ص407.

4- التنوخي: الفرج بعد الشدة، ص74؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص230؛ عبد العزيز الدوري: العصر العبّاسي الأوّل، ص188.

5- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص153؛ فيليب حتي، تاريخ العرب، ص381.

6- الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص230؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج3، ص161.

7- الصابي: رسوم دار الخلافة، ص154؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص121؛ نابيا أبوت: ملكتان في بغداد، ص85.

8- الصولي: أمالي، ص143؛ ابن القفطي: تاريخ الحكماء، ص149؛ مصطفى جواد : سيدات البلاط العبّاسي، ص51.

9- الأصفهاني: الأغاني، ج14، ص189؛ الوشاء: الموشي، ص34؛ السيوطي: المستطرف، ص23.

10- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص245؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص182.

ويشتهر الأمين بخادمه كوثر، أحد عناصر مجلس الطرب عنده[1]، وقد يكون هذا قَهْرَمَان قصر الخلافة في هذا العهد.

5 ـ الجارية نظم (اللهف):

هي فارسية الأصل. اشتراها الأمين بمبلغ عشرين ألف درهم من سوق الرقيق في بغداد [2]، عاشت حياة قصيرة داخل قصر الخلافة، ماتت، فاشتد حزن الأمين وجزعه عليها. يُذكر بأن السيدة زبيدة دخلت معزّية له [3].

سابعاً: جـــواري وقَهْرَمَانَات أبي العبّاس المأمون (198ـ218هـ/813ـ833م) [4].

هو الخليفة السابع من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس. اتصفت مدة حكم المأمون بالترف والبذخ، ودامت خلافته مدة طويلة [5]، وقد قلنا إن أمّه أمّ ولد، يقال لها مراجل: وهي باذغيسية الأصل [6]، ويتحدّر المأمون عن المنصور في حزمه، ومن أعماله، أنه غزا في سنة 215هـ/ 831م وما يليها إلى الروم فاتحاً حصن قرة عنوة، وحصن ماجدة، ثم سار إلى دمشق، ومنها إلى مصر، ودخلها سنة 216هـ/832م، وهو أول مَن دخلها من الخلفاء العبّاسيين [7]، ثم عاد إلى دمشق في 217 هـ/833م، وازدادت واردات الدولة

1- الايشبيهي: المستطرف، ص190؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص299؛ لسترانج، بغداد في عهد الخلافة العبّاسية، ص235.

2- ابن عبدربه: العقد الفريد، طبعة بيروت، ج5، ص118؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص299.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص120؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص128.

4- المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد، وُلد سنة 170هـ في ليلة توفي فيها عمّه الهادي، وولي أبوه هارون الخلافة، وكان أفضل رجال بني العبّاس حزماً وعزماً وحلماً وهيبة وشجاعة، ولم يلِ الخلافة أعلم منه، وتأدب على يد الكسائي واليزيدي، وكانت وفاته بطوس، في مكان يُدعى بدنرون سنة 218هـ: يُنظَر: السيوطي تاريخ الخلفاء، ص306-307.

5- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص74؛ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص139؛ مصطفى جواد، سيدات البلاط العبّاسي، ص32.

6- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص161؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص310.

7- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص215؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص170.

كثيراً، بسبب ما غنمه من الغنائم في هذه الحروب [1]، ومن الطبيعي أدى هذا إلى ظهور الكثير من الجواري، وانضمام أعداد منهن إلى البلاط العبّاسي، منهن الآتي:

1 ـ الجارية عريب:

انتقلت - بعد مقتل الخليفة الأمين - إلى أخيه المأمون [2]، وأسمت نفسها عريب المأمونية، وهي إحدى الحظايا. اشتُهرت بجمالها وأدبها وديوان خاص بها [3]. ويُذكر أن عريب كانت توقّع - فضلاً عن صنعتها كمغنية وشاعرة - على رقاع مكاتبات منثورة ومنظومة [4]، مثل رقعتها إلى المأمون، عندما خرج من بلدة فم الصلح[5]، وكانت تتوسط لدى المأمون في الأمور المهمة، مثلاً إن إبراهيم بن المدبر [6] لما سُجن، التجأ لعريب؛ لتسعى له عند المأمون في إخراجه، فوعدها الخليفة بما تحب، ثم أطلقه [7].

ويُذكر أن المأمون كان يحبّ المجالس التي توجد فيها عريب؛ لأنها - في رأيه - مجالس أنس ومرح [8]، وتزوجت من أحد جلساء المأمون، وهو مُحمّد بن حامد، ومهرها عنه أربعمائة درهم [9]، ويُذكر بأن الجارية عريب كانت قد اجتمعت بعلية بنت المهدي، وجالستها [10]، وكانتا متنافستين في الفن، ولا تُسمع لإحداهن شهادة على الأخرى[11]، واجتمعت بإبراهيم بن المهدي كذلك، حتى إن عريباً امتدحت اليوم الذي التقت به عليه

1- التنوخي: الفرج بعد الشدة، ص171؛ الثعالبي: لطائف المعارف، ص138؛ السيوطي المستظرف، ص24.

2- الصولي: أمالي، ج2، ص145؛ لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العبّاسية، ص238.

3- الأبشيهي: المستطرف، ص191؛ ابن الساعي: مشاهير النساء، ص148.

4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص151؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص75.

5- فم الصلح: بلدة تقع على فوهة نهر الصلح المتخلج من نهر دجلة فوق واسط من الجانب الشرقي بينهما وبين جبل عليه قرى عدة، يُنظَر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج6، ص130.

6- إبراهيم بن المدبر (ت: 280 هـ/893م): ولي البصرة، كان من كتاب المترسلين أخباره كثيرة مع عريب، يُنظَر: لويس معلوف: المنجد، معجم الأعلام، ص14.

7- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص76؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص41.

8- أبو بكر مُحمّد بن يحيى الصولي: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق (القاهرة: مط الهادي، 1936)، ص81.

9- الشابشتي: الديارات، ص64؛ الوشاء: الموشي، ص27؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص237.

10- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص81؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص171.

11- الأصفهاني: الأغاني، (طبعة دمشق)، ج15، ص212؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص35.

وإبراهيم بأنه أحسن يوم مرّ به في الدنيا، وأطيبه[1]. وماتت الجارية والشاعرة والمغنية عريب سنة 277 هـ/890 م خلال حكم الموفّق، ودُفنت بالتربة في الرصافة[2].

وكانت عريب تنتقل لدى أولاد الخلفاء، فضلاً عن الخلفاء العبّاسيين، وكانت تنتقل من خليفة إلى آخر؛ مثلاً من الأمين إلى المأمون، ومن المعتصم إلى الواثق، وبعده المُتوكِّل، ولكنّ؛ ظل اسمها عريب المأمونية[3].

2 ـ الجارية تزيف:

هي من مولّدات البصرة [4]، وصلت إلى المأمون من أحد تجّار الرقيق في البصرة مقابل مبلغ، قدره عشرون ألف درهم [5]. يُذكر بأنها كانت بارعة الحسن والجمال، وبديعة الظرف، موصوفة بالكمال [6]، ويقال بأن الخليفة المأمون قدّمها على سائر حظاياه [7]، ويُذكر لما مات المأمون، قصرتْ نفسها على البكاء عليه، واشتدّ حزنها، وأقبلتْ ترثيه، وتنوح عليه، وتبكيه [8]، حتى ماتت سنة 219هـ/814م، ودُفنت في سرّ مَن رأى [9].

3 ـ الجارية بدعة:

هي فارسية الأصل [10]. أهداها المأمون إلى الجارية عريب لخدماتها الخاصة، وقيل بأنها – الأخرى – كانت شاعرة ومغنية [11]، وأعتق عريباً. وتوفّيت سنة 302هـ/914م في عهد المقتدر [12].

1- الوشاء: الموشي، ص28؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص22.
2- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص168؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص185.
3- الأبشيهي: المستطرف، ص172؛ الوشاء: الموشي، ص26؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص40.
4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص265؛ السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص32.
5- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج6، ص118؛ عمر كحالة: أعلام النساء، ج1، ص172.
6- الأبشيهي: المستطرف، ص176؛ الوشاء: الموشي، ص34، السيوطي: المستظرف، 33.
7- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج6، ص118؛ الأصفهاني: الأغاني، ج16، ص125.
8- من شعارها: ياملكاً لستُ بناسيه ... نعي لأن العيش ناعيه
والله، ما كنتُ ارى أنني ... أقوم في الباكين أبكيه
يُنظَر: السيوطي: المستظرف، ص33.
9- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج6، ص118؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص139.
10- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص77؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص41؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص51.
11- ابن الجوزي: أخبار الظرفاء والمتماجنين، ص65؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص172.
12- ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص148؛ الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص245.

4 ـ الجارية مؤنسة:

هي رومية الأصل [1]. لا تذكر المصادر كيفية وصولها إلى قصر المأمون، مع أنه يمكن أن تكون قد وصلت إليه عن طريق غزواته الناجمة في بلاد الروم، ويُذكر بأنها أصبحت محظية لدى المأمون، وسُمّيت بمؤنسة المأمونية [2]، وكانت تعتني بوزير المأمون أحمد بن يوسف، وهو - بالمقابل - كان يقوم بتسهيل خدماتها، وتلبية حوائجها، ثم انتقلت مع المأمون، عندما أصبح في الشماسية [3]، وكانت مؤنسة أنيسة المأمون في المجالس، إلا أننا لا نعرف كيف انتهت سيرتها.

أما الزوجة الرسمية للمأمون؛ هي بوران بنت الحسن بن سهل[4]، وذكر أكثر المؤرخين أن ليلة زفافها كانت من الليالي التي أنفقت فيها ملايين الدراهم، ولا يعرف أن للمأمون منها ولد [5].

هذه هي صورة لحياة بعض الشهيرات من الجواري والقَهْرَمَانَات في العصر العبّاسي الأوّل، وهي صورة تُبرز الرخاء والترف، وتدل على ما ساد ذلك العصر من حضارة وثراء واستقرار. ولكن المأمون لم يترك وريثاً له للخلافة من بعده.

1- ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص56؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الأوّل، ص273.

2- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص144؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص28؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج2، ص434.

3- الأبشيهي: المستطرف، ص76؛ أبو الفداء: المختصر من أخبار البشر، م2، ص184.

4- البيروني: الآثار الباقية، ص81؛ البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص161؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص51.

5- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص171؛ الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص245.

الفصل الثالث:

أحوال الجِواري والقَهْرَمانَات
في قصور الخلفاء العبّاسيين
خلال عصر الهيمنة التركية

أولاً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي إسحاق المعتصم (218ـ227 هـ/813ـ841م) [1]:

هو الخليفة الثامن من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس، يتصف عهد المعتصم بالله بدخول الأتراك في ديوان الدولة، حتى قيل إن عدد غلمانه الأتراك بلغ بضعة عشر ألفاً [2]، كما يرتبط بخطوة نقل العاصمة من بغداد إلى سرّ مَن رأى، والأهم اعتناء الخليفة في اقتناء الكثير من الجواري والقَهْرَمَانَات [3]، فبعث ممثليه إلى سمرقند وفرغانة والنواحي لشرائهم [4]، وبذل فيهم الأموال الكثيرة، وألبسهن أحسن اللبس وأنواع الديباج ومناطق الذهب [5].

وارتأى المعتصم أن الدولة العبّاسية واسعة الأطراف، لابد من حراستها بجيش قوي[6]، فاستكثر من الأتراك الذين تمكنوا من التحكم في السلطة، والتدرج في سلم الجندية، ووصلوا إلى أعلى المراتب، وأدرّ عليهم الأرزاق [7].

وحرص الخليفة المعتصم على احتفاظ الأتراك بصفاتهم الجسمانية والنفسية التي اختارهم من أجلها، وأن يحتفظوا بدمائهم، فلا تختلط أنسابهم بغيرهم، حتى لاتضعف عصبيتهم [8].

1- المعتصم: هو مُحمّد بن هارون الرشيد، وُلد سنة 180هـ، ومن صفاته، كان ذا شجاعة وقوة وهمة، وكان قليل العلم، أشد الناس بطشاً، وكان يسمّى بالخليفة المثمّن، حارب الروم سنة 222هـ، وانتصر عليهم. توفى المعتصم سنة 227هـ/ 841م. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 335-336.

2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص172؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج2، ص63.

3- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص110؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص193.

4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (طبعة القاهرة)، م4، ص1164؛ المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص172.

5- الصابي: الوزراء، ص12؛ فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، ج2، ص259؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج2، ص240.

6- عريب: الصلة، ص22؛ ابن كثير: البداية، ج10، ص112؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص5.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة القاهرة، م.3، ج4، ص1165؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص173.

8- الصفات التي يحملها الأتراك جعلهم مميّزين، ويختلفون عن الفرس؛ مثل حسن هندامهم، وجمال منظرهم، وشجاعتهم، وتمسكهم بأهداف الإسلام سبباً لاعتماد المعتصم عليهم. يُنظَر: المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص20.

ولهذا السبب جلب أعـداداً كبيرة مـن الجواري التركيات، للاقتـران بالجنود الأتـراك[1]، وأجـرى للجـواري التركيات أرزاقاً بشكل دائـم، وثبّت أسماءهـن في دواويـن خاصة بأرزاق الجواري، ووضـع شـرطا علـى أن لا تحصل مفارقة بينهن وبين أزواجهن [2]، والسبب الآخر الذي دفع المعتصم للاعتماد فـي حكمه على العنصر التركي هـو انحداره مـن أمّ تركـية، تُـدعى ماردة: كانت قـد نشأت فـي الكوفـة [3]، وانتقلت إلى قصر الخليفة هارون الرشيد عـن طريق أحـد تجّار الرقيق مقابل دفع مبلغ سبعة آلاف درهم [4]، وكانت من أحظى النساء لدى الرشيد، بسبب حسنها وجمالها [5]، إلا أن المصادر لا تُدوّن أي حوادث عنها خـلال عهد سيدها الرشيد، أو ابنـها المعتصم، التي ماتت سنة 225هـ/ 839م، ودُفنت داخـل قصر الخلافة في سرّ مَن رأى [6].

أما أشهر الجواري اللاتي أصبحن من ضمن حريم دار الخلافة في عهد الخليفة المعتصم؛ كل من الجارية قرة العين المعتصمية، والجارية سكنة، والجارية شجاع.

1 ـ الجارية قرة العين المعتصمية.

هـي جاريـة متحدّرة مـن أصـول تركية [7]، وصلت إلى قصـر الخلافة بمبلـغ عشرة آلاف درهـم، عندما دفعت لتاجر من تجّار الرقـيق فـي بغداد [8]، لم يرد اسمه في المصادر، صنعتُها أديبة ماهرة فـي إلقاء الشعر والقصة، عاشت داخل البلاط العبّاسي حياة مترفة[9]، وماتت سنة 222هـ/ 836م، عن عمر غير معروف، ودُفنت بالتربة في الرصافة، ويقال إن المعتصم جزع عليها كثيراً [10]، ممّا يدل على علو منزلتها لدى الخليفة.

1- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص41؛ أبن خلدون: العبر، م3، ق4، ص751.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة القاهرة، م3، ص353؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص92.

3- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص72؛ العصامي: سمط النجوم، ص357؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص35.

4- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص158؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص357، مُحمّد كرد علي: الإدارة الإسلامية، ص158.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص162؛ مجهول: العيون والحدائق، ق1، ج4، ص118.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة القاهرة، م3، ج4، ص1174؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص188.

7- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص163؛ ابن العماد: شذرات الذهب، طبعة الدوحة، ج3، ص151.

8- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة القاهرة، م3، ج4، ص1174؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص74.

9- الأصفهاني: الأغاني، ج14، 119؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص179.

10- المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص119؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص162.

2 ـ الجارية سكنة:

هي تركية الأصل، من إحدى مدن ما وراء النهر، وصلت إلى بغداد منذ صغرها[1]، وكانت ملكاً لدى سيدها محمود الوراق، فأهداها إلى الخليفة المعتصم لنيل الحظوة لديه[2]، وصنعتّها شاعرة وأديبة ومغنية وعارفة بالآلات الموسيقية، وكانت حظية لدى المعتصم لمدة طويلة[3]، إلا أن أخبارها غابت عن المصادر بعد وفاة المعتصم 227هـ/ 841م.

3 ـ الجارية قيم الهاشمية.

عُرفت بصنعتها وأدبها، كانت من مولّدات البصرة[4]، فاشتراها - في البدء - علي بن هاشم[5] (لذا؛ سُمّيت بقيم الهاشمية)، ثم تزوجها، واستولدها[6]، وبعدها اشتراها المعتصم بمبلغ ثلاثين ألف درهم من سيدها الأوّل[7]، فأُعجب بها المعتصم كثيراً، وأصبحت محظية داخل قصر المعتصم[8]، وانقطعت أخبارها، ولا نعرف مصيرها.

وفيما عدا ذلك لا تذكر المصادر العبّاسية شيئاً عن الجواري الشهيرات لديه، كما نجهل الزوجة الرسمية للخليفة المعتصم، مع أنه من المرجّح أن تكون قراطيس أمّ الواثق، علماً أن المعتصم أنزل وريثَين في الخلافة: هما الواثق والمتوكل.

1- ابن عبد ربّه الأندلسي: العقد الفريد، ج9، ص165؛ الكتبي: فوات الوفيات، م2، ج4، ص48.

2- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص71؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج4، ص157.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م3، ج4، ص1175؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص59.

4- التنوخي: الفرج بعد الشدة، ص81؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص197؛ العمراني: مهذب الروضة، ص74.

5- علي بن هاشم: تاجر للعطور في البصرة (معلوماتنا عنه قليلة). يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص210؛ الأبشيهي: المستطرف، ص185؛ الوشاء: الموشي ص28؛ مُحمّد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب، ص167.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص98؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص189.

7- الوشاء: الموشي، ص28؛ السيوطي: المستطرف، ص34؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص40.

8- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص151؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص163.

ثانياً: جـواري وقَهرَمانَات
الخليفة أبـي جعفر الـواثق بالله (227ـ232هـ/841ـ846م) [1]:

هو الخليفة التاسع في قائمة السيوطي من خلفاء بني العبّاس، كان الخليفة الواثق قد تبنّى النهج الذي سار عليه والده المعتصم في إدخال الجواري التركيات إلى البلاط العبّاسي [2]، وبارتقاء شخصية الواثق الضعيفة مقارنة بسلطة المعتصم، نرى ظهور سيطرة واضحة للجواري على أغلبية أمور هذا الخليفة ودار الخلافة، متمثلة بالجارية فريدة الصغرى، والجارية شارية، وأم الخليفة الجارية قراطيس، ونبدأ بأشهرهن، وهي:

1 ـ الجارية فريدة الصغرى [3]:

تركية الأصل، انضمّت إلى قصر الواثق عن طريق الإهداء، أهداها له شخص، باسم «عمرو بن بأنه» المغني[4]، ويُقال بأنها كانت حسنة الوجه، وحادة الفطنة والفهم، وربما بسبب جمالها، وصنعتها في الأدب، والغناء أصبحت حظية لدى الخليفة الواثق[5]، وبلا ريب أن تسميتها بالصغرى هو تميّزها عن واحدة، تُعرف بفريدة الكبرى في عهد الخليفة الأمين (193-198هـ/808-813م)، وكان الواثق قد أوكل إلى الجارية شارية تعليم فريدة الصغرى فنون الغناء والموسيقى[6]، إلا أن شارية تجاوزت ذلك إلى تعليمها فنوناً أخرى مكملة لعمل الجارية، وبمرور الوقت، أصبحت شارية من أصحاب النفوذ بين حاشية الواثق[7]، حتى يقال

1- الواثق: هو هارون بن المعتصم، وُلد سنة 196هـ. ولي الخلافة بعهد من أبيه، بويع سنة 227هـ/ 841م، استخلف في سنة 228هـ/842م أشناس التركي، وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً. يُعدّ أول خليفة عبّاسي استخلف سلطاناً تركياً، وكان الواثق وافر الأيدي، توفي بمرض الاستسقاء سنة 232هـ. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 342-343.

2- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص181؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص142.

3- فريدة: أول ما نقرأ في تاريخ العرب اسم فريدة ندرك أنها جارية من الجواري، لا حرة؛ لأنه من أسماء الجواري المملوكات عند العرب، فحتى الآن: البيوتات العربية لا تزال تسمّي الجواري الحبشيات فريدة؛ إذ تعني الدرة الكبيرة البيضاء، فإذا سمّت بها السوداء؛ فذلك من تسمية الشيء بضده. يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في اللغة، ص650.

4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص177؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص74.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص164؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص147.

6- المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص120؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص80.

7- الصابي: الوزراء، ص165؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص32؛ السيوطي: المستظرف، ص24.

إنها شفعت لإسحق الموصلي عند سيدها للعفو عن زلّته التي ارتكبها بشأن المعتصم، بمناسبة تدشين قصره بالميدان، والسماح بحضور مجلسه، حتى رضي عنه[1]، لأجل عيني الجارية فريدة الصغرى. وتكررت الرواية بين الأخوين الواثق والمتوكل حول الجارية فريدة الصغرى[2]، مثلما حدث بين موسى الهادي وهارون الرشيد حول الجارية غادر، والتي أمست – في النهاية – زوجة الخليفة المُتوكّل [3].

2 ـ الجارية شارية:

تركية المنشأ [4]. كانت – في بادئ الأمر – بقصر المعتصم، في سرّ مَن رأى، انتقلت بعد وفاة المعتصم إلى الخليفة الواثق [5]، وكما قلنا إنها كانت تعلّم بقية الجواري فنون الغناء والموسيقى، ولم تذكر المصادر مصيرها.

3 ـ الجارية قراطيس:

هي على خلاف الجواري اللاتي ورد اسمهن في أعلاه، رومية الأصل. وصلت إلى قصر الخلافة عن طريق الحرب مع الروم أيام المعتصم[6]. كانت قراطيس عندما ضُمّت السبايا والغنائم العائدة للخليفة، فضمّها المعتصم لحاشيته[7]، ولا نعرف شيئاً سوى أنها ماتت سنة 230هـ/844م[8].

4 ـ الجارية قلم الصالحية:

هي تركية النسب[9]. سُمّيت بقلم الصالحية نسبة لمالكها الأوّل صالح بن عبد الوهاب[10]. أخذت صفة الموسيقى والغناء عن إبراهيم الموصلي، وابنه إسحق[11]، ثم

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص1179؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص83.
2- مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص72؛ فيليب حتي: تاريخ الرب المطول، ج1، ص332.
3- الصابي: الوزراء والكتّاب، ص166؛ المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص124، السيوطي: تاريخ المستظرف، ص25.
4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م 4، ج3، ص1180؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص345.
5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص84؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص73؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص72.
6- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص35؛ النويري: نهاية الأرب، ج5، ص195؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص80.
7- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص246؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص123.
8- الأصفهاني: الأغاني، ج16، ص137؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص130، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص171.
9- الأبشيهي: المستطرف، ص152؛ الوشاء: الموشي، ص32؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص162.
10- لم نعثر له على ترجمة في كتب تراجم الرجال والأعلام.
11- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص1182؛ مُحمّد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب، ص170.

اشتهرت حتى صار مشاهير المغنين يغنّون ألحانها[1]، ويُذكر بأن شهرتها لفتت أنظار الخليفة الواثق، فاشتراها بمبلغ غير معلوم، واستخلصها لنفسه، وماتت في حياة الخليفة الواثق سنة 230هـ/ 844م[2].

أيّ من الجواري كانت تعمل قَهْرَمَانَة داخل قصر الخليفة الواثق؟ لا نعرف عن ذلك شيئاً، يُذكر، علماً أن الواثق خلف وريثاً له في الخلافة هو المهتدي بالله.

ثالثاً: جواري وقَهرَمَانَات
الخليفة أبي الفضل المُتوكِّل على الله (232-247هـ/846-861م) [3]:

هو الخليفة العاشر من خلفاء بني العبّاس في قائمة السيوطي. كان يتصف عهد الخليفة المُتوكِّل بظهور أجناس متنوعة وبأعداد كبيرة من الجواري الرومية والأندلسية والتركية واليمامية[4]. وكما شهد عهده تقريب المتقدمين من الشعراء وأهل الطرب، وحظوا في دولته بنصيب وافر من المال[5]، ويقال إنه كان له أربع آلاف سرية[6]، ومن الجواري اللاتي كانوا في البلاط العبّاسي أيام خلافته الجارية قبيحة أمّ ولد، والجارية فضل الشاعرة، والجارية إسحق، والجارية بنان، والوصيفة محبوبة، والجارية ناشب، ونبدأ بأبرزهن وأشهرهن الجارية - وهي زوجته - قبيحة:

1- الأبشيهي: المستطرف، ص163؛ السيوطي: المستظرف، ص34؛ المنجد بين الخلفاء والخلعاء، ص40.
2- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص151؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص163.
3- المُتوكِّل: هو جعفر بن المعتصم بن الرشيد. وُلد سنة 205هـ، بويع له بالخلافة سنة 232هـ بعد الخليفة الواثق، استقدم المحدثين إلى سامراء، وأجزل لهم العطاء، وأكرمهم، وأمرهم أن يتحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية، فحصلت كوارث طبيعية كثيرة، وبايع بولاية العهد المنتصر، ثم المؤيد. قُتل سنة 247هـ. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 335-336.
4- اليمامة: تذهب الجواري إلى اليمامة؛ لتتعلم الثقافة العربية والآداب الإسلامية ويُربّين على الفصاحة والبلاغة، ويُدرّبن على الإنشاد والإيقاع والعزف والغناء. يُنظَر: الأصفهاني: الأغاني: ج12، ص145.
5- الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص125؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص85.
6- الثعالبي: ثمار القلوب، 123؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص29؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص65.

1 ـ الجارية قبيحة:

جارية رومية الأصل[1]. يُذكر بأنها كانت رائعة الجمال، ومن حظايا المُتوكِّل الخاصة[2]، حتى إنها كتبت على خدها بالمسك (جعفراً)[3]، لشدة عدم صبره عنها، وكانت بتصرفاتها تسرّ المُتوكِّل، وكانت قد اتبعت طريقة مثلى لكسب المُتوكِّل وإرضائه أثناء غضبه[4]؛ مثلاً: أمر الخليفة المُتوكِّل بحبس الشاعر علي بن الجهم[5]، الذي استجار بقبيحة مستغنياً بها من ندماء المُتوكِّل الذين يحرّضونه عليه، ويُغرونه لقتله، فاستطاعت - بمنزلتها لدى المُتوكِّل - امتصاص غضب الخليفة على الشاعر[6]، وبعدها؛ أرسلت إلى الشاعر ابن الجهم؛ لتطمئنه، وأمّنته من الهلاك[7].

ويبرز دور الجارية قبيحة أكثر في عهد ابنها المعتز الخليفة العبّاسي الثالث عشر من سلم الخلفاء، وكانت - على الرغم من كثرة ثروتها - شحيحة، بل امتنعت في توظيف ثروتها من أجل إنقاذ ولدها من مؤامرات الأمراء الأتراك، وبطشهم به[8]، أمضت مدة من حياتها في مكّة، بعد أن نفاها الأمير المتحكم بالخلافة صالح بن وصيف، ثم سمح لها الخليفة المعتمد بالرجوع إلى سامراء، توفّيت سنة 264هـ/877م[9].

1- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص1183؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص191.

2- الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص127؛ مُحمّد بن سلام الجمحي: طبقات الشعراء (بيروت: مط دار النهضة العربية، 1968م)، ج2، ص149.

3- وقيل:

وكاتبة بالمسك في الخدّ جعفراً ... بنفسي مخط المسك من حيث أثرا

لئن أودعت سطراً من المسك خدها ... لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، 350.

4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص98؛ فيليب حتي: تاريخ العرب، ص357.

5- علي بن الجهم (ت 249هـ/863م) شاعر بغدادي، كان معاصراً لأبي تمام. غضب عليه المُتوكِّل لهجائه وسعاياته، فنفاه إلى خراسان، ثم حبسه في بيت طاهر بن عبد الله، وصلبه يوماً كاملاً مجرداً، ثم انتقل إلى حلب، وخرج يريد الغزو، فقتله فرسان من بني كلب. يتميّز شعره بالرقّة، وله شعر في حبسه وصلبه. يُنظَر: لويس معلوف: المنجد، ص378.

6- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص129؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص98.

7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص1188؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص67.

8- الشابشتي: الديارات، ص242؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص172؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص180.

9- الثعالبي: ثمار القلوب، ص148؛ السيوطي: المستطرف، ص24.

2 ـ الجارية فضل الشاعرة:

كانت ذا مكانة مرموقة في العصر العبّاسي في سرّ مَن رأى لدى المُتوكّل[1]، وهي من مولّدات اليمامة، انتقلت إلى البصرة عندما اشتراها تاجر كبير، يُدعى مُحمّد ابن الفرج الرجخي[2]، بعشرة الآف درهم مقابل محاسنها كشاعرة وأديبة وكاتبة بارعة[3]، والتي تقف وراء أسباب غلاء ثمنها. وكانت مرغوبة من صنعتها، حتى قيل عنها -حينئذ- بأنها من أحسن الخلق حظاً، وأفهمهم كلاماً، وأبلغهم في المخاطبة، وأثبتهم في المحاورة[4]، وكانت تهاجي الشعراء، وتجتمع عندها الأدباء، كما لها في الخلفاء والملوك مدائح كثيرة[5]، يقال إن أبا العيناء (ت 283هـ/896م)[6]، أهداها للمتوكل، ومن أخبار سيرتها أنها كانت تخوض مع الشعراء بالامتحانات الشعرية المعقودة بقصر الخلافة، وتجتازها بنجاح في حضور الخليفة المُتوكّل[7]، غير أن ضعفها وقلة جمالها هما اللذان لم يؤهّلاها لتتبوأ مركز سيدة في البلاط العبّاسي[8]. وشعر الجارية فضل يُعرض عند الطلب، ويُصان، ويُحتفظ عند كساد السوق[9]؛ مثل البضاعة، وكانت زوجة الخليفة قبيحة أمّ المعتز تأمر الفضل في تنظيم أبيات حسب أهوائها؛ لتكون وسيلة لها؛ لإرضاء الخليفة المُتوكّل[10].

ومن مناقبها، كانت تتعصّب لأهل مذهبها (الشيعة)، وتقضي حوائجهم عند الخليفة المُتوكّل[11]، وعندما عشقت سعيد بن حميد، وكان أكثر الناس نصباً وانحرافاً عن

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص189؛ السيوطي: المستطرف، ص25، مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص62.

2- الرجخي: تاجر كبير للأقمشة في البصرة. يُنظَر: الزركلي: الأعلام، ج3، ص201.

3- الأبشيهي: المستطرف، ص135؛ أبو عبد الرحمن السلمي: الظرف والظرفاء: تح: نور الدين مرسية (القاهرة: مط الكتاب العربي، 1953)، ص45.

4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص1189؛ ابن عبد ربّه الأندلسي: العقد الفريد، ج9، ص20.

5- مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص170؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص190؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص54.

6- أبو العيناء: وُلد سنة 192هـ/807م، وهو شاعر ظريف، اشتهر بسرعة الجواب والهجاء، اتصل بالخليفة المُتوكّل، وله معه أخبار ونوادر. يُنظَر: لويس معلوف المنجد، ص21.

7- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص195؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، (طبعة القاهرة)، ص426.

8- القالي: أمالي الذيل، ص150؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، طبعة القاهرة، ص426.

9- ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص706؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، طبعة القاهرة، ص426.

10- الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص152؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، طبعة الهند، ص360.

11- الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص 195؛ الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص69.

آل البيت (عليهم السلام)[1]، كانت فضل غاية في التشيّع، فلما هوتّه، انتقلت إلى مذهبه (نجهل المذهب الذي كان عليه)، ولم تزل فضل على ذلك، إلى أن توفّيت سنة 269هـ/835م[2].

3 ـ الجارية إسحق:

هي من أصول أندلسية، وصلت إلى الخليفة المُتوكِّل عن طريق الشراء من أحد تجّار الرقيق في سرّ مَن رأى، لقاء مبلغ سبعة الآف درهم[3]، وولدت للمتوكل كلاً من المؤيّد وإبراهيم والموفّق طلحة، توفّيت سنة 270هـ/883م، ودُفنت في الرصافة، في دار السلام[4].

4 ـ الجارية بنان:

هي تركية النسب[5]. وصلت إلى المُتوكِّل، كسابقتها عن طريق تجّار الرقيق مقابل عشرة الآف درهم، وكانت شاعرة ومحظية لدى المُتوكِّل[6]، وكان من عادة المُتوكِّل الاتكاء عليها في المشي داخل القصر، ومعها الجارية فضل الشاعرة[7]، وسمّاها الخليفة - شخصياً - ببنان؛ لأن أصابع يديها كانت ذات قوام جميل، تستخدمها ببراعة أثناء إلقائها الشعر[8]، توفّيت بنان سنة 230هـ/844م، ودُفنت بجانب الجارية إسحق الأندلسية في الرصافة بمدينة السلام [9].

1- الشابشتي: الديارات، ص97؛ الذهبي: المشتبه، ص427؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج، ص292.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، في حوادث سنة 279هـ، طبعة بيروت، ج3، ص132.

3- وصفها المُتوكِّل بأنها مخلصة، وذات أخلاق عالية، وبعد وفاتها، طلب المُتوكِّل من الشاعر علي ابن يحيى المنجم تعزيته بأبيات، قال:

فإن به تقوى وفضلاً مبرزاً وإخلاص صدق زادهن التهذيب

يُنظَر: الأبشيهي، المستطرف، ص136.

4- الأصفهاني: الأغاني، ج19، ص127؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، طبعة بيروت، م3، ص185.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، في حوادث سنة 279هـ، طبعة بيروت، ج3، ص132.

6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، في حوادث سنة 279هـ، طبعة بيروت، ج3، ص132.

7- الثعالبي: ثمار القلوب، ص351؛ الذهبي: العبر، ج2، ص210؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص352.

8- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص177؛ أبو جعفر الهاشمي: المحبر، ص46.

9- ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعة بيروت، ج4، ص162؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص215.

5 ـ الوصيفة محبوبة:

هــي تركية الوالديــن، نشــأت بالطائــف، وعاشت مـدة في البصرة[1]، كان أمـير خراسان عبد الله طاهـر، قد أهداها إلى المُتوكِّل، مـع جملـة مـن الجـواري، يقـدّر عددهـن بحوالي أربعمائة جاريـة مختلفة الألـوان، عامتها جواري السواذج[2]، وتتصف بأنها كانـت رائـعة الجمال، وأشعارها تُعجب المُتوكِّل[3]، وهـي التـي أنشدت أبياتاً لقبيـحة، عندمـا كتبت على خدها لفظ جعفر. وبعد مقتل المُتوكِّل، ظلت لمولاها في البلاط العبّاسي، وهي مرهاء [4] متسلية [5]، ثم هاجرت من سرّ مَن رأى، واستقرت في بغداد [6]، وصارت من بعد (بغا) أحد قوّاد الأتـراك [7]، ولما أعتقها، احتُجزت في بغداد لقاء الناس، حتى ماتت سنة 250هـ/ 864م[8].

6 ـ الجارية ناشب:

تركية الأصل[9]. كانت من المغنيات الشهيرات بالحذاقة وجودة الصنعة، وصلت إلى قصر المُتوكِّل بمبلغ سبعة آلاف درهم، من سرّ مَن رأى[10]، وكانت حظية لدى المُتوكِّل، وتقترن

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص225؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص108.

2- السواذج: الجارية غير المدرّبة على أي لون من ألوان الفنون. يُنظَر: مُحمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح (بيروت: مطـ دار الكتاب العربي، 1967م)، ص450.

3- يُذكر بأن المُتوكِّل كان في مجلس، رفع إلى محبوبته تفّاحة مغلّفة، فقبّلها (احتراماً لمهديها)، وانصرفت، وأحضرت رقعة مكتوباً عليها:

يا طيب تفاحة خلوت بها تشعل نار الهوى على كبدي

أبكي إليها، فأشتكي دنفي وما ألاقي مـن شدة الكحد

4- مرهاء: مرهق عينها؛ أي أحمر بياضع بواطن أجفانها لترك الكحل. يُنظَر: ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص183.

5- متسلية: هي السلاب؛ أي لبس ثياب المأتم اللون الأبيض في العصر العبّاسي. يُنظَر: ابن منظور: المصدر ذاته، ج7، ص223.

6- ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعة بيروت، ج4، ص162؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص215.

7- هو قائد تركي اشتُهر في عصر المعتصم وخلفائه. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص355.

8- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص370؛ فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، ص362.

9- ابن دحية: النبراس، ص112؛ الجمحي: طبقات الشعراء، ج2، ص154؛ عمر كحالة: أعلام النساء، ج1، ص145.

10- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص192؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص139.

باسمه، حتى كانت تُعرِّف نفسها بناشب المتوكلية[1]، وفيما عدا ما ذُكر، لا نعرف شيئاً عن عملها داخل قصر الخلافة.

7 ـ الجارية مخارق:

لا نعرف أصلها، لكنها كانت إحدى محظيات المُتوكِّل، وتمتّعت بمنزلة أمّ ولد لديه، وولدها المستعين بالله الخليفة الثاني من بني العبّاس[2].

8 ـ الجارية فتيان:

رومية الأصل، وإحدى محظيات المُتوكِّل، أمّ ولده المعتمد على الله، الخليفة الخامس عشرة من قائمة خلفاء بني العبّاس[3].

9 ـ الجارية حبشية:

هي من محظيات المُتوكِّل، ومن المتقدمات في بيته، ولدت له ابنه المنتصر بالله الذي تولى الخلافة بعد[4]، والذي شارك هو -شخصياً- في مقتله، بالتعاون مع الأمير بغا بن الكبير (ت248هـ/862م)، واعترف -شخصياً- لأمّه -بدوره- في قتل والده: "يا أماه، بي جلت أي؛ فعولجت"[5].

ومن بين مجموع الجواري، كانت فريدة الصغرى هي الزوجة الرسمية للمتوكل التي كانت قد انتقلت له من الواثق بعد إعتاقها[6].

يُعدّ مقتل الخليفة المُتوكِّل أنموذجاً من حالة التدخّل التي كانت تشهد قصور الخلافة العبّاسية على يد الجواري والمحظيات، بالتعاون مع ولاة العهود، وممثليهم

1- الشابشتي: الديارات، ص227؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص192.
2- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج8، ص179؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص172.
3- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص175؛ الأصفهاني: الأغاني، ج14، ص219.
4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص194؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص370.
5- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص370؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص357.
6- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج10، ص192؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص194.

من كبار أمراء الخلافة عن فِرَق الحجرية والماصفية والفِرَق الأخرى على نحو ما تُظهره أدبيات ومصادر المدة، متمثلة بالحالات التي مثّلها أولاد المُتوكِّل المنتصر بالله[1]، والمستعين بالله[2]، والمعتز بالله [3].

أنفق المُتوكِّل الكثير لتوفير الجوّ المناسب لجواريه وحظاياه ووصائفه بمختلف ألوانهم، ممّا سبب أزمة مالية خانقة في المركز، وأصبح هو أول ضحاياها سنة 247هـ/ 861م[4].

والسبب الآخر هو تقديم ابنه المعتزّ على المنتصر، لمحبته لأمّه الجارية، ولهذا؛ سعى المنتصر ابن المُتوكِّل من محظية حبشية؛ لقتل والده بيد أمراء الأتراك [5].

بدأت الجارية قبيحة بإبدال ثوب الركود إلى ثوب النشاط؛ لتستعدّ للتدخل في أمور الدولة، وأخذ الخلافة لابنها المعتز في خلافة المستعين[6]، وبعد حروب وكروب أصابت سرّ مَن رأى وبغداد عاصمة الدولة، انتهت بخلع المستعين سنة 252هـ/866م، ومبايعة المعتزّ بالخلافة، وشجّعت المعتز على التخلص من القواد الأتراك الذين كانت بأيديهم أمور الدولة [7]، مدّعية بأنهم يقفون وراء قتل والده [8]؛ إذ قالت له "يابني، اقتلهم

1- المنتصر بالله: هو مُحمّد بن المُتوكِّل، كنيته أبو جعفر، بويع للخلافة بعد مقتل أبيه المُتوكِّل سنة 247هـ/ 861م، وعادَى الأتراك، فنعتهم بأنهم قتلة الخلفاء، فتحيّلوا إلى طبيبه ابن طيفور أن يدسّ السم بفصد بريشة مسمومة، فمات على الفور. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص357.

2- المستعين بالله: هو أحمد بن المعتصم بن الرشيد، كنيته أبو العبّاس، وهو أخو المُتوكِّل، وُلد سنة 221هـ، بويع للخلافة سنة 251هـ، فتنكّر له الأتراك؛ لأنه قتل أتباع الأتراك: هما بغا ووصيف، ونفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكل، فانحدر المستعين من سرّ مَن رأى إلى بغداد، فحبسه الأتراك، وخلعوه، وبايعوا المعتز، وخلع المستعين سنة 252 هـ. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص358.

3- المعتز: هو مُحمّد، وقيل زبير، كنيته أبو عبد الله، وُلد سنة 232هـ، بويع له بعد خلع المستعين سنة 252هـ/866م، وتولى الخلافة، وعمره تسع عشرة سنة، أول مَن تولى ماتاشناس التركي الذي استخلفه الواثق على السلطنة، وقتل بيد الأتراك؛ لأنهم كانوا يطالبون بأرزاقهم سنة 255هـ/869م. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص358-359.

4- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص180؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص149.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص193؛ ابن الساعي: من نساء الخلفاء، ص93.

6- المسعودي: التنبيه والإشراف، ص190؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص253.

7- الذهبي: العبر، ج2، ص89؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص48؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص71. قرص ليزري.

8- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م3، ج4، ص1195؛ الذهبي: العبر، ج2، ص110؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص64.

في كل مكان، وأخرجت إليه قميص المُتوكِّل ملطّخاً بدمائه. فقال لها المعتز: يأماه، ارفعيه، وإلا صار القميص قميصين"[1]. إلا أن المعتز عندما تخلص من منافسة المستعين، استولى على ما كان له من المال والجواهر والجواري اللاتي كن زيجات للمستعين، وأصبحن حرائر بمقتله[2]؛ مثل الجارية قرب: التي كانت زوجة المستعين، وأُدخلت في عبودية المعتز مع جواريه[3].

إن بعض من تسميات الجواري المارّ ذكرهن من دون شك من قَهْرَمَانَات دار الخلافة في عهود هؤلاء الخلفاء، كل من المُتوكِّل وأولاده الثلاثة المنتصر والمستعين والمعتز، إلا أننا لا نستطيع ترجيح أيّ منهن، خدمن هذه الوظيفة.

رابعاً: جواري وقَهْرَمَانَات
الخليفة أبي إسحق المهتدي بالله (255ـ256هـ/868ـ869م) [4]:

هو الخليفة الرابع عشر من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس، يعدّ عهد الخليفة المهتدي بالله من المدد النادرة التي مرّت بها الدولة العبّاسية، على الرغم من كونها مدة قصيرة، لا تتجاوز السنة، إلا أنها مهمة في تاريخ الدولة العبّاسية؛ بسبب: أن المهدي كان قد عزم على إبادة الأمراء الأتراك الذين أهانوا الخلفاء العبّاسيين، وأذلوهم[5]،

1- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص180؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص110.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص227؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص118.

3- كان قتل المستعين بشعاً جداً؛ إذ فصل رأسه عن جسده، وعندما أُدخلوا برأسه على جواري المستعين - بحضور سيدتهم الجديدة قبيحة أمّ المعتز - كانت الجارية فتنة إحدى حظايا المستعين، وهي تركية الأصل، عندما شاهدت رأس المستعين، صاحت: وا سيداه! فشتمتْها قبيحة، وصاحت مرة أخرى: يا قوم، أخذتموني غصباً، ثم تجيئوني برأس مولاي المستعين، وتضعونه بين يديّ، فأمسكتْها قبيحة بالضرب المبرح. يُنظَر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص370؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص95.

4- المهتدي: هو مُحمّد بن الواثق. وُلد سنة (215هـ/830م). بويع للخلافة سنة 255هـ/868م، في حينها؛ أتى المعتز، فقام المهتدي، وسلم عليه بالخلافة، وجلس بين يديه، فجيء بالشهود، فشهدوا على المعتز بأنه عاجز عن الخلافة، وبايع المهتدي. قُتل المهتدي على يد الأتراك سنة 256هـ/869م. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 262-263.

5- مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص188؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج7، ص79.

على الرغم من عدم نجاحه في ذلك، والثاني تبنّي المهتدي في خلافته إلى طرح الملاهي، وتحريم الغناء[1]، ونفي الجواري والقيان المغنين والشاعرات جميعاً من سرّ مَن رأى ومن بغداد إلى واسط بعيداً عن عاصمة الدولة العبّاسية[2].

فيختلف المهتدي عن بقية الخلفاء الذي سبقوه، حتى شُبّه عهده بالخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز[3]؛ لأنه كان يحمل من الصفات مثل الورع والتقوى ومخافة الله حتى قيل عنه إنه لم يزل صائماً منذ وُلّي، إلى أن قُتل[4]، وعاش حياة التقشّف في الأكل والملبس[5]، ونظراً لأعمال هذا الخليفة الصالح لم يظهر للجواري والقيان دور في فعاليات قصور الخلافة تتحدث عنه المصادر، مع أن الحقيقة تبقى أن والدة المهتدي نفسه هي أمّ ولد، تعود للخليفة الواثق[6]، ونجهل أي معلومة عنها.

خامساً: جواري وقَهْرَمَانَات
الخليفة أبي العبّاس المعتمد على الله (256ـ279هـ/869ـ892م) [7]:

هو الخليفة الخامس عشر من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس، يتصف قصر الحسني للخليفة المعتمد على الكثير من الجواري، ولاسيما عندما غيّر المعتمد نهج عمّه الخليفة المهتدي، وقرّر رجوع الجواري والقيان والمغنيات والشاعرات إلى العاصمة العبّاسية التي انتقلت من سرّ مَن رأى إلى بغداد سنة 256هـ/868م [8].

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص268؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص 133.
2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص370؛ فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، ص362.
3- المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص39؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص263؛ فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، ص327.
4- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص65؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11. ص170.
5- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص268؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5. ص208.
6- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص192؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص140.
7- المعتمد: هو أحمد بن المُتوكّل بن المعتصم. وُلد سنة 229هـ/843م لما قُتل المهتدي، كان المعتمد محبوساً بالجوسق في شمال بغداد، أخرجوه، وبايعوه، وحدثت حوادث كثيرة في أيامه؛ أمثال ثورة الزنج والروم، مات محجوراً سنة 279هـ. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 363-364.
8- الصولي: الأوراق، ص63؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص89؛ فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، ص366.

الصفة المهمة في هذه الخلافة هي مشاركة ولي العهد الموفّق طلحة أخاه المعتمد شؤون الحكم والخلافة[1]، تاركاً المعتمد منهمكاً في اللهو والملذات، وملأ قصوره بالجواري الجميلات[2]، أمثال الجارية نبت، والجارية فلانة، ممّن كنّ تحت خدمة أمّه الرومية الأصل فتيان إحدى محظيات والده، كما ذكرنا[3] ونبدأ بوصف أبرزهن دوراً وتأثيراً في قصور الخلافة:

1 ـ الجارية نبت:

هي تركية النسب[4]، ومغنية، وشاعرة، سريعة الهاجس، التحقت بقصر الحسني للخلافة أثناء عرضها على الخليفة المعتمد من قبل تاجر رقيق في بغداد، امتحنها بالشعر والغناء، ونجحت فيها، وحتى في الكتابة، فوافق المعتمد عليها[5]، واشتراها بمبلغ ثلاثين ألف درهم، وعاشت داخل القصر الحسني للخلافة[6]، إلا أنها كانت بعيدة عن التدخل في أمور الدولة، ولم تكن لها مواهب سوى صنعتها وإلماماتها الشعرية. توفّيت سنة 270هـ/ 883م[7].

2 ـ الجارية خلافة:

جارية تركية النسب والهيئة[8]. كانت قد استحوذت على خيال المعتمد، وتقدمت عنده على حساب الجارية نبت[9]. اشتراها بمبلغ أربعين ألف درهم. دخلت قصر الخلافة الحسني[10]، واحتفظت بمواهب متعددة؛ أهمها إجادة صناعة الغناء، وإلقاء الأشعار

1- الأبشيهي: المستطرف، ص43؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص41؛ النويري: نهاية الأرب، ج5، ص219.
2- الشابشتي: الديارات، ص139؛ التنوخي: الفرج بعد الشدة، ص312؛ المقريزي: السلوك، ج2، ص181.
3- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص228؛ الأصفهاني: الأغاني، ج15، ص89.
4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص97؛ ابن خلدون: العبر، م4، ج2، ص720؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص93.
5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج3، ص210؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص314.
6- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص240؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص32.
7- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص228؛ الأصفهاني: الأغاني، ج17، ص89، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص365.
8- الأبشيهي: المستطرف، ص139؛ الوشاء: الموشي، ص31؛ السلمي: الظرف والظرفاء، ص28.
9- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص98؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص88؛ فيليب حتي: تاريخ العرب، ص350.
10- المقريزي: السلوك، ج2، ص73؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص51.

والعزف[1]. وبمرور الوقت؛ أصبحت حظية لدى الخليفة المعتمد، وجليلة القدر لديه[2]، لدرجة أنها ساوت الجارية خلافة من عدد الجواري اللاتي كنّ تحت أمرتها[3]، وكانت خلافة تكتب للمعتمد أشعارها وأغنياتها، وحتى مراسلاتها[4]، وقد عاشت بعد موت المعتمد بأشهر، وماتت سنة 280هـ/893م، ودُفنت بتربة الرصافة[5]، لم تذكر المصادر العبّاسية شيء في هذه المدة عن وظيفة القَهْرَمَانَة داخل قصر الخليفة المعتمد في بغداد.

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص177؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص115.

2- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص116؛ المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص105.

3- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م4، ج4، ص120؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج2 ص099.

4- ابن دحية: النبراس، ص266؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص184؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص75.

5- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص187؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص182.

الفصل الرابع

العصر الذهبي للجواري والقهرمانات في العصر العباسي

أولاً: جواري وقَهْرَمانَات

الخليفة أبي العبّاس المعتضد بالله (279ـ289هـ/892ـ901)[1]

هو الخليفة السادس عشر من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس. اتصف عهده بالرخاء، وأسقط المكوس، ونشر العدل، ورفع الظلم عن الرعية، وكان قد سُمِّي بـ (السّفّاح الثاني)؛ لأنه جدّد ملك بني العبّاس[2]. يتحدّر المعتضد -مثل بقية الخلفاء الذين سبقوه- مِن أمّ ولد، تُدعى صواب[3]، وهي تركية، تواجدت داخل القصر الحسني قبل أن يتولّى المعتضد الخلافة[4].

كان الخليفة المعتضد شخصية قوية، مهيباً وظاهر الجبروت، ووافر العقل[5]، مع امتلاكه مثل هذه الصفات، إلا أن قصره الحسني لم يخلُ من الجواري الحسناوات بعدد غير محدود؛ منهن: الجارية دريرة، والجارية شغب، ولنبدأ بوصف مَن كانت لها الأسبقية لدى المعتضد من الجواري، وهي:

1 ـ الجارية دريرة:

يقال بأنها تركية ومحظية لدى الخليفة المعتضد[6]، ويُذكر بأن المعتضد بنى لها عند القصر عمارة البحيرة بستين ألف دينار، لينفرد المعتضد بدريرة بعيداً عن بقية

1- المعتضد: هو أحمد بن طلحة الموفّق بن المُتوكّل، وُلد سنة 243هـ/857م. بويع للخلافة سنة 279هـ/892م، كان أمر الخلافة العبّاسية في عهد المعتضد إلى رفع منارها، وكان ذا سياسة عظيمة، كان سنة 289 هـ/901م؛ يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 371-372.

2- المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص222؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص86.

3- يقال صواب، وقيل ضرار، يُنظَر: ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص253؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص220.

4- الصابي: الوزراء، ص14؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص65؛ ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء؛ ابن خلدون: العبر، م4، ق4، ص797.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة دمشق، م4، ج3، ص148؛ الصولي: الأوراق، ص1.

6- عريب: الصلة، ص22؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص201.

الجواري[1] وكان المعتضد مولعاً بها، حتى إنها حينما ماتت، جزع عليها جزعاً شديداً، وصل به الأمر إلى هجر عمارتها[2].

2 ـ الجارية شغب:

هي رومية، وصلت إلى بغداد عن طريق تجّار الرقيق؛ لتستقر بحوزة إحدى سيدات بغداد البارزات (تجهل المصادر اسمها)، إلى أن بيعت بمبلغ أربعمائة ألف درهم إلى قصر الخليفة للمعتضد[3]، ويقال إنها كانت تحمل -في بادئ الأمر- اسم (ناعم)، وما إن ولدت للمعتضد جعفراً (مستقبلاً الخليفة المقتدر بالله) حتى تغيّر اسمها إلى شغب، ويُذكر أن سبب هذه التسمية يرجع إلى أن ابنها كان شغباً وتخريشاً وكثير الصخب[4]، ويُذكر بأن شغب كانت جميلة الوجه وحسنة الأطراف والأوصاف، وأصبحت من محظيات المعتضد بعد وفاة الجارية دريرة[5]، وقيل عن شغب إنها كانت جارية سوداء اللون[6]، لكن هناك قرائن تدل على أنها رومية، ولا يمكن أن تكون كذلك، فمثلاً يُذكر أن للمقتدر خالاً رومياً، يُسمّى غريب الخال، كان له نفوذ كبير، ويخاطب بالآمرة والرومي، لا يمكن أن يكون داكن البشرة[7]، وأيضاً يُذكر أن أمّ المقتدر هي رومية، قبضت على زمام الأمور، وإدارتها بيد من القوة والحزم[8] بعد فشل مؤامرة ابن المعتز الخليفة الشاعر[9] على المقتدر.

لم يظهر أي دور للجارية شغب بالذات في عهد الخليفة لثلاثة أسباب:

1- المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص223؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص372.
2- عريب: الصلة، ص23؛ الصولي: الأوراق، ص2؛ الصابي: الوزراء، ص15.
3- المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص225؛ عريب: الصلة، ص22.
4- الصولي: أخبار الراضي، ص16؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص35.
5- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص225؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص269، السيوطي: المستظرف، ص53.
6- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص172؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص225.
7- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص371؛ العمري: مهذب الروضة، ص227.
8- ابن دحية: النبراس، ص214؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2؛ رمزية الأطرقجي: الحياة الاجتماعية، ص72.
9- ابن المعتز: هو عبد الله بن المعتز، رُشّح للخلافة، لكبر سنه (49سنة)، كان رجلاً قديراً مجرّباً، توسّمت فيه عوامل النجاح في السياسة، ولكنه لم يبقَ في الحكم سوى يوم وليلة، ثم أُعيد المقتدر، وكان أمراً مقدوراً. يُنظَر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة دمشق، م4، ج3، ص2181.

الأوّل: شخصية المعتضد، فقد كان قوياً، ويهابه الناس، وحسب ما تذكر المصادر أنه لم يكن يسمح لأي شخص التدخل في أمور الدولة والخلافة، فما بال إذا كانت امرأة؟! حتى إن المعتضد ترك ابنه جعفراً مع شغب سبع سنوات في حجر الجواري[1].

الثاني: كان المعتضد منشغلاً في حب جارية أخرى، وهي دريرة، وهي حظية، وسرية لدى الخليفة المعتضد، فلم تكن للجارية شغب مكانة.

الثالث: كان المعتضد منشغلاً كثيراً في أحداث الدولة التي كثرت في عهده؛ مثل تهديد الفاطميين، وفتح مكورية في بلاد الروم [2]، فضلاً عن كوارث طبيعية، حدثت في زمانهم[3].

3 ـ الجارية جيجك:

هـي تركية، وأمّ ولد لابنه المكتفي بالله [4] التي كان يضرب بحسنها المثل [5]. لم تذكر المصادر كيفية وصولها إلى قصر المعتضد.

4 ـ الجارية فتنة:

هي – كسابقتها – تركية [6]. كانت لها منزلة أمّ ولد عند المعتضد، وهي أمّ لولده القاهر مُحمّد الخليفة التاسع عشر من خلفاء بني العبّاس[7]، ولا يوجد لدينا شيء آخر يدلّل على منزلتها في حريم دار الخلافة، فضلاً عن ذلك، كانت تعيش في دار البلاط العبّاسي في قصر الثريا[8] في عهد المعتضد الزوجة الرسمية للمعتضد، وهي قطر الندى

1- الثعالبي: ثمار القلوب، ص196؛ المجهول: العيون والحدائق، ق1، ج4، ورقة 132، ص278، قرص ليزري.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة دمشق، م4، ج3، ص2149؛ الصابي: الوزراء، ص27.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص225؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص118.

4- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص169؛ ابن الكثير: البداية والنهاية، ج10، ص240؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص243.

5- عريب: الصلة، ص25؛ الخطيب البغدادي، ج7، ص216؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص334، على الإنترنيت.

6- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص372؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص136.

7- المجهول: العيون والحدائق، ق1، ج4، ورقة 132، ص242، قرص ليزي.

8- قصر الثريا: قصر كبير، يضم أبنية بناها الخليفة المعتضد قرب قصر التاج ببغداد، وعمل بينهما سرداباً، تمشي فيه حظاياه من القصر الحسني، عفى أثر الثريا سنة 466هـ/1073م يُنظَر: الصابي: رسوم دار الخلافة، ص7؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص924، (مادة الثريا).

الطولونية[1]، التي وصلت إلى بغداد سنة 282هـ/895م من مصر، ويقال بأنها قد جلبت معها الكثير من الذهب والأموال (مع أن الأخبار عنها قليلة)، ووُصفت بأنها كانت أعقل الناس. ماتت سنة 287هـ/900م، ودُفنت في قصر الخلافة [2].

ثانياً: جواري وقَهْرَمانات
الخليفة أبي مُحمّد المكتفي بالله (289-295هـ/901-907م) [3].

هو الخليفة السابع عشر من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس. سار الخليفة المكتفي سيرة جميلة في حكمه [4]، وأحبه الناس، ودعوا له. ومن سيرته هدم المطامير التي اتخذها أبوه، وصيّرها مساجد[5]، وأمر بردّ البساتين والحوانيت التي أخذها أبوه من الناس؛ ليعملها قصوراً[6].

أما الجارية شغب وابنها جعفر وبقية حريم المعتضد والخدم والغلمان؛ أمر بهم المكتفي بالانتقال إلى دار مُحمّد بن طاهر في الجانب الغربي من بغداد[7].

1- هي بنت خمارويه بن أحمد بن طولون حاكم مصر، يُنظَر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص372.

2- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص115؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص82.

3- المكتفي: هو علي بن المعتضد، وُلد سنة 264هـ/877م، وعهد أبوه إليه، فبويع في مرضه يوم الجمعة لأحد عشر بقيت من ربيع الآخر سنة 289هـ/901 م، ولما بويع له عند موت أبيه، كان في الرقّة، فوافى إلى بغداد، ونزل بدار الخلافة، وحصلت الكثير من الزلازل وأعمال الفتن من قبل يحيى القرمطي. مات المكتفي على أثر مرض أُصيب به في الحلق والبلعوم في 12 ذي القعدة سنة 295هـ/907م، يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء ص376.

4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص247؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص112.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص231؛ عريب: الصلة، ص35؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص105.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص213؛ عريب الصلة، ص35؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص105.

7- دار مُحمّد بن طاهر: هو قصر موجود في بغداد من الجانب الغربي، وكان مقر الخلفاء، ثم فقد أهميته بعد أن أخذ الخلفاء يقيمون في قصورهم الجديدة في الجانب الشرقي من بغداد، وبذلك أصبح دار ابن طاهر سجناً لمن يُعزَل من الخلفاء، والمغضوب عليهم، ثم دُفن فيه عدد من الخلفاء العبّاسيين، يُنظَر: مصطفى جواد وأحمد سوسة: دليل خارطة بغداد المفصّل (بغداد: مط المجمع العلمي العراقي، 1958) ص94.

لم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن الجواري والقَهْرَمَانَات في داخل قصر الخليفة المكتفي، ولا الزوجات الرسميات للمكتفي، عدا أمّ الخليفة المكتفي السالفة الذكر جيجك التي كانت محظية لدى والده المعتضد[1].

ثالثاً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي الفضل المقتدر بالله (295ـ320هـ/907ـ932) [2].

هو الخليفة الثامن عشر من خلفاء بني العبّاس في قائمة السيوطي، والأخ الأصغر للخليفة الراحل المكتفي، تميّز عهده بالانقلابات في بداية ونهاية حكمه، واتصف بتدخل كل من الأمراء والوزراء والحريم والكتّاب في سياسة الدولة[3]؛ لأن الخليفة كان صغير السن، لا خبرة له بشؤون الحكم، ممّا أفسح المجال - بشكل رئيس - لتدخل النساء[4]؛ إذ وقع المقتدر تحت تأثير سيدات القصر، حتى غلب على أمر النساء والجواري والقَهْرَمَانَات والخدم وغيرهم، وصرن يُسيِّرن الأمور على وفق أهوائهن[5]، وربما كان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى انقلاب ابن المعتز الفاشل سنة 296هـ/908م. واستيلاء أمّه شغب، بشكل خاص، والمقتدر مشغول بملذاته[6]، لا يدري أنه خُلع ليوم وليلة لحساب ابن عمّه عبد الله بن المعتز، حتى وقت تمكّن ابن الفرات وأتباعِه من استعادة عرشه ثانية، بمعونة قائد الجيش مؤنس المظفّر [7].

1- عريب: الصلة، ص26؛ العمري: مهذب الروضة، ص227.

2- المقتدر: هو أحمد بن المعتضد، وقيل اسمه إسحاق، واشتُهر باسم جعفر لشبهه بالمتوكل، إلا أن الرواية الأخيرة ضعيفة. وُلد المقتدر سنة 282هـ/895م، بويع بالخلافة بعد المكتفي، ولي الخلافة سنة 295هـ/907م، وأمر المقتدر بردّ جميع المواريث إلى ما صيّرها المعتمد إلى ذوي الأرحام، وقُتل سنة 320 هـ/932 م، يُنظَر: تاريخ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص -376 385.

3- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص167؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص170.

4- ظهير الدين مُحمّد بن علي المعروف بابن الكازروني: مختصر التاريخ (بغداد: مط دار الكتب، 1970)، ص 172.

5- المسعودي: التنبيه والإشراف، ص379؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص 195.

6- عريب: الصلة، ص23؛ الصولي: أخبار الراضي، ص32؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص ص 403.

7- ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص172؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص177.

اشتُهر المقتدر بلهوه ومجالسه الخاصة التي تضم الرجال والجواري والمغنين[1]، وساهم في بروز دور القَهْرَمَانَات داخل البلاط العبّاسي، لدرجة أنه كان يهب ما لديه من الأموال، بما في ذلك تطريز أجسادهن بنفائس الجواهر العائدة لدار الخلافة[2]، حتى قيل من شدة إسرافه إنـه أعطى إحدى جواريه الدرة اليتيمة[3].

تميّز عصر المقتدر - منذ استقراره في بداية القرن الرابع/العاشر الميلادي، وعلى مدى عقدين - بدور كبير للنساء والجواري في شؤون الدولة جنباً إلى جنب مع أمراء العسكر ورؤوساء الإدارة من الوزارات الكثيرة المتعاقبة [4]، وكثرة حوادث الشغب التي يقف وراءها الجند مطالبين بأرزاقهم [5]، فكان النساء يطالبن بحقوقهن بجدارة ومقدرة فائقتين [6]، ربما لتداخل الثقافات الفارسية والرومية والتركية والأرمنية، وغيرها من خلفيات الجواري إلى الثقافة العربية [7] التي شاركت في تغيّر حاسم في عادات المجتمع وتقاليده [8].

نبدأ بذكْر أهم الجواري والقَهْرَمَانَات داخل قصر الخليفة المقتدر بدءاً بالقيادات النسوية المتقدمة داخل حريم المقتدر، من أمثال الجارية شغب، وفاطمة القَهْرَمَانَة أمّ موسى القَهْرَمَانَة، وثمل القَهْرَمَانَة، وأيضاً زيدان القَهْرَمَانَة، ثم الجواري دستينويه، ودمنة، وعدد من الوصيفات.

1. الجارية شغب أو السيدة:

كان الخليفة المعتضد ذا شخصية قوية، متحكّماً بشؤون زيجاته[9] وحظاياه، ولذلك لم يظهر لزوجته شغب دور يُذكر، إلا أن ضعف المقتدر سمح لوالدته شغب أن تتبوّأ مركزاً

1- الثعالبي: ثمار القلوب، ص196؛ المجهول: العيون والحدائق، ق1، ج4، ورقة 132، ص270؛ قرص ليزري.

2- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص214؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 383.

3- يقال بأنها كانت تزن ثلاثة مثاقيل. يُنظَر: البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص51.

4- المسعودي: التنبيه والإشراف، ص226؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص79.

5- العمري: مهذب الروضة، ص227؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص5.

6- عريب: الصلة، ص28؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج1، ص34.

7- العمري: مهذب الروضة، ص228؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص5.

8- الصابي: الوزراء، ص65؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص384؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص41.

9- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص188؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص121.

مهماً بين حريم الخلافة وطبقة الخدم من العسكر؛ من أمثال قائد الجيش مؤنس الخادم المظفر[1]، ومؤنس الخازن، وغيرهما[2].

كانت شغب في عهد المقتدر، لا تُعرف إلا بالسيدة تفخيراً لها، وتعظيماً لقدرها[3]، وليس أدل على مكانتها في أنها كانت تحتفظ لنفسها بديوان خاص، يدير شؤونه كاتب متطلّع هو أحمد بن العبّاس بن الحسن[4] وزير أخيه المكتفي، يجري مجرى الوزير، كما كانت تحتفظ بقَهْرَمَانَة خاصة، تشرف على الدخل والخرج من أملاكها الواسعة[5]، وهي ثمل القَهْرَمَانَة، وتقوم بتنفيذ مطاليبها، ومهمة إيصال الرسائل بين الخليفة والسيدة[6].

أ- دورها في تعيين وعزل الوزراء:

إن أول دور أدّته السيدة، وأول نجاح تميّزت به من جهودها في الحفاظ على خلافة ولدها المقتدر الذي خُلع من الخلافة ليوم وليلة من قِبل جماعة من الكتّاب المتقدمين، تدعو بخلافة جديدة، يترأسها العبّاسي الشاعر ابن المعتز، كان يأمل تزعّمها، وإسناد الخلافة إليه وزير الخليفة السابق، العبّاس بن الحسن [7]، وكان المحرك الأساسي في هذه الجهود لإعادة الدولة المقتدرية هو الإداري الوزير أبا الحسن علي بن الفرات الذي استوزر الوزارة لثلاث دفعات الأولى (296هـ - 299هـ/908-912م) بعد القضاء على انقلاب فاشل [8].

1- مؤنس الخادم: هو من الغلمان الأتراك، ومن الخدم الخصيان، بدأ في دار المُتوكّل، ثم انتقل إلى خدمة الموفق، ثم المعتضد، وبعده المقتدر، وسُمّي بالأستاذ؛ لأنه حقّق انتصارات لمقاومة حركة ابن المعتز، ولقب بأمير الأمراء، وتوفي سنة 321هـ. يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص 559.

2- لم أعثر على أي معلومات عن مؤنس الخازن، ولكنه ذكر فقط في: ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص129.

3- الصابي: الوزراء، ص30؛ الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص55؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص79.

4- ويُذكر أن كثيراً من الموظفين يفضّلون أشغالهم بمعية السيدة، على اشتغالهم بوظائف للعامة؛ مثلاً: عندما عُرض على مُحمّد بن عبد الحميد كاتب السيدة الوزارة، فأباها، وفضّل بقاءه في خدمة السيدة؛ لان ذلك يضمن احتفاظهم بمناصبهم لمدة أطول، فضلاً عن تطمين مصالحهم وتجاوزاتهم المالية. يُنظَر: القلقشندي: مآثر الإنافة، ج1، ص277.

5- لم تذكر المصادر العبّاسية وجود إقطاعات خاصة باسم السيدة شغب: يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص385.

6- ابن القفطي: تاريخ الحكماء، ج2، ص275؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص265.

7- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص231؛ ابن خلدون: العبر، م 3، ق4، ص797.

8- عريب: الصلة، ص29؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص88.

فبعد إخماد محاولة ابن المعتز، أجلست شغب ابنَها المقتدر في حجر الوزير، وأوصت به ابن الفرات لقاء عهد بالوزارة [1] الذي نجح في اجتثاث المشتركين والمتآمرين في قصر المخرم، وبمَن فيهم الوزير العبّاس بن الحسن[2]، إلا أن السيدة لم تكن لتطمئن لابن الفرات الذي تعرف من خلال أقوال وادعاءات منافسيه ومقربيهم لها بزعامة الأوّل أحد أولاد بني الجراح علي بن عيسى مدى قدرة الوزير على التحكّم بشؤون الدولة، وتنفيذ المؤامرات ضد منافسيه من قادة الكتّاب[3]. فثبت أمر علي بن عيسى للوزارة، وأوقعت بابن الفرات بحجة شكوى قادة الجيش منه [4] الذي تسلّمها بشفاعة السيدة بعد إقالة الوزير ابن خاقان (299-301هـ/ 911-913م) [5] الذي أرسل إلى السيدة عند استيزاره (رسالة)، قال فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، أطال الله بقاء السيدة، وأدام عزها وتأييدها وكلائها وحراسها، وأسبغ نعمه عليها، وزاد في إحسانه لها ...) [6] على الرغم من كل هذا المديح والإطراء والدعاء، لم يشفع الوزير المصلح لدى السيدة شغب، عزله في وزارته الأولى (301-304هـ/913-916 م) [7].

تكرّر هذا الدور في تعيين وعزل وزراء المقتدر دفعة بعد أخرى، كانت تحصل من خلالها بين عزل وزير الوقت، وارتقاء أحد مكانه مئات الآلاف من الدنانير الذهبية [8] والممتلكات، من جراء مصادرات ممتلكات الوزير المعزول، وهبات الوزير المعين [9]، أما الخليفة المقتدر كان عظيم الطاعة لها، ويحبها، فيما تسأله، وبلغ الأمر أنها احتوت على زمام الأمور كلها، وصارت تبسط سلطانها باسم الخليفة الذي تفرّغ تماماً لجواريه[10]؛

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص135؛ السيوطي: المستظرف، ص56.
2- الصابي: الوزراء، ص33؛ الصولي: أخبار الراضي، ص15؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص64.
3- الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص79؛ الوشاء: الموشي، ص36، الأبشيهي: المستطرف، ص77.
4- الصابي: الوزراء، ص34؛ مسكوبة: تجارب الأمم، ج1، ص14؛ النويري: نهاية الادب، ج6، ص187.
5- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج1، ص28، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص139.
6- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج1، ص230؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج7، ص21.
7- الصابي: الوزراء، ص34؛ عريب: الصلة، ص30؛ عمر كحالة: أعلام النساء، ج5، ص70.
8- الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص149؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص16.
9- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص266؛ العمري: مهذب الروضة، ص226.
10- الصابي: الوزراء، ص35؛ الصولي: أخبار الراضي، ص18؛ السيوطي: المستطرف، ص52.

مثلاً: خلال وزارة ابن الفرات الثانية (304-306هـ/916-918م)، كان سبب عزله. يُذكر أن حامد ابن العبّاس الذي كان في واسط، راسل بعض أفراد الحاشية، وعلى رأسهم شغب طامعاً بالوزارة، واعداً إياها بالمال[1]، فتم له ما أراد، وقبض على ابن الفرات، واستوزر حامد بن العبّاس، على الرغم من أنه لم يكن مؤهّلاً للمنصب[2].

وفي وزارة ابن الفرات الثالثة (311-312هـ/923-924م)، والتي سُمِّيت هذه السنة بسنة الدمار[3]، ويُذكر أن سبب عزل ابن الفرات هذه المرة اتفق يوماً أن انفرط لسان ابن الفرات، وخاطب أحد خواصّه قائلاً: «أَ تخوّفني كلام امرأة؟ (يقصد بالسيدة شغب)»[4]، فلم تمض مدة طويلة حتى قُبض على ابن الفرات وابنه المحسن، وصُودرت جميع ممتلكاتهم، ومن ثم؛ قُتلا أبشع قتل[5].

أما وزارة أبي العبّاس أحمد الخصيبي (314 316-هـ/925م) الذي تولاها بعد وزارة أبي القاسم عبد الله بن مُحمّد الخاقاني (312-313هـ/924-925م) [6]؛ كان الأوّل كاتب السيدة، وكان الناس يهابونه لمجرد أنه كان يخدم السيدة، ويكتب لها. ولكن الأيام أثبتت عدم كفاءته بالوزارة، وندم على مفارقة خدمة السيدة، عندما أُلقي القبض عليه، وصادروا أمواله [7].

برز دور السيدة شغب، بل وأسهمت في رفع الخطر المحدق بالعاصمة العبّاسية خلال وزارة علي بن عيسى الثانية (314-316هـ/925-927م) عندما تبرّعت السيدة شغب من مالها الخاص مبلغ (خمسمائة ألف دينار)؛ لينفق على الجنود الذين يحاربون القرامطة [8]، ومحاولة منها في حلّ بعض الأزمات المالية التي أصابت مالية الدولة،

1- العمري: مهذب الروضة، ص227؛ العصامي: سمط النجوم، ج2، ص162.
2- سُمِّيت بسنة الدمار، بسبب ابن الفرات وابنه المحسن؛ إذ بدؤوا يبطشون بالناس، ولاسيما بالوزير علي بن عيسى ونصر الحاجب، وأبعدوا مؤنس المظفر. يُنظَر: عريب، الصلة، ص44؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص98.
3- الصابي: الوزراء، ص35؛ الجهشاري: الوزراء والكتّاب، ص150؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص170.
4- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص17؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص186.
5- الصابي: الوزراء، ص42؛ عريب: الصلة، ص36؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص185.
6- ابن الطقطقي: الفخري، ص27؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص17.
7- ابن الطقطقي: الفخري، ص270. الثعالبي، ثمار القلوب، ص21؛ ذهبي: مشاهير النساء.
8- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص154؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص188.

بعجز كبير، إزاء قلّة الواردات، وكثرة النفقات، ولاسيما نفقات دار الخلافة من الحاشية والخدم[1].

سعت السيدة شغب على المقتدر العدول من ضرب ابن عيسى بالسوط على باب العامة، وبحضور الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين، لاتهامه بمراسلة القرامطة؛ لأن السيدة أثنت المقتدر أن يتخذ من هذا الإجراء ضد الوزير المعزول، والذي قدّم للدولة خدمات جليلة [2].

ب ـ نهاية الجارية شغب أو السيدة:

لبث الخليفة المقتدر في عرش الخلافة زهاء خمسة وعشرين سنة تحت جناحي أمّه شغب، كانت شغب ذا حرص شديد على المال، وسبباً في تعريضها للتعذيب[3] والضرب المبرح والإهانة المقرعة من قِبل الخليفة القاهر الذي أراد الثأر لنفسه، عمّا لحقه عام 317هـ/929م[4]، وكانت نهاية هذه الجارية بعد التعذيب الذي تلقّته من القاهر، وقيل إنها عُلِّقت من رجل واحدة، وأسرف الضرب على بدنها[5]، وأحضرها القاهر عنوة لتشهد على نفسها أمام القضاة بأنها قد حلّت أوقافها، ووكّلت بيعها[6]، ونقلت بعدها إلى بيت علي بن يلبق[7]؛ حيث وافتّها المنية بعد عشرة أيام سنة (321هـ/933م)[8].

ج ـ أعمالها العمرانية والخيرية:

عُرفت السيدة شغب بحبها الشديد للأعمال الخيرية، والوقف[9]، فقد كانت لا تتوانى في إنفاق الأموال الكثيرة في سبل الخير والبرّ والإحسان، وتواظب على مصالح الحج، فمثلاً

1- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص17؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص186.
2- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص187؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج6، ص 193، القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص230؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص198.
3- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص230؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص198.
4- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص215؛ المجهول: العيون والحدائق، ورقة -164أ، ق1، ج4، ص215.
5- ابن دحية: النبراس، ص2211؛ العصامي: سمط النجوم، ج3، ص354؛ السيوطي: المستظرف، ص54.
6- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص145؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص285.
7- علي بن يلبق: هو أحد المقرّبين لمؤنس المظفر الذي عُيّن حاجباً للقاهر، يُنظَر: مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص17.
8- الهمداني: التكملة، ج1، ص71؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص222؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص93.
9- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص18؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج1، ص283.

بعثت في موسم الحج بخزانات لمياه الشرب، وبعضاً من الأطباء، وأمرت بإصلاح الحياض[1]، وخير مثال على أعمالها الخيرية: ما قامت به في سنة (298هـ/910م) عندما وصل إلى بغداد أسارى لأربعمائة رجل من القرامطة؛ إذ ما إن شاهدت حالتهم المزرية حتى أمرت بالنفقة عليهم، والإحسان إليهم، ووهبت لكل امرأة من الأسرى نفقة من الكساء، ثم أمرت بإطلاق سراحهم[2].

ولعل أهم مآثرها العمرانية هي إنشاؤها مارستاناً، بسوق يحيى، بالرصافة، أوكلت إدارته إلى الطبيب والمؤرخ المشهور سنان بن ثابت[3] الذي رتّب المتطبّبين فيه؛ ليستقبل المرضى مع نفقة داره في الشهر ستمائة دينار[4].

وكانت توقف الأوقاف على المصالح الخيرية، مثلاً: وقفت بعض ممتلكاتها للفقراء، كما كانت تخصّص بعضاً من أموالها لتقوية ثغور الدولة وتخومها[5]، ويبدو أن كل هذه الأعمال الخيرية والأوقاف ليست خالصة لطلب الخير وحده [6]، إلا أنها كانت تبخل بالمال، إذا ما أحسّت بأنه لا يخدم رغباتها في إحكام سيطرتها على الدولة، حتى مع أعز المقربين إليها؛ مثل ابنها المقتدر الذي رفضت طلباً له من المال، تسلّمه لقائد الجيش مؤنس المظفر الذي هدّدني في حالة عدم تسلّم المال بخلع المقتدر، وعقد البيعة لأخيه القاهر بأمر الله [7]، ولسوء تصرف السيدة، عرّضت ابنها للقتل، وبصورة بشعة [8].

1- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص254؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص225.

2- ابن الطقطقي: الفخري، ص260؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص169؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص233.

3- سنان بن ثابت: أبو سعيد (ت: 332هـ/943م) طبيب صابئي من أصل حراني، نشأ ببغداد ورئيس الأطباء في عهد المقتدر، خدم القاهر والراضي، يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص310.

4- مُحمّد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت 855هـ): أخبار مكّة (بيروت: مط دار المشرق، 1967)، ج2، ص114.

5- ابن القفطي: تاريخ الحكماء، ص95؛ الهمداني: التكملة، ج2، ص74؛ عمر كحالة: أعلام النساء، ج5، ص130.

6- وقيل لتخلّصها من أداء الضريبة عن بقية ممتلكاتها؛ لأن الواقف يحتفظ لنفسه ما وقفه من الممتلكات، حتى إذا توفي، انتهت الإدارة إلى أكبر أبنائه، يُنظَر: القلقشندي، مآثر الإنافة، ج2، ص230.

7- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص18؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص141.

8- الصابي: الوزراء، ص48؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص221.

أما ناحية التدريس؛ هي إحدى تدخّلاتها بإشرافها على تدريس أحفادها (أبي العبّاس مُحمّد بن المقتدر) على يد معلّمه الصولي[1]، وكما أحضرت ابن الجواليقي[2]، والحسين ابن إسماعيل المحاملي[3]، لدارها؛ ليمتحنا حفيدها، فوجداه متمكّناً من العلوم[4].

فضلاً عن ناحية القضاء: ففي سنة 298 هـ/910م تدخّلت السيدة شغب لتعيين أحد القضاة، هو «مُحمّد بن عبد الله بن أبي الشوارب» قاضياً في بغداد[5]، ويُذكر أن للقاضي حاشية سوء، وله تجاوزات في القبح والفحش، ولذلك هجاه الناس، ونسبوا له حبّ مغنّية، تُعرف (باينة كروبا)[6]، وذُكر عنه الكثير، ونسبوا له زورقاً، وجد منحدراً إلى بغداد، وفيه شراب، وهجاه الشعراء[7].

على الرغم من هذه الأقاويل، إلا أن السيدة شغب طلبت من الوزراء والقوّاد بالشدّ على يد القاضي ابن أبي الشوارب والتمسّك به [8].

وفي ضوء القضاة، يُذكر أن السيدة شغب كانت -في أكثر الأحيان- تأمر القضاة باتخاذ إجراءات استثنائية، ولو كانت مخالفه للشريعة الإسلامية [9]؛ مثال على ذلك: عندما طلبت من القاضي أحمد بن إسحاق بن بهلول أن يحلّ وقفاً لتأخذه وتتصرف به، إلا أن القاضي أحمد رفض طلبها، ولم ترهبه تهديدات السيدة شغب [10].

1- الصابي: هو أبو بكر (ت هـ/946م) أديب وشاعر، اشتهر بلعب الشطرنج، متقرب من الخلفاء، ونادم المقتدر والراضي والمكتفي والقادر، له (الأوراق) في أخبار آل عبّاس وأشعارهم، و(أدب الكتّاب)، و(أخبار أبي تمام)، دواوين عدة، يُنظَر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص232؛ لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص350، في الترجمة.

2- الجواليقي: هو أبو منصور موهوب (467-539هـ/1073-1144م): لغوي ونحوي بغدادي، استمد آثار (المعرب) من كلام الأعجمي، وشرح أدب الكاتب، يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص206.

3- لم أقف له على ترجمة في كتب تراجم الرجال والأعلام.

4- عريب: الصلة، ص42؛ المجهول: العيون والحدائق، ورقة 123 - أ - ص341.

5- عريب: الصلة، ص42؛ المجهول: العيون والحدائق، ورقة 123 - أ - ص341.

6- ابن الطقطقي: الفخري، ص273؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص221؛ السيوطي: المستظرف، ص33.

7- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص182؛ الذهبي: العبر، ج2، ص 131.

8- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص141؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص152.

9- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص231؛ ابن دحية: النبراس، ص246؛ الأبشيهي: المستطرف، ص 177.

10- العمري، مهذب الروضة، ج2، ص166؛ العصامي: سمط النجوم، ج2، ص181.

فضلاً عن أعمال السيدة شغب الكثيرة، نضيف عن كيفية محاولتها لتعيين ابن أخيها هارون بن غريب قائداً للجيش، بدلاً من مؤنس المظفر[1]، لاسيما عندما تقدم الأخير بمخاوفه إلى الخليفة المقتدر، بأن السيدة تحاول قتله، ولم يهدأ، إلا أن المقتدر طمأنه، برسالة، يعتذر فيها، ويقسم على بطلان ما بلغه [2].

ولعل السيدة شغب أقدمت على هذه الخطوة، عندما بدأ نفوذه بالتوسع، ولابد من التخلص من أقوى منافس لها، فكيف تمكّنت جارية غير معروفة النسب مثل السيدة شغب من أن تؤدي مثل هذا الدور في سياسة الدولة المقتدرية؟

إن تدخلات السيدة في شؤون دار الخلافة أيام المقتدر تضاهي -إن لم تكن تفوق- الدور الذي قامت به الخيزران أيام ولدها الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م). من دون شك، إن صغر الخليفة مثل المقتدر وتعلّقه المفرط في تفضيل حياة الجواري والغلمان على شؤون الحكم والإدارة[3]، ساعد السيدة على شغل المكان الذي يتبوّأه -عادة- الخلفاء في رسم الإشراف على رسم إدارة سياسة الدولة[4].

إذاً؛ هناك العامل الشخصي أيضاً، فالسيدة امرأة رومية متعددة المواهب، تحمل مؤهّلات كثيرة، فضلاً عن قوة الشخصية وحُسن الخلق[5]، وقد صقلت مواهبها هذه خلال أيام حياتها مع الخليفة المعتضد، مكتسبة من مؤهّلات الحكم ومهارات أمور العسكر [6]، فضلاً عن توظيف المنافسة القائمة بين مدارس الكتّاب آنذاك من تقريب وأبعاد طرق المكنة الإدارية في البلاد من الوزراء وأصحاب الديوان [7].

1- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص180؛ عريب: الصلة، ص168؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص280.

2- بلغ الخبر إلى مؤنس من قبل أحد الخدم في قصر الخليفة المقتدر، بمؤامرة السيدة لقتل مؤنس، فبدأت مخاوفه من السيدة. يُنظَر: مسكوبة: تجارب الأمم، ج2، ص124.

3- أبو الفداء: المختصر في أخبار الدول، ج3، ص84؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج5، ص131.

4- العصامي: سمط النجوم، ج3، ص354؛ ابن حيثما النبراس، ص211؛ السيوطي: المستظرف، ص54.

5- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص145؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص85.

6- الهمداني: التكملة، ج1، ص71؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص32؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص93.

7- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص19؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص263.

إذاً؛ نرجّح ونذكر أهم وأشهر القَهْرَمَانَات والجواري اللاتي كنّ يعشن في البلاط العبّاسي، وحسب أقدمهن في التواجد داخل القصر:

1 ـ فاطمة القَهْرَمَانَة:

يذكر مسكويه أن فاطمة المجهولة الأصل[1]، ولكنْ؛ يبدو اسمها أنها عربية، دخلت القصر مع سيدتها شغب، عندما تولى المقتدر الخلافة سنة 295هـ/907م[2]، وقيل بأنها كانت تتمتع بمنزلة رفيعة، كونها كانت تشغل مركز قَهْرَمَانَة السيدة شغب[3]، منذ وقت مبكر، الأمر الذي أعطاها مسؤولية إدارة شؤونها المالية، بالتعاون مع كاتبها الخاص[4]، وما نعرفه عنها أنها كانت متزوجة، لأنها زوَّجَت إحدى بناتها من بني نفيس، أحد قادة الجيش العبّاسي[5].

أما نهاية هذه القَهْرَمَانَة؛ فقد ماتت بسبب غرق طيارها تحت جسر على نهر دجلة سنة 299 هـ/911م في يوم ريح عاصف، وحضر مراسيم جنازتها خلق كثير من القواد والقضاة وكبار موظفي الدولة [6] (إكراماً للسيدة شغب). فحلّت محلها أمّ موسى القَهْرَمَانَة.

3 ـ أمّ موسى القَهْرَمَانَة [7]:

عُيِّنت أمّ موسى القَهْرَمَانَة بعد وفاة سلفها، وكانت مرتبطة بالسيدة في إدارة وظيفتها، فضلاً عن عملها في نقل رسائل الخليفة ووالدته السيدة إلى الوزير ابن الفرات[8]، والراجح أنها تجاوزت عملها كقَهْرَمَانَة من المشاركة مع الوزراء والقواد في تدبير الأمور،

1- تجارب الأمم، ج1، ص246؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص259.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص170؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص233.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص232؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص254.

4- ابن الطقطقي: الفخري، ص260؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص172؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص286.

5- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص20؛ الهمداني: التكملة، ج1، ص9؛ ابن دحية: النبراس، ص109.

6- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص166؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص118.

7- أمّ موسى: هي بنت العبّاس بن مُحمّد بن سليمان بن إبراهيم الإمام (نجهل كيفية وصولها إلى هذه المرحلة). يُنظَر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص32.

8- الصابي: الوزراء، ص194؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج3، ص83. (قرص ليزي).

والركوب في المواكب إلى دار الخلافة[1] لمصلحة السيدة دون شك. ويذكر ابن الأثير أن أمّ موسى كانت تختلف في عملها عن بقية قَهْرَمَانَات دار الخلافة (ربما بسبب أنها هاشمية الأصل)، لما كانت تتمتع به من حشمة وعظمة؛ إذ كلما انطلقت، سار معها في موكبها الفرسان والرجّالة بين يديها، ويعلّل ابن الأثير تمتّعها في هذه المنزلة، كونها تتحدث باسم مرؤوسيها السيدة شغب بما فيها تنفيذ إجراءات العزل والتعيين لحسابها[2]؛ مثلاً: نفّذت - بنجاح - أمر إقالة الوزير ابن عيسى في وزارته الأولى، بسبب ما نشبت بينهما من جفوة شديدة[3] في تنفيذ طلبات السيدة، وفي السعي إلى المرشح الجديد عبيد الله بن يحيى الخاقاني[4]، حتى إنها أشرفت بنفسها على تعذيب الوزير المعزول، ويقول عريب إنها أمرت بتنفيذه، وعرك أذنيه، وعدم التهاون معه، ووصلت إجراءاتها أن الوزير خاطبها: يا أمّ موسى القَهْرَمَانَة: "أقيليني، يا أمّ موسى، هذا جزائي منك، وحق خدمتي لكم"[5]، وكان هذا سبباً لتودّد كتّاب الدولة لها وأمرائها، من أجل السعي لهم بالوزارة، مثلاً: عندما رأى أحد كتّاب العصر أبو الحسن أحمد بن يحيى بن أبي البغل سعة نفوذها، بذل لها مالاً كثيراً على عمل تقليد أخيه أبي الحسين الوزارة، بالفعل كاتبوا الأخير الذي كان في أصفهان في وزارة ابن الفرات، فأسرع في الحضور إلى العاصمة، في الطريق، فاتحه القوم بالوزارة [6].

كذلك نجد أن الوزير الخاقاني (312-313 هـ/924م) ظل يحسب لمؤامرتها حساباً كثيراً، وخوفاً من غضبها[7]؛ مثلاً عندما شعر الخاقاني بتزعزع مركزه، طلب مقابلة الخليفة المقتدر الذي أذن له بإبعاد والدي ابن أبي البغل، لكن الوزير لم يجرؤ على تنفيذه خوفاً من

1- مسكويه: تجارب الأمم، ج21؛ المجهول: العيون والحدائق، ورقة 78 - ب، ص247.
2- الكامل في التاريخ، ج6، ص172؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص145؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص204.
3- عندما ذهبت أمّ موسى سنة 304هـ/916 م إلى الوزير علي بن عيسى؛ لتتفق معه على مقدار ما يخص من المال مريم دار الخلافة والحاشية والخدم لسدّ مشتريات الكسوة في عيد الأضحى، وأخبرها حاجب الوزير بأن الوزير في قيولة، ولم تستطع مقابلته، فرجعت أمّ موسى إلى السيدة، فاغتاظت غيظاً شديداً، وقيل إن الوزير حاول إرضاء أمّ موسى والسيدة، ولكنْ؛ من دون جدوى، ممّا سبب عزله. يُنظَر: الصابي: الوزراء، ص ص 235-236.
4- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص52؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص164.
5- الصلة، ص58؛ الصابي، الوزراء، ص282؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص166.
6- عريب، الصلة، ص59؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج7، ورقة 8 - أ؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص191.
7- مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص83؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص167؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص112.

غضب أمّ موسى القَهْرَمَانَة عليه[1]، وأن تفسد أمره، فأرضاها بأن قلّد أبا الحسين أعمال الخراج والضياع بأصفهان، وقلّدوا أبا الحسن أعمال الصلح والمبارك[2].

ومن نشاطات أمّ موسى القَهْرَمَانَة؛ أنها كانت تتدخل في تعيين أمراء الحجّ (فقد كانت العادة جارية أن لا يحجّ بالناس رجل إلا من طبقة الأشراف، وهو ما يتولاه نقيب الطالبيين أو العبّاسيين) [3]، لكنْ؛ سعت أمّ موسى بهذه الوظيفة إلى أخيها أحمد بن العبّاس[4]، وتم لها ما أرادت سنة 309 هـ/921م، كما استخدمت أختها أمّ مُحمّد في تمشية أعمالها[5]، ويُذكر أن أمّ موسى القَهْرَمَانَة كانت مسؤولة عن دفع أرزاق الخدم، ولها الكلمة في زيادة أو تقليل هذه الأرزاق[6]، وبيدها صلاحيات شراء الكسوة لحريم الدار في الأعياد، واقتناء كميات كبيرة من البضائع، تدفعها على الوزن أكياساً من النقود[7]. إن سعة نفوذ أمّ موسى وهيبتها على حريم دار الخلافة، وامتلاكها الأموال، جلب لها أعداء كثيرين، تمكنوا من الإيقاع بها سنة 310هـ/922م، وإيداعها السجن والتعذيب، وتصفية جمعها، ومصادرة ما هو معروف من أموالها، بحوالي ألف دينار[8] أحد أسباب هذه النكبة أنها كانت قد تصاهرت مع أحد العبّاسيين، وهو أبوبكر أحمد بن العبّاس بن مُحمّد بن إسحق المُتوكّل الذي اقترن بابنة أخيها[9]، وأسرفت بالمال في جهاز صهرها، فجلبت هذه الزيجة انتباه أعداء القَهْرَمَانَة، ولاسيما عندما بدأ الهمس يدور بين حريم دار الخلافة، وفي أروقتها بأن أمّ موسى القَهْرَمَانَة تَعدُ صهرها للخلافة، فوشى بها أعداؤها، وثبّتوا في نفس خليفة العصر المقتدر ووالدته السيدة شغب، بأن أمّ موسى قَهْرَمَانَة ما فعلت ذلك، إلا لتنصيب مُحمّد بن إسحق للخلافة، فجلبت النكبة عليها، فكاشفتها السيدة شغب بالقول: "إنكِ قد

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص145؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص193.
2- الصابي: الوزراء، ص283؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج7ورقة، 23 - أ.
3- عريب: الصلة، ص59؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص146؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص135.
4- أحمد بن العبّاس بن مُحمّد بن سليمان بن مُحمّد بن إبراهيم الأمام، يُنظَر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص30.
5- هي أمّ مُحمّد بنت العبّاس بن مُحمّد بن سليمان بن مُحمّد بن إبراهيم الأمام (نجهل اسمها): يُنظَر: المصدر ذاته، ص33.
6- عريب: الصلة، ص59؛ ابن كير: البداية والنهاية، ج11، ص147؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص195.
7- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص138؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج7، ورقة 8 - أ؛ المنجد: بين الخلفاء والخلعاء، ص41.
8- الصابي: الوزراء، ص284؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج1، ص273.
9- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، 172؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص149.

دبّرت على ولدي، وصاهرت ابن المُتوكِّل حتى تُقعديه في الخلافة" . أما السبب الآخر؛ فهو أنها كانت تمتلك أموالاً كثيرة، استخلصت منها لمعالجة أزمة دفع رواتب العسكر، وجعلتهم يلتفّون حولها .

4 ـ فحلّت محلها في الوظيفة ثمل القَهْرَمَانَة:

كانت جارية رومية الأصل[1]. أصبحت ثمل القَهْرَمَانَة بقصر الخلافة بعد القبض على أمّ موسى، بتعيين من السيدة شغب[2]، والتي تعود إلى أصول رومية، بعد أن كانت السيدة قد اشترتْها بمبلغ خمسة آلاف درهم من سوق بغداد للنخّاسين[3].

اشتهرت ثمل القَهْرَمَانَة بقساوة قلبها، وشراسة أخلاقها، ولذلك سلّمت لها سابقتها أمّ موسى هي وأخوها أحمد بن العبّاس وأختها أمّ مُحمّد، فسلّطت عليهم ثمل سوء العذاب، وقست عليهم أشد قسوة[4]، تمكّنت -بموجبها- من استخراج أموال وجواهر كثيرة، اضطُر على أثرها الوزير علي بن عيسى استحداث ديوان جديد لإدارة هذه الأموال المقبوضة، سُمِّي بـ (ديوان المقبوضات عن أمّ موسى)، وأسبابها [5].

الأهم أن أمراً جيداً هو الأوّل من نوعه حدث في تاريخ الخلافة، هو تبوّؤ جارية من الجواري والقَهْرَمَانَات منصباً قضائياً رفيعاً، وهو السماح لها بالجلوس في المظالم، للنظر في دعاوي الناس كل جمعة[6]، وتذكر المصادر أن تعيينها كان بأمر من أمّ المقتدر شخصياً السيدة شغب؛ إذ كان مجلسها يضم القضاة والأعيان، وتبرز التواقيع، وعليها خطّها، وكانت تعقد جلساتها في التربة في الرصافة[7] على الرغم من استنكار الناس لهذه البدعة الشنيعة في تاريخ القضاء[8].

1- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص84؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص166، السيوطي: المستطرف، ص54.

2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص127؛ الكازروني: مختصر التاريخ، ص246.

3- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج6، ص204؛ ابن خلدون: العبر، م 3، ق 4، ص812، الأطرقجي: الحياة الاجتماعية، ص171.

4- الهمداني: التكملة، ج1، ص12؛ ابن دحية: النبراس، ص108؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط، ص95.

5- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص143؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص84.

6- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص204؛ العصامي: سمط النجوم، ص234؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص151.

7- المقريزي: السلوك، ج1، ص18؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص167؛ مليحة رحمة الله: المرأة في العصر العبّاسي، ص18.

8- محمود بن مُحمّد بن عرنوس: تاريخ القضاء، (القاهرة: مط المصرية الأهلية 1972)، ص75.

ويُنقل أنه لم يكن لثمل في أول جلسة لها طائل، لكنّ؛ ما إن جلست في الأسبوع الثاني، وأُحضر القاضي أبو الحسن، حتى حسن أمرها، وأصلح عليهما[1]، وخرجت التوقيعات على سداد، وعليها ضبطها، فانتفع بذلك المظلومون، وسكن الناس [2].

ويرى المسعودي أن جلوس القَهْرَمَانَة ثمل للمظالم ما هو إلا مظهر من مظاهر تدهور الخلافة العبّاسية في عصر المقتدر، ويذهب إلى ذلك؛ ليعكس حقيقة غلبة النساء على الملك والتدبير، حتى إن جارية تُعرف بثمل القَهْرَمَانَة، كانت تجلس للنظر في المظالم الخاصة العامة[3].

ولا نعرف ماذا آل مصير ثمل القَهْرَمَانَة؟ وهل انتهى أمرها إلى شيء من أمر سابقاتها من القَهْرَمَانَات؟ على الأرجح؛ بقيت مع سيدتها شغب، عند تسلّم القاهر شؤون الخلافة في 320هـ/932م.

استنكار الناس لهذه البدعة الشنيعة في تاريخ القضاء، وينقل أنه لم يكن لثمل في أول جلسة لها طائل، لكنّ؛ ما إن جلست في الأسبوع الثاني، وأُحضر القاضي أبو الحسن حتى حسن أمرها، وأصلح عليها [4].

5 ـ زيدان القَهْرَمَانَة:

هي رومية [5]. وصلت إلى البلاط العبّاسي عن طريق الشراء من سوق سامراء بمبلغ عشرة آلاف درهم، خلال أيام حكم المعتضد [6]، ثم استخدمتْها شغب قَهْرَمَانَة لها في خلافة ابنها المقتدر [7]، ونالت ثقة الخليفة؛ إذ جعلت بيتها سجناً لكل مَن يغضب عليه،

1- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج1، ص276؛ ابن دحية: النبراس، ص109؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، 95.
2- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص85؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص146؛ عمر كحالة: أعلام النساء، ج4، ص67.
3- التنبيه والأشراف، ص328؛ عريب: الصلة، ص71؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص23.
4- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج1، ص276؛ ابن دحية: النبراس، ص109؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط، ص95.
5- يُذكر أنها سُمّيت بزيدان نتيجة تصرّفاتها من قيامها وقعودها، وأثناء كلامها، كانت مسترجلة، فسُمّيت بذلك. يُنظَر: السيوطي: المستطرف، ص55.
6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص253؛ ابن دحية: النبراس، ص352.
7- المقريزي: السلوك، ج2، ص19؛ العصامي: سمط النجوم، ج2، ص221.

ويقصيه عن منصب الوزارة [1]؛ مثلاً: عندما صدر أمر المقتدر بعزل الوزير ابن الفرات من وزارته الأولى عام 299هـ/ 911م، اعتُقل في حجر زيدان القَهْرَمَانَة [2]، وعندما تقلّد ابن الفرات وزارته الثانية سنة 304 هـ/ 916م، أقطع لزيدان القَهْرَمَانَة ضياعاً بنواحي كسكر[3] ومستغلات البصرة، وبموجب هذه الإجراءات، تبنّت زيدان أمر الوزير ابن الفرات عند الخليفة طيلة وقت بقائه في الوزارة، إلا أنها -بحكم ارتباط مسؤليّاتها بالسيدة مباشرة- كانت تحافظ على توازن علاقاتها مع الإدارات المتنافسة [4]، فمثلاً لما قُبض على الوزير علي بن عيسى في 304 هـ/ 916م تمكّن بمساعدة السيدة شغب من أن تحول بين الخليفة وبين تسليم الوزير المعزول إلى ابن الفرات، خوفاً على حياته من بطش ابنه المحسن [5].

وهناك مَن توفي في سجنها؛ مثل الأمير الحمداني الحسين بن حمدان (ت 306هـ- 918م) الذي أمر المقتدر باعتقاله، والذي لفظ أنفاسه الأخيرة في سجنها [6].

في الوقت الذي كان فيه الخليفة المقتدر يفرّق الأموال والجواهر بلا مبالاة على الجواري والنساء وبقية أفراد حريم دار الخلافة، نالت القَهْرَمَانَة زيدان نصيبها الوافي من كرم الخليفة [7]؛ إذ تمكنت من جوهر الخلافة، وحظيت بسبحة نادرة، كان يُضرب بها المثل في الندرة والنفاسة، فقيل (سبحة زيدان) التي قُدِّرت بثلثمائة ألف دينار [8]، هناك روايتان حول هذه السبحة: الأولى: أن المقتدر هو الذي أعطى لزيدان القَهْرَمَانَة السبحة[9]، الثانية: تذكر أن هذه السبحة سُرقت من خزانة الجوهر التي كانت بمسؤولية زيدان

1- الهمداني: التكملة، ج1، ص19؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص152.

2- الصابي: الوزراء، ص31؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص20؛ القرماني: أخبار الدول، ص86.

3- كسكر: كورة واسعة، وقصبتها واسط، وحد كسكر الشرقي آخر سقي النهروان، إلى أن تصب في دجلة البحر، يُنظَر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص461.

4- الصابي: الوزراء، ص321؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص71؛ العصامي: سمط النجوم، ج3، ص354.

5- الصابي: الوزراء، ص321؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص71؛ العصامي: سمط النجوم، ج3، ص354.

6- هو أمير من القادة العبّاسيين، عم سيف الدولة، يُنظَر: ابن عساكر: تاريخ ابن عساكر، ج5، ص121.

7- المقريزي: السلوك، ج3، ص118؛ ابن دحية: النبراس، ص231؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص96.

8- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص254؛ البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر ،ص58.

9- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص236؛ القرماني: أخبار الدول.

القَهْرَمَانَة، ثم عُرضت للبيع في مصر[1]؛ إذ اشتراها الوزير علي بن عيسى (والذي عرضها على المقتدر (من سجناء زيدان القَهْرَمَانَة)، وقد دُهش الخليفة لتسرّب تلك السبحة إلى خارج دار الخلافة [2] مسؤولة عن خزانة الجوهر [3]، وإذا صح هذا عن قدير مثل علي بن عيسى، فلا يعدّ ما قام به سوى نكاية بالقَهْرَمَانَة زيدان وتشنيعاً لهما؛ لأنها آثرت غريمة ابن الفرات عليه.

ويُذكر أن لزيدان القَهْرَمَانَة طبيباً خاصاً، هو عيسى الطبيب البغدادي المعروف بسوسنة [4]، وكان هذا الطبيب على صلة وثيقة بالوزير ابن الفرات، وكان الطبيب يحمل الرسائل بين الوزراء وزيدان القَهْرَمَانَة [5].

نجهل مصيرها بعد إلقاء القبض على شغب وأتباعها سنة (320هـ/932م)، اختفت عن الأنظار، وربما اختفى أمر زيدان القَهْرَمَانَة كذلك، ولم نعد نسمع عنها شيئاً، وربما صُفّيت مع سيدتها السيدة شغب من قِبل الوزير الجديد ابن مقلة وقائد العسكر مؤنس المظفر.

أما أشهر جواري المقتدر؛ فهن كل من الجارية دستيويه، والجارية دمنة.

1 ـ الجارية دستنويه:

هي فارسية الأصل. كانت في البلاط العبّاسي عندما اشتراها المقتدر بمبلغ خمسة عشر ألف درهم من أحد تجّار الرقيق، عندما عرضها على المقتدر في قصره في بغداد [6]. وكانت حظية لدى المقتدر، على الرغم من أن حرفتها الغناء، شأنها شأن بقية الجواري [7]، إلا أنها تبنّت قضية بعض كتّاب العصر؛ مثلاً أنها أسهمت في السعي للخاقاني حتى تمكّنت

1- ابن القفطي: تاريخ الحكماء، ص249؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج3، ص84.
2- الصولي: أخبار الراضي، ص26؛ الصابي: الوزراء، ص288؛ البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص58.
3- الصولي: أخبار الراضي، ص26؛ الصابي: الوزراء، ص288؛ البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص58.
4- الصابي: الوزراء، ص241؛ ابن خلدون: العبر، م3، ق4، ص797؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص250.
5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص201؛ البيروني: الجماهير في معرفة الجواهر، ص58.
6- الهمداني: التكملة، ج1، ص21؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص130.
7- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص177؛ عريب: الصلة، ص136؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص169.

من تقليده الوزارة [1]، وكان الخاقاني هذا قد ضمن لها مائة ألف دينار، في حالة فوزه بالمنصب [2]، وتصف المصادر هذه الجارية بأنه لم يكن في البلاط العبّاسي ما يُشبهها في جمالها وكرمها ومعاملتها[3].

7 ـ الجارية دمنة:

هي تركية الأصل. يقال إنها كانت موجودة منذ عهد المعتضد [4](279-289هـ/892-901م)، وبقيت في وظيفتها تؤدي الغناء، وتعمل -أيضاً- في توصيل الرقاع [5]، من الوزراء إلى الخليفة [6]، ويُذكر بأن راتبها اليومي كان مائة دينار [7]، ونجهل مصيرها - كسابقتها- بعد مقتل الخليفة المقتدر.

هكذا وجدنا أن السلطة انتقلت - بصورة حقيقية، في عصر المقتدر - من الرجال إلى النساء، وتدخّلهن في أمور الدولة السياسية، في تولّي وعزل وتنصيب الوزراء وقادة العسكر [8]، أدى إلى انخراق الهيبة، وضياع الأمور، وانتشار الفوضى، وهي نتائج طبيعية ومحتومة لمن يولّي امراة، ويدعها تفعل ما تشاء.

وإن انقلاب سنة 317هـ/929م جاء بوصفه رد فعل من جانب العناصر العسكرية في محاولة لاستعادة سلطان الخلافة المضاع [9]، الذي غلب عليه تأثير الحريم، وإن العسكريين لم يستسيغوا تبوُؤ المرأة المراكز الأولى في قيادة الدولة [10]، وكذلك ضعف شخصية المقتدر؛ لأنه نشأ في أحضان والدته شغب، وهي إحدى جواري

1- الهمداني: التكملة، ج1، ص22؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص171.

2- الذهبي: سير أعلام البنلاء، ج2، ص188؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص289.

3- الصابي: الوزراء، ص354؛ المقريزي: السلوك، ج3، ص184.

4- ابن الطقطقي: الفخري، ص262؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص271.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص239؛ ابن دحية: النبراس، ص231.

6- الثعالبي: ثمار القلوب، ص195؛ ابن دحية: النبراس، ص229.

7- الصابي: الوزراء، ص325؛ عريب: الصلة، ص64؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص120.

8- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص193؛ ابن خلدون: العبر، م 3، ق4، ص799.

9- ابن الطقطقي: الفخري، ص262؛ ابن القفطي: تاريخ الحكماء، ص115.

10- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص117؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج3، ص139.

المعتضد، ونشأ المقتدر بين الحريم والجواري، والحريم هنّ السبب في مقتله -أيضاً- كما أسلفنا.

رابعاً: جواري وقَهْرَمَانَات
الخليفة أبي منصور القاهر بالله (320ـ322هـ/932ـ934م) (1):

هو الخليفة التاسع عشر من خلفاء بني العبّاس في قائمة السيوطي. وقد قلّ عدد الجواري والقَهْرَمَانَات خلال خلافة القاهر، لأسباب مختلفة:

1 - التصفية التي قام بها القاهر لجواري وغلمان أخيه الخليفة المقتدر، بدءاً بالسيدة شغب، وبجواريها، وقَهْرَمَانَاتها، لاستخراج الأموال اللازمة التي يعتمد عليها الحكم الجديد، فقد ضرب أمّ المقتدر حتى ماتت بعد التعذيب بعشرة أيام (2)، وهذا وضع جديد في نساء الخلفاء.

2 - الأزمة المالية المتأصّلة بالدولة، والتي لا تسمح بشراء الجواري والغلمان لعدم وجود ما يكفي - أساساً - لدفع رواتب الجند (3).

3 - الإجراءات الجديدة التي اتخذها الخليفة الجديد، بشأن عالم الجواري والقيان، فيُقدّر ما كان الخليفة المقتول مؤثراً للشهوات والشراب مبذّراً، وكان النساء غلبن عليه (4). بدأ الخليفة الجديد حكمه بتحريم القيان والخمر، والقبض على المغنين، ونفي المخانيث، وكسر آلات اللهو، وبيع المغنيات من الجواري على أنهن سواذج (5)، على الرغم من أن اتهام

1- القاهر: هو مُحمّد بن المعتضد، أمّه أمّ ولد، تُدعى فتنة، ويقال قبول، يُذكر بأنه كان سفّاكاً للدماء، أساء السياسة، فسُملَت عيناه، وسُجن إحدى عشرة سنة، وعاش باقي عمره متسوّلاً. يُنظَر: ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص187؛ ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص190؛ لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص432.

2- أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج3، ص84؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج5، ص131.

3- ابن دحية: النبراس، ص235؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص386.

4- الهمداني: التكملة، ج1، ص76؛ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص277.

5- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص145؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص366.

القاهر - أيضاً - بأنه كان لا يصحو من السكر، ولا يفتر عن سماع الغناء، ويؤيد ذلك إشارة الصولي إليه بأنه كان مدمن خمر [1].

توفي القاهر بعد خلعه في حالة فقر مدقع (339هـ/950م) عند خمسين سنة [2]، إلا أن في حياته قَصَصاً، تُدلّل على أنه كان يقتني الجواري أسوة بأقرانه من أولاد البيت العبّاسي من الذكور، مثلاً إن قتله لإسحق النوبختي (322هـ/933م)، كان بسبب أنه كان قد زايد القاهر قبل خلافته في جارية، أرست على النوبختي، أرادها لنفسه [3].

خامساً: جواري وقَهْرَمَانَات
الخليفة أبي العبّاس الراضي بالله (322-329هـ/933-940م) [4]

هو الخليفة العشرون من الخلفاء العبّاسيين في قائمة السيوطي. ارتقى إلى كرسي الحكم بعد خلع القاهر وأمّه إحدى جواري المقتدر، بمنزلة أمّ ولد، تُسمّى ظلوم، رومية الأصل. على خلاف عمه القاهر، كان الراضي يعقد مجالس الندماء وجوائزه وأموره على ترتيب المتقدمين من الخلفاء، على نحو ما يذكر الخطيب البغدادي [5]، إلا أن مشكلته تكمن في إفلاس الدولة، وعدم توافر المال لدفع رواتب الجند، ممّا تسبّب في دعوة أمراء الأطراف في إدارة دولة المركز، من أجل توفير الأموال لتمشية مكانة الدولة [6].

1- أخبار الراضي، ص155؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص233.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص175؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص390؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص180.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص278؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص387.

4- الراضي: هو مُحمّد بن المقتدر بن المعتضد، وُلد سنة 297هـ/909هـ، بُويع بالخلافة بعد خلع القاهر، وأمر ابن مقلة أن يكتب كتاباً فيه مثالب القاهر، ويقرأ على الناس، وفي زمنه، انقطع الحج في بغداد سنة 325 هـ/936م، وقلّد ابنيه: أبا الفضل وأبا جعفر على المشرق والمغرب، ومن صفاته، كان سمحاً، كريماً، وأديباً، وشاعراً، ومحبّاً للعلماء، اعتلّ الراضي، ومات سنة 326هـ/937م. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 292 293-.

5- تاريخ بغداد، ج6، ص117؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص97؛ العمري: مهذب الروضة، ص201.

6- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص165؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص278.

ولذلك اختفت كل تلك الأسماء اللامعة التي شهدها عصر المقتدر: الجواري والقَهْرَمَانَات ذات الشأن. وبسبب قصر يد الراضي، لم نجد نشاطاً يُذكر له في اقتناء الجوراي. وتوفي وهو لا يتجاوز إحدى وثلاثين سنة ونصف، فيما بدأ عصر جواري أمراء العسكر يأخذ ميزاته[1].

وتذكر المصادر عن قصر الخليفة الراضي أنه كان يضم والدته ظلوم الجارية، التي وصلت إلى القصر العبّاسي مقابل مبلغ خمسة عشر ألف درهم، كان قد دفعها المقتدر إلى أحد تجّار الرقيق في سوق بغداد[2]، ويقال بأنها كانت تحمل من الصفات الكثير، فهي جميلة الصورة والصوت، ولكن المعلومات عنها قليلة. يُذكر بأنها ماتت سنة 325هـ/ 936م، ودُفنت بالتربة في الرصافة [3]، ولا نعرف شيئاً عن زوجة الراضي الرسمية من بنات الخلفاء أو الذكور العبّاسيين.

سادساً: جواري وقَهرَمانَات
الخليفة أبـي إسحاق المتقي لله (329-333هـ/947-944م) [4]

هو الخليفة الحادي والعشرون في قائمة السيوطي بين الخلفاء العبّاسيين من أولاد الخليفة المقتدر وأخي الخليفة الراحل الراضي بالله، أمّه أمّ ولد، اسمها خلوب (ويقال زهرة) [5]، ويقال إنه لم يتسيّد على جاريته التي كانت للراضي [6]، والتي كانت له

1- الذهبي: العبر، ج2، ق2، ص80؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص198؛ العمري: مهذب الروضة، ص202.
2- الأبشيهي: المستطرف، ص185؛ السيوطي: المستظرف، ص56.
3- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج16، ص225؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص179.
4- المتقي: هو مُحمّد بن المقتدر بن المعتضد، وُلد سنة 297هـ/909م؛ بويع للخلافة بعد موت أخيه، وكثرت الأحداث في زمنه، وفي سنة 333 هـ/944م، خرج توزون لمقابلة المتقي في منطقة هيت، فقبض على المتقي، وسمل عينيه، ولم يحل الحول، حتى مات توزون، أما المتقي؛ فإنه أُخرج إلى الجزيرة مقابل السندية، فسُجن هناك مدة خمسة وعشرين سنة. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص -396 397.
5- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص 122؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص102.
6- مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص130؛ القزويني: آثار البلاد، ص127؛ القرماني: أخبار الدول، ص209.

والتي لا نعرف شيئاً عن اسمها ونشاطها، ويقال إنه كان كثير الصوم والتعبّد، ولم يشرب نبيذاً قط، ويرفض مجالسة الندماء [1].

خُلع المتقي في 333هـ/ 944من قبل الأمير توزون، وكان ذلك قبل دخول البويهيين بغداد، بقيادة أصغر الأخوة أحمد (معز الدولة)، ونُقلت الخلافة إلى ابن المكتفي هو المستكفي بالله [2].

1- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص149؛ العمري: مهذب الروضة، ص215.

2- الصابي: الوزراء، ص184؛ الصولي: أخبار الراضي، ص179؛ الذهبي: العبر، ص191.

الفصل الخامس

الجواري والقَهْرَمَانَات
في عهد الخلفاء العبّاسيين
خلال حكم البويهيين والسلاجقة.

هدف هذا الفصل تغطية تراجم وحياة الجواري والقَهْرَمَانَات الشهيرات في عهود خلفاء بني العبّاس خلال مدة تسلّط البويهيين والسلاجقة على الخلافة، كل من الخليفة المستكفي بالله (333-334هـ/944-945م)[1]، وابن عمّه المطيع لله (334-363هـ/945-973م) [2]، ثم ابنه الطائع لله (363-393هـ/973-1002م)[3]، ثم حفيد المقتدر القادر بالله (381-422هـ/991-1030م)[4] لمرحلة الأمارة البويهية، وكذلك كل من الخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ/1030-1074م)[5]، وحفيده المقتدي بأمر الله (467-487هـ/1074-1094م)[6]، وكل من المستظهر بالله (512-529هـ/1094-1118م)[7]، وخلفه المسترشد بالله (512-529هـ/1118-1134م)[8]، وابنه الراشد بالله (529هـ/1134م)[9]، ثم المقتفي لأمر الله (529-555هـ/1134-1160م)[10]، والمستنجد بالله (555-566هـ/1160-1170م)[11]، والمستضيء بالله

1- الهمداني: التكملة، ج2، ص82؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص397؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص56.

2- الهمداني: التكملة، ج2، ص94؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص399، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص228.

3- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص47؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص411؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص74.

4- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص174؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص417، مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص180.

5- الهمداني، التكملة، ج2، ص97؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص423.

6- الهمداني: التكملة، ج2، ص105، ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص119.

7- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص139، ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص51.

8- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص68، المقريزي: إغاثة الأمة، ج2، ص254.

9- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص145؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص427.

10- الهمداني: التكملة، ج2، ص115؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص125.

11- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص431؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص235.

(566-575هـ/1170-1179م) [1]، فيما يغطي قسمه الاخير عمل وتراجم مثل هذه الشخصيات النسوية خلال حكم العبّاسيين الأربعة الأواخر الذين عُرفوا باستخدامهم الكثير للجواري والقَهْرَمَانَات كل من الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م)[2]، والظاهر لدين الله (622-623هـ/1225-1226م)[3]، والمستنصر بالله (623-640هـ/1226 1242م) [4]، والمستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258م)[5] آخر خلفاء الخطّ العبّاسي في بغداد.

يستهدف هذا الفصل - بشكل خاص - متابعة دور الجواري والقَهْرَمَانَات في تمشية أمر دار الخلافة، ومن ملاحظة أثرهن في أمور السياسة العامة للخلفاء، وديوان ولاة العهد ورجالات الدولة، الإدارة من أمراء العسكر والوزراء ورؤساء الديوان المال [6].

ومما لاشك فيه أن العصر شهد زيادة في كثرة استخدام الخلفاء للجواري (وإلى حد ما القَهْرَمَانَات) نظراً لخلفية كل من الأسرتين الحاكمتين البويهية والسلجوقية ذوي الأصول الأعجمية والتركية التي ينتسب إليها مجتمع الجواري والقَهْرَمَانَات في الأغلب. وفيما يلي وصف لجواري وقَهْرَمَانَات هذه المرحلة من الخلافة، حسب ما تسمح به المعلومات المتوفّرة من المصادر.

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص152؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص436.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص131؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص159.

3- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص177؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص443.

4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص285؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص445.

5- المقريزي: إغاثة الأمة، ج2، ص239؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص465.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص145؛ المقريزي: إغاثة الأمة، ج2 ص239.

أولاً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي القاسم المستكفي (333ـ334هـ/944ـ945م)، عصر الهيمنة البويهية.

الخليفة الثاني والعشرون في قائمة السيوطي من الخلفاء العبّاسيين، يتحدر في نسبه من الخليفة المكتفي بن المعتضد، من أمّ ولد، اسمها أملح الناس، أو غص [1]. عاصر في مدة خلافته الأمير معز الدولة البويهي أول الأمراء البويهيين من الفرع البويهي الحاكم في بغداد، ولم تزد خلافته عن ستة عشر شهراً، خُلع في نهايتها [2].

أما على مستوى الجواري والقَهْرَمَانَات؛ فقد عرف قصر الخلافة بشخصية عَلَم القَهْرَمَانَة:

1. عَلَم القَهْرَمَانَة:

هي فارسية الأصل، من منطقة شيراز. كانت تُسمّى قبل وصولها إلى بغداد بـ (حُسُن الشيرازية)[3]، كانت زوجة أحد كتّاب الأمير توزون، وكانت تدخل دار الأمير أبي القاسم المستكفي، وتختلط بأهله قبل الخلافة، وبعد وفاة زوجها، تحوّلت إلى دار الخلافة، وأصبحت قَهْرَمَانَة، وتُعرف بالقَهْرَمَانَة عَلَم[4]. اشتُهرت عَلَم بكونها من ربّات النفوذ والسلطان والسياسة والدهاء، كما كانت موسورة الحال جداً[5]، على نحو ما يتضح من صُنعها للولائم العظيمة للأمراء الديلم والأتراك[6]، إلا أن حياتها انتهت بفاجعة سنة 334هـ/945م وقت دخول البويهيين بغداد، وقد اتهمها معز الدولة بأنها كانت تقف وراء مؤامرة، استهدفت أخذ البيعة للمستكفي، وإزالة حكم البويهيين عن بغداد[7]، وبسبب

1- الهمداني: التكملة، ج2، ص120؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص52؛ السيوطي: المستظرف، ص27.

2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص190؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج2، ص88.

3- ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص53؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص381، ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص112.

4- مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص123؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص191؛ ابن العبري: مختصر تاريخ الدول، ص ص 288-289؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص187؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص381.

5- الصابي: الوزراء، ص92، ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص53، النويري: نهاية الأرب، ج6، ص138.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص192؛ السيوطي: المستظرف، ص28.

7- ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص385؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص115.

هذا الموقف، أمر معز الدولة بقطع لسانها، ومصادرة أموالها التي تُقدِّرها المصادر بأربعين ألف دينار[1]، وفيما عدا هذا الدَور لا تُدوِّن المصادر مشاركات أخرى لها في حياة العبّاسيين والبويهيين.

ثانياً: جواري وقَهْرَمَانَات
الخليفة أبي القاسم المطيع لله (334-363هـ/945-973م) [2].

هـو الخليـفة الثالث والعشـرون في قائمة السيوطي من خلفاء البيت العبّاسي، ولـي الخلافة ما يقـرب مـن ثلاثة عقود (334هـ - 363هـ/945 - 973م)، عاصر فيها كلاً من الأمير معز الدولة وابنه عزّ الدولة بختيار [3].

المطيع من أولاد الخليفة المقتدر، من زوجة أمّ ولد، اسمها شغلة[4] (معلومات قليلة عنها)، ضعفت في عهده مؤسسة الخلافة كثيراً، وزادت أزمة الأموال [5]، حتى إنه قرر من قبل عز الدولة نفقة يومية، مقدارها "مائة دينار فقط"[6]، وفي هذا المحتوى، لا تشير المصادر إلى حالات البذخ والبهرجة التي كانت تُعرف بها قصور دار الخلافة، أو تتحدث عن نشاط الجواري والقَهْرَمَانَات، على الرغم من بقاء المطيع لله مدة طويلة، بدست الحكم، وتخوّفه من البويهيين، ومن قتله، مثلما فعلوا بالمستكفي. وقد ساهمت صورة الأحداث والظروف إلى عدم ظهور الجواري والقَهْرَمَانَات، وتغيّب نشاطهن في هذا العهد، فضلاً عن الحوادث الخارجية والداخلية التي أحاطت بالخلافة من الفاطميين والقرامطة.

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص194؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص399.

2- المطيع لله: هو أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد، وُلد سنة 301هـ/922م. بويع بالخلافة بعد خلع المستكفي سنة 334هـ/945م الذي قام بالمبايعة هو معز الدولة البويهي عند قدومه بغداد، وفي سنة 363هـ/973حصل للمطيع الفالج، وثقل لسانه، فخلع نفسه، وسلّمها إلى ابنه الطائع لله، ثم خرج إلى واسط مع ولده، فتوفي هناك سنة 364هـ. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص398-399.

3- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج2، ص140؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص315.

4- ابن القفطي: تاريخ الحكماء، ج3، ص252؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص399.

5- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج2، ص140؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص315.

6- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص52؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص215.

ثالثاً: جواري وقَهْرَمانَات
الخليفة أبي بكر الطائع لله (363-393هـ/973-1002م) [1]

هو الخليفة الرابع والعشرون في قائمة السيوطي من الخلفاء العبّاسيين. عاصر الأمير عضد الدولة البويهي ملك الملوك وأولاده صمصام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة[2]، ومن أحفاد الخليفة المقتدر بالله من خط ابنه المطيع لله، وأمّه مثل معظم الخلفاء العبّاسيين أمّ ولد، تحمل اسم هزار، أو (غيث) [3]، تولّى الخلافة عقدين، لكنه خُلع منها لاختلاف سياسته مع البويهيين، مع أنه لم يكن له فيها شيء سوى الاسم، فضعف أمر الخلافة إلى حد قول ابن الجوزي [4].

اشتهر قصر الخلافة أيام الطائع بشخصية:

1. **خالص الخادم**: هي شريحة من فئة الخدم والخصيان سادت أيام خلافة المقتدر، وتولّت وظائف هامة في الجيش والحجابة [5]، إلا أن الخليفة لم يقترن اسمه بأسماء جواري شخصية، في مقابل تملّك الأمير البويهي للجواري العاملات - آنذاك - مثل ملك الملوك عضد الدولة داخل قصره في بغداد، والذي سُمّي (بدار المملكة)، في أعلى الشماسية[6]، أما أهم جواريه:

2. **الجارية عاتكة المخزومية** [7]: هي الشاعرة اليمانية الفصيحة اللسان، التي كانت قد مدحت عضد الدولة في دار المملكة ببغداد، وظلت

1- الطائع لله: هو عبد الكريم بن الفضل بن المقتدر بالله، لقبه الطائع لله، ويبدو من اسم أمّه هزار أنها فارسية، ومعنى هزار ألف. وعقد البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين سنة 363هـ، ولم يَلِ الخلافة من العبّاسيين أسنّ منه، كان عمره 48 سنة. ولما مات عضد الدولة البويهي، ولي ابنه صمصام الدولة، ولقّب شمس الملة. وفي سنة381هـ قُبض على الطائع من قبل الديلم، وعلى رأسهم بهاء الدولة، فخلعوه، وسلّموه الخلافة إلى القادر بالله، وتوفي سنة 393هـ. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص407-408.

2- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص 115، الخطيب: البغدادي: تاريخ بغداد، ج3، ص142.

3- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص54، ابن دحية: النبراس، ص108، ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص134.

4- المنتظم: ج6، ص19؛ ابن دحية: النبراس، ص108، ابن خلدون: العبر، م3، ق4، ص279.

5- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6 ص145؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص107.

6- ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص112؛ ابن دحية: النبراس، ص115.

7- عاتكة المخزومية: كانت عند التاجر مُحمّد بن القاسم المخزومي في اليمن، لذا؛ اقترن اسمها باسم سيدها اليماني قبل وصولها إلى بغداد. يُنظَر: الزركلي: الأعلام، ج4، ص289.

تحضر مجلس عضد الدولة أسوة ببقية الشعراء، وتمدح الأمير البويهي بالتهاني والمدائح[1].

وجارية يمانية أخرى شاعرة للأمير البويهي في بغداد عضد الدولة تُعرف بـ:

3. الجارية عابد بنت مُحمّد الجهينة: حضرت مجلس عضد الدولة في يوم عيد الفطر سنة (367هـ/977م)، فاستحسنها، ودفع فيها مبلغ تسعة وعشرين ألف دينار[2]؛ ليضيفها إلى مجموعة الشعراء الذين كانوا ينشدون الأمير البويهي، بالمديح والتهاني[3].

وبسبب سيطرة الأمير عضد الدولة على أمور الحكم في حاضرة الخلافة وتملّكه الأحوال، انحصر تملّك الجواري في شخصه، وضعف مركز الطائع الذي كان مغلوباً على أمره وأحواله، ولا نعرف أسماء القَهْرَمَانَات في هذه المدة.

1- من قصائدها (عاتكة)

شتان بين مدبر ومدمر

صبر الليوث مصائد الغزلان

يُنظَر: التنوخي: نشوار المحاضرة، ج5، ص269.

2- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص106؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص408.

3- ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص163؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص288.

رابعاً: جواري وقَهْرَمَانَات أبي العبّاس القادر بالله (393ـ422هـ/1002ـ1030م)[1].

هو الخليفة الخامس والعشرون بقائمة السيوطي من الخلفاء العبّاسيين، وحفيد المقتدر من ولده إسحق، أمّه أمّ ولد، اسمها تمني، مجهولة الأصول، نظن أنها فارسية (وتُعرف دمنة أيضاً)[2].

يختلف عن الخلفاء السابقين في منزلته بوصفه خليفة، وفي إجراءاته التي تبنّاها خلال العقود الأربعة، إلا أنه على الرغم من شهرته الدينية وتقواه وورعه وانتمائه إلى حلقة أصحاب الحديث من المذهب الحنبلي[3]، لا يختلف عن غيره من الخلفاء العبّاسيين من تحدّره من أمّ ولد.

إلا أن قصور دار الخلافة - على ما تشهد المصادر المعاصرة - لم يُعرف فيها نشاط سوى الستر والديانة، ولذلك نُفي الجواري والقيان والمغنيات جميعهم من بغداد إلى سامراء[4].

وفي سنة (404هـ/1013م) من سنوات خلافته، منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً[5]، من أجل ذلك لم نعثر في مصادرنا على اسم لجارية في مدة خلافة القادر بالله، على الرغم من طول مدة خلافته، إلا أن أمّ ابنه والقائم عبد الله وريثه

1- القادر بالله: هو أحمد بن إسحق بن المقتدر بالله، لقبه القادر بالله، وُلد سنة 336هـ. بويع بالخلافة سنة 381هـ، أنشد الشعراء بين يديه، ومنهم الشاعر الشريف الرضي، وقال:

شـــرف الـــخـــلافـــة يـــا بـــنـــي الـــعـــبّـــاس
الـــيـــوم جـــدده أبـــو الـــعـــبّـــاس

كان قد تفقّه على يد العلامة أبي بشير الهروي الشافعي. ولما توفي عن سبع وثمانين سنة، كان أفقر الخلفاء العبّاسيين، ولم يخلف مالاً. وفي عهده انقطع الحج عن الحجاز، توفي سنة 422هـ/1030م. يُنظَر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ص 409 - 410.

2- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص152؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص39.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص228؛ ابن دحية: النبراس، ص132.

4- اليعقوبي: البلدان، ص 247؛ الصابي: رسوم دار الخلافة، ص 191.

5- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6؛ ص152؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص410.

في الخلافة هي أمّ ولد، من أصول أرمنية، تُعرف ببدر الدجى، ويقال (قطر الندى) [1]، أما الزوجة الرسمية للخليفة القادر بالله؛ هي سكينة بنت بهاء الدولة، تزوجها سنة 382هـ وصداقها كان مائة ألف دينار[2].

خامساً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي جعفر القائم بأمر الله (422هـ-467هـ/1030 - 1074م) [3]

هو الخليفة السادس والعشرون من قائمة السيوطي في خلفاء البيت العبّاسي، من أولاد القادر بالله، شهد عصره انتقال الحكم من البويهيين إلى السلاجقة [4].

ظهر في عهد الخليفة القائم بأمر الله شلة من الجواري والقَهْرَمَانَات لم تعرف قصور دار الخلافة لهن سجلاً منذ أيام دخول البويهيون بغداد قبل أكثر من قرن، على الرغم من أن هذه الظاهرة تعدّ مدة خاصة بعهد السلاجقة أكثر من حالها من أكثر الأيام حكمة خلال أيام البويهيين، من أشهرهن بدر الدجى سيدة القصر العبّاسي أيام ولدها القائم، وأرجوان، ووصال القَهْرَمَانَة، وصلف القَهْرَمَانَة، وغيرهنّ من شهيرات هذا العصر.

فأول ما نلاحظ على خلافته أنها كانت مثل خلافة والده القادر طويلة جداً، تجاوزت أربعة عقود ونصف [5]، ومثله كذلك في أن الخليفة الجديد أمّه أمّ ولد، تُدعى بدر

1- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 6، ص 150؛ ابن دحية: النبراس، ص133.

2- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص196؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص170.

3- القائم بأمر الله: هو عبد الله بن أحمد القادر بالله، لقب القائم بأمر الله، وُلد سنة 391 هـ/1000م، بويع بالخلافة سنة 422هـ/1030م بحضور القضاة والأمراء والكبراء في الدولة، سيطر السلاجقة على دست الحكم، ومرض القائم، فبايع حفيده المقتدي، توفي سنة 467هـ/1074م. يُنظَر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ص 417 - 418.

4- السلاجقة: هم الأتراك الذين سيطروا على المشرق الإسلامي، باستثناء مصر، ثم أصبحوا مهيمنين على الخلافة العبّاسية ما بين سنة 447-552هـ/1055-1157م، وشُغلوا بحروبهم شرقاً ضد شعوب ودول آسيا، وضد الدولة البيزنطية والصليبية غرباً. يُنظَر: لويس معلوف: المنجد، ص450.

5- ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص120؛ المقريزي: إغاثة الأمة، ج2، ص532.

الدجى (قطر الندى) أرمنية الأصل [1]، على ما تذكر المصادر، وقد اتبع سياسة والده الدينية إلى حد ما، في تبني الاعتقاد الذي اشتهر به كليهما (الاعتقاد القادري والقائمي)[2]، ويقال إن قصر الخلافة عندما نُهب في فتنة قائد الجيش أبي الحارث البساسيري (تـ451هـ/1059م)[3] لم يوجد فيه شيء من آلات الملاهي[4]. لكن القائم عاصر الغزو السلجوقي الذي جاء بالجواري الأتراك والخواتين إلى بغداد، والذي مُلئت منهن بغداد كثيراً [5]، ولنبدأ بذكر أشهر الجواري، ومن ثم أشهر القَهْرَمَانَات:

1ـ الجارية أرجوان (قرن العين) [6]:

هي أرمنية الأصل، من جواري قصر الخلافة أيام القائم بأمر الله[7]، تزوجت من ولده مُحمّد، الذي توفي أيام خلافة والده [8]، ومع ذلك، فإن أرجوان هذه لها ميزة خاصة بين جواري القائم في أنها حفظت للبيت العبّاسي استمرار خط الخلفاء العبّاسيين من نسل وأحفاد الخليفة المعتضد لابنه ذخيرة الدين مُحمّد، التي ولدت له أبا القاسم عبد الله (مستقبلاً الخليفة المقتدي) بعد وفاة والده بستة أشهر [9].

يقال إن الخليفة القائم اشتراها بعشرة آلاف درهم من أحد النخّاسين في أسواق بغداد، وبموجب ذلك، عُرفت بقرة العين [10]، وعُدَّت من النساء المباركات؛ لأنها حفظت خط الخلافة بيد العبّاسيين، وأدامتّه.

1- عريب: الصلة، ص132؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص418؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص226.

2- الصابي: رسوم دار الخلافة، ص172؛ ابن خلدون: العبر، م3، ق4، ص794.

3- البساسيري: (ت 451هـ/1059م) قائد تركي، ثار على الخليفة القائم العبّاسي، قضى على فتنة طغرل بك السلجوقي. يُنظَر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام، ص127.

4- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص201؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص151.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص175؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، 110.

6- أرجوان: يعني أحمر شديد الحمرة، فكل لون يشبهها فهو أرجوان. يُنظَر ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص200؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص210؛ لويس معلوف: المنجد في اللغة، ص266.

7- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص177؛ الذهبي: العبر، ج4، ص117.

8- الصابي: الوزراء، ص172؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، 112؛ السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص25.

9- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص210؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص245.

10- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص181؛ المقريزي: إغاثة الأمة، ج2، ص245.

كانت أرجوان من حريم دار الخلافة، ومن الملازمات للجارية الأرمنية بدر الدجى (قطر الندى) والدة الخليفة القائم بأمر الله [1].

وقد فرّقت حادثة البساسيري سنة (450هـ/1058م) بين الخليفة القائم وأرجوان؛ حيث هربت مع سيدتها بدر الدجى إلى نواحي بغداد بعيداً عن الخليفة القائم [2]، الذي فرّ - بدوره - إلى حديثة، حتى تمكن السلاجقة من الفتنة، وعودة الخليفة في25 ذي القعدة 451هـ/1059م.

عاشت أرجوان مدة تحت حراسة البساسيري أثناء إقامتها في واسط مع سيدتها، حتى وقت تحريرها من قبل السلطان طغرل [3]، أما تفاصيل حياتها الأخرى؛ فلا نعرف عنها شيئاً، مع أن من المحتمل جداً أنها قضت حياتها في معية ولدها المقتدي أثناء توليه الخلافة بين السنوات (467-487هـ/1074-1094م)، فضلاً عن أنها أدركت خلافة حفيدها المستظهر بالله (487-512هـ/1094-1118 م) وخلافة ابنه المسترشد بالله (512 - 529هـ/1118-1134م)، ورأت البطن الرابعة من أولادها. توفيت سنة (512-1118م)، ودُفنت في دار الخلافة، ثم نُقلت في السنة نفسها إلى مقبرة الخلفاء العبّاسيين بالرصافة[4]، وقيل عنها بأنها كانت سيدة كثيرة البرّ والمعروف، وحجّت بيت الله ثلاث مرات[5].

2. صلف القَهْرَمَانَة:

هي أرمنية الأصل أيضاً، اشتراها الخليفة القائم بمبلغ عشرين ألف درهم من أحد تجّار الرقيق في سوق بغداد [6]، عرفت بالذكاء وسرعة البديهية، فقد جعلت الخليفة القائم يُسرع بشرائها، ويقال -أيضاً- إنه خصّص خادماً خاصاً بها، هو موفق الخادم[7].

1- الثعالبي: ثمار القلوب، ج2، ص265؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص255.
2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص255؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص 65.
3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص255؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص175.
4- غي لسترانج: بغداد في عهود الخلافة العبّاسية، ج2، ص82؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص170.
5- السيوطي: المستظرف، ص26؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج2، ص142.
6- الهمداني: التكملة، ج3، ص72؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص257.
7- موفق الخادم: مؤسس المدرسة الموفقية في بغداد. يُنظَر: الزركلي: الأعلام، ج6، ص189.

وذهبت صلف إلى أبعد من ذلك بتدخّلها بزواج الخليفة من أخت الملك ألب أرسلان (مستقبلاً السلطان) المسمّاة خديجة خاتون[1].

ويقال إن صلف القَهْرَمَانَة طمعت - أثناء زيارتها للسلطان برفقة الخادم موفق طغرل بك - في إمكان الزواج من بنت الخليفة القائم، ممّا أدى إلى انزعاج الخليفة من هذا الطلب، وثقل عليه[2]، ووجهت مثل هذه التهمة للتحريض إلى الوزير عميد الملك الكندري[3]، لأنه لم تكن العادة الجارية لأحد من الملوك بالزواج من بنات الخلفاء، حفاظاً على إبقاء النسب بقريش، فتقدم بالكثير من الطلبات والاقتراحات، محاولة منه إبطال هذه الخطبة، لكن طغرل بك وافق على الطلبات جميعها، ليتم الزواج من بنت الخليفة السيدة في الري، الذي لم يستمر طويلاً لوفاة السلطان[4]. رافقت السيدة في رحلتها صلف القَهْرَمَانَة، وعن جانب السلطان الوزير عميد الملك الكندري، لكن السلطان - كما قلنا - توفي، ولم يدخل بها[5]، واستدعى أولو أمر السلطنة الجديدة إرجاعها إلى حجر والدها في دار الخلافة، ومعها خمسة آلاف دينار للنفقة، برفقة صلف القَهْرَمَانَة وحاشيتها[6] مستحقّة لقب (المتزوجة العذراء) من قِبل الباحثين. بعدها عاصرت خلافة المقتدى والمستظهر إلى وفاتها سنة (497هـ/1103م)، ودُفنت في الرصافة[7].

لم تكن صلف القَهْرَمَانَة مسؤولة عن أعمال السيدة بنت القائم، فحسب، بل كان لها تأثير قوي في مواقف الخليفة القائم من رجال إدارته[8]، مثلاً: عندما اتهم الوزير فخر الدولة ابن جهير بمناصرة سياسة السلاجقة ومعاداة الخليفة وعائلته، توسّطت صلف

1- خديجة: هي خديجة أرسلان خاتون بنت داود جفري السلجوقي. يُنظَر: سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص272.

2- ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص88؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص51.

3- الذهبي: العبر، ج4، ص120؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص431.

4- الهمداني: التكملة، ج1، ص51؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص175.

5- الصابي: الوزراء، ص177؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12، ص192؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص ص 112، 127، 128.

6- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص320؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص179.

7- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص180؛ ابن خلدون: العبر، م3، ق4، ص794.

8- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص275؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص55.

لحساب الوزير عند الخليفة [1]، الذي كان يطلب العفو، ويواصل السؤال حتى حصول موافقة الخليفة على دفع مبلغ، قدره خمسة عشر ألف دينار، فوقعت الإجابة من الخليفة، وأعفى عنه [2] بموجب وساطة صلف ومكانتها لدى الخليفة.

ويقال إنها كانت تمتلك مبالغ كبيرة، حتى إنه عندها من المال والذهب والحلي عندما وقع حائط من دارها ملاصق لدار الخلافة، أوقعته ريح شديدة سنة (461هـ/1068م) ظهر بين الآجر صفيحة، فيها تسعة أرطال من الذهب [3].

تركت صلف بعض الأعمال العمرانية التي خلّدت اسمها، منها مسجد قريب من دار الخلافة، يحمل اسم مسجد القَهْرَمَانَة [4]، يعود بناؤه إليها، كان مجمعاً للقواد والأمراء، حتى يُذكر أنهم إذا أرادوا استوزار شخص، اجتمعوا في مسجد صلف القَهْرَمَانَة [5].

أما وظيفتها كقَهْرَمَانَة المالية؛ لم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن وظيفتها الإدارية.

3. وصال القَهْرَمَانَة:

جارية أرمنية، أوصلها الرقّ إلى دار الخلافة [6]، كان الخليفة القائم قد اشتراها من سوق النخّاسين بمبلغ خمسة عشر ألف درهم، تصفها بعض المصادر بأنها حسنة الوجه، ولذلك أصبحت حظية لدى الخليفة[7]، كانت بصحبة والدة الخليفة قطر الندى، وعند وقوع حادثة البساسيري، فرّت مع حريم دار الخلافة إلى واسط سنة (451 هـ/1059م)، ثم عادت إلى بغداد بعد انتصار طغرل بك على رؤوس الفتنة من الأتراك البغداديين وأمراء السلاجقة [8]، وفيما عدا ذلك، لا نعرف شيئاً عن مسؤولياتها، أو واجباتها الأخرى.

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص195؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص425.

2- القرماني: أخبار الدول، ص120؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص200.

3- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص132؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص88.

4- ابن دحية: النبراس، ص150؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص179.

5- الذهبي: العبر، ج2، ص153؛ ابن الدبيثي: مختصر المحتاج، ص180.

6- السيوطي: المستظرف، ص55؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص75.

7- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص58؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص180.

8- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص135؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص201.

إن وجود هذا النفر من القَهْرَمَانَات في دار الخلافة في عهد الخليفة القائم ينافي ما ذكره أحد الباحثين من أن هيمنة السلاجقة على دولة الخلافة العبّاسية بين (447-552هـ/1055 - 1157م) والانشغال بالحروب شرقاً ضد شعوب ودول آسيا، وضد الدولة البيزنطية والصليبيين، لم يسمح بظهور القَهْرَمَانَات في عهد السلاجقة [1].

سادساً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي القاسم المقتدي بأمر الله (467-487هـ/1074-1094م).

هو الخليفة السابع والعشرون في قائمة السيوطي من الخلفاء العبّاسيين. ارتقى الخلافة بعد وفاة جَدّه القائم، ولم يرَ والده الذي توفي في حياة القائم نفسه، وأمّه أمّ ولد، أرمنية الأصل، يدين لها القائم بفضلها في الحفاظ على خطّ الخلفاء في ذريته، ممّا جعله يسمّيها قرة العين [2].

يوصف الخليفة المقتدي بأنه من نجباء بني العبّاس، وأنه لم يألُ جهداً في نفي المغنيات والخواص عن بغداد [3]، فضلاً عن ذلك، إن الخليفة المقتدي لما تقدّم لخطبة بنت السلطان ملكشاه المسمّاة ماه الملك، اشترطت في خطبتها ألا يبقى في دار الخلافة ذكر لجارية أسرية أو قَهْرَمَانَة [4].

وفي سنة 480هـ/1087 م ولدت للمقتدي (جعفراً) [5]، وفي سنة 482هـ/1089 م، ذهبت ماه الملك لزيارة أهلها في أصفهان، إلا أنها توفيت هناك بمرض الجدري، أما

1- بدري مُحمّد فهد: القَهْرَمَانَات في العصر العبّاسي، مجلة المناهل، العدد: 14 (المغرب، الرباط، 1979)، ص205.

2- السيوطي: المستظرف، ص26؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج2، ص142.

3- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص180؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص269؛ السيوطي: المستظرف من أخبار الجواري، ص55.

4- ماه الملك: هي بنت ملكشاه السلجوقي بنت جلال الدولة ملكشاه بن أرسلان، يُنظَر: الزركلي: الأعلام، ج5، ص277.

5- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص251؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص56.

ولده أحمد الذي عُرف - يما بعد - بالخليفة المستظهر [1]، فلا نعرف عن أمّه شيئاً، على الرغم من الحظر الذي وُضع على الجواري والقَهْرَمَانَات في عهد المقتدي، وإبعاد الجواري والمغنيات جميعاً عن بغداد، إلا أن مقتل الخليفة قد تم على يد جارية تُعرف بشمس النهار: تركية الأصل، وصلت إلى البلاط العبّاسي عن طريق الإهداء من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي، والتي دسّت السم في أكل الخليفة، فمات على أثره [2]، وعلى ما يقال بإيعاز من بركياروف بن ملكشات الذي قلّده الخليفة قبل موته بيوم واحد أمور السلطنة، ولقّبه بـ(ركن الدين)، وذلك سنة 487هـ/1094م[3].

سابعاً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة المستظهر بالله

(487-512هـ/1094-1118م)[4]

هو الخليفة الثامن والعشرون في قائمة السيوطي، من خلفاء بني العبّاس، لم تستقر له الخلافة، على الرغم من أنه احتفظ بمقعدها على مدى ربع قرن؛ إذ كانت أيامه مضطربة، كثيرة الحروب داخل العاصمة العبّاسية، عداء الملوك السلاجقة من جهة [5]، وتملّك الفرنج الأماكن المقدسة لأمة المسلمين، وكثرة أمر الباطنية ونشاطها داخل مدن بلدان الخلافة من جهة أخرى [6].

أدّت كل هذه الأسباب إلى عدم التفات الخليفة المستظهر لتملّك الجواري والقَهْرَمَانَات، فضلاً عن ضعف موارده المالية، ولم تذكر المصادر اسماً لجارية أو قَهْرَمَانَة

1- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص56؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص181.

2- الهمداني: التكملة، ج3، ص188؛ الذهبي: العبر، ج2، ص176؛ السيوطي: المستظرف، ص62.

3- سبط ابن الجوزي: مرآة الزخارف، ج2، ص182؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص94.

4- المستظهر: هو أحمد بن المقتدي بالله، وُلد سنة 470هـ/1077م، بايعه الوزير أبو منصور، ثم أخذ له البيعة من الملك ركن الدين بركياروق بن ملكشاه، ثم بقية الأمراء والرؤساء. وعُرف عن المستظهر أنه كان حافظاً للقرآن، وفصيحاً بليغاً. توفي سنة 512هـ/1118م. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص428.

5- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص151؛ المقريزي: إغاثة الأمة، ج2، ص181.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص288؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص133.

في عهد المستظهر، على الرغم من أن المستظهر أمّه أمّ ولد، تركية الأصل[1]، والمعلومات عنها قليلة.

كان الخليفة يحتفظ بزوجة رسمية، وهي بنت ملكشاه الثانية، وذلك في سنة 502هـ/1108م، كانت ذات مال وإقطاعات عظيمة، وأخوتها سلاطين: هم السلطان مُحمّد، وبركياروق، وسنجر، عاشت بعد وفاة زوجها ثماني سنوات [2]، وزوجة أخرى للمستظهر، كانت جارية، وأعتقها، وهي (نزهة)، أو ست السادة: وهي أرمنية الأصل، صفراء[3]، وكذلك كانت في قصره في بغداد جارية حبشية، تُدعى (نسيم)، فولدت له ولداً، تولى الخلافة، باسم المقتفي لأمر الله، وكانت له أمّ ولد، جاءت له بابنه المسترشد بالله، ولي الخلافة [4].

ثامناً: جواري وقَهْرَمانات الخليفة أبي منصور المسترشد بالله (512 - 529هـ/1118-1134م) [5]

هو الخليفة التاسع والعشرون من قائمة السيوطي في خلفاء بني العبّاس. يمثل عهده بداية مرحلة جديدة في النهوض والاستقلال بالخلافة من السيطرة السلجوقية على البلاد، وهو - من هذا المحتوى - أحيا رسم الخلافة، من اجل استرجاع سلطات الخليفة[6]، كذلك عمل على تشكيل جيش لها، وباشر الحروب بنفسه ضد ولاة الأقاليم، وقد

1- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص199؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص205.

2- ابن الطقطقي: الفخري، ص262؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص272؛ لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العبّاسية، ج2، ص210.

3- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص58؛ ابن دحية: النبراس، ص209؛ السيوطي: المستظرف، ص55.

4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص283؛ النويري: نهاية الأرب، ج6، ص302، مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص76.

5- المسترشد: هو الفضل بن المستظهر بالله، لقبه المسترشد، وُلد سنة 486هـ/1093م، كان ذا همة عالية وشهامة وهيبة في ضبط أمور الخلافة، ونقش اسمه على السكة، وكثر في أيامه المخالفون والباطنيون، فحُبس، وقُتل بأيدي الباطنية في خيمته. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 433-434.

6- ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، 288؛ لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العبّاسية، ج2، ص212.

اصطدمت سياسته بمصالح السلاطين السلاجقة، فعملوا على التخلص منه، ونجحوا في قتله سنة 529هـ/1134 [1]، كما اشتهر بتشييد أركان الكعبة الشريفة، وطرز أكمامها[2]، وقد أبعده كل هذا عن حياة الجواري والمغنيات وأهل الطرب، الذي لم يكن عنده ميل لها.

ويقال إن الخليفة - في بداية حكمه - كان قد تنسّك، ولبس الصوف، وانفرد للعبادة، وأصدر أوامره بمنع الجواري والقَهْرَمَانَات جميعاً، ولاسيما المغنيات والشاعرات من دخول البلاط العبّاسي [3]، ولذلك لم يعرف عهده الممتدّ على مدى سبع عشرة عاماً أي تسميات شهيرة من الجواري والقَهْرَمَانَات في دار الخلافة.

ترك ولداً من زوجته أمّ ولد، تركية الأصل (نجهل اسمها)، أصبح وريثه في تولي الخلافة هو (الراشد بالله) [4].

تاسعاً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي جعفر الراشد بالله (529هـ- 1134م) [5].

هو ابن الخليفة المسترشد، والخليفة الثلاثون في تعداد الخلفاء العبّاسيين في قائمة السيوطي، الذين ارتقوا الخلافة العبّاسية، لم يترك وريثاً، يتولى شؤون الخلافة من بعده [6] لانقطاع نسله، ممّا تسبّب في نقل خط الخلافة إلى عمّه المقتفي بن المستظهر.

1- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج7، ص64؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص288.

2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص290؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص86.

3- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص107؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص434؛ السلمي: الظرف والظرفاء، ص 42.

4- الصولي: الأوراق، ص150؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص289.

5- الراشد: هو منصور بن المسترشد، وُلد سنة 502هـ/1108م، أمّه أمّ ولد، تركية الأصل، بويع بالخلافة بعد قتل أبيه سنة 529هـ/1134م، كان فصيحاً، أديباً، شاعراً، ثم حكموا بخلعه من قبل أبي طاهر قاضي البلد، من قبل الناس الذين قدّموا الشكوى له، فخُلع، ومرض في أصفهان، ثم قُتل هناك. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص436.

6- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج7، ص65؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص290.

على عكس خلافة والده، كانت خلافته قصيرة جداً، لم تزد على سنة، خُلع منها قبل انتهاء مدته [1].

لا نعرف عن حياته شيئاً داخل بلاط قصر الخلافة، فهو يوصف بجمال صورته؛ لأنه كان يمتلك حُسن النبي (يوسف عليه السلام)، ويقال إنه كان يميل إلى الشراب والخمر، واستُخدم هذا ضده، من أجل إقرار خلعه. وقد استخدم السلطان مسعود هذا لخلعه، فما كان عليه - وهو في المنفى - إلا أن يترك نساءه عند جدته بنت السلطان ملكشاه، وأخيراً؛ ليلقى حتفه على يد فئة من حراسه وأتباعه [2].

عاشراً: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي عبد الله المقتفي لأمر الله (529 ـ 555 هـ/1134 ـ 1160م) [3].

هو الخليفة الحادي والثلاثون في قائمة السيوطي من خلفاء بني العبّاس، وعم الخليفة المعزول الراشد (529هـ/1134م)، جاء به السلاجقة للخلافة لإيقاف سياسة النهوض والاستقلال بالخلافة العبّاسية التي بدأها الخليفة المسترشد [4]، إلا أن الخليفة الجديد ليس - فقط - سار على سياسة النهوض بالخلافة هذه، بل العمل على تطبيقها، ومتابعتها، ممّا أدى إلى إنجاحها، وطرد السلاجقة قبيل نهاية عهده في سنة (555هـ/1160م)[5].

1- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص62؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص436.

2- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص440؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص345.

3- المقتفي: هو مُحمّد بن المستظهر، وبسبب رؤيته في المنام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل استخلافه بستة أيام، يقول له سيصل هذا الأمر إليك، فاقتف لأمر الله. بويع بالخلافة بعد خلع ابن أخيه الراشد، ومن صفاته، كان متشاغلاً بالدين، ونسخ العلوم، وقراءة القرآن، مات المقتفي سنة (555هـ/1160م). يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص -441 442.

4- ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص290؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص205.

5- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص310؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص250.

ولذلك قيل عنه إنه جدّد معالم الإمامة، ومهّد رسوم الخلافة، وباشر الأمور بنفسه، وغزا غير مرة [1]. وقول ابن الجوزي من أيام المقتفي عادت بغداد إلى يد الخلفاء، ولم يبقَ له منازع [2].

كان المقتفي مُعدم المال، مهاباً جليلاً، عالماً [3]، ولم تسمح له أوضاعه وتوجيهاته إلى تملّك الجواري واللهو بالحريم، ومع ذلك، ترك المقتفي ولياً للعهد اسمه يوسف، من جارية رومية، أمّ ولد، كرجية الأصل، اسمها طاوس، ويقال «نرجس» مستقبلاً المستنجد بالله [4]، لا تُدوّن المصادر المتوافرة لدينا شيئاً عنها.

حادي عشر: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي المظفر المستنجد بالله (555 ـ 566هـ/1160 ـ 1170م) [5].

هو الخليفة الثاني والثلاثون في قائمة السيوطي، من الخلفاء العبّاسيين البغداديين، تجاوزت خلافته عقداً ونيف من السنوات (-555 566هـ/1160-1170هـ)، مع أن ولايته للعهد كانت قد بدأت منذ سنة 547هـ/1152. توفي عن عمر يناهز ستة وخمسين عاماً، زوجته أرمنية بمنزلة أمّ ولد، تسمّى غضة، ولدت له الحسن مستقبلاً الخليفة المستضيء [6].

ومنذ خلافته، استقرت الخلافة العبّاسية في أولاده وأحفاده حتى زوال حكم البيت العبّاسي عن بغداد في سنة (656هـ/1258م) على يد المغول، بشخص المستعصم بالله.

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص346، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص441.

2- المنتظم، ج7، ص252؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص285، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص441.

3- ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص347؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 438 440.

4- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص436؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص62؛ مصطفى جواد : سيدات البلاط العبّاسي، ص95.

5- المستنجد : هو يوسف بن المقتفي، وُلد سنة 510هـ. بويع بالخلافة بعد وفاة والده، وكان هو معروفاً بالرفق، وأطلق من المكوس شيئاً كثيراً، ومات سنة 566هـ/1170م. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص443.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج11 ص360؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج7، ص346؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص445.

كان المستنجد خليفة عادلاً، يجيد النظم البديع، وله الرأي الصائب والذكاء الغالب[1]، لكنه لم يكن ميّالاً لتملّك الحظايا والمماليك والسراري؛ لأنه كان مصمّماً على أن يبذل عشرات الآلاف من الدنانير لمحاربة المفسدين، واستئصالهم من بلاده [2]، (في حين كان بإمكانه اقتناء الجواري والغلمان بها)، فضلاً عن تجربته مع جواري أبيه، في محاولتهم الفاشلة لخلعه من ولاية العهد لصالح أخيه المدعو «أبو علي» من حظية والده المقتفي، إلا أن محاولتها فشلت في قتل المستنجد [3]، بجهود خصي شخصي، نقل له أخبار مؤامرة الجواري عليه [4]، ويذكر ابن الأثير أنه عندما ثار به الجواري ضرب واحدة منهن، فجرحها، وأتبعها بأخرى حتى تمكّنه من مؤامرتهن، وهروب الجواري، والقبض على أخيه «أبي علي» وأمّه، وسجنهما، أما مصير الجواري؛ فقتل منهن، وأغرق بعضهن [5].

حل محله في الخلافة ابنه المستضيء، بعد تدبير مؤامرة له، أودت بحياته داخل حمّام دار الخلافة بقصر التاج [6].

اثنا عشر: جواري وقَهْرَمَانَات
الخليفة أبي مُحمَّد المستضيء بأمر الله (566 ـ 575هـ/ 1170 ـ 1179م) [7].

هو الخليفة الثالث والثلاثون في قائمة السيوطي من الخلفاء العبّاسيين البغداديين، حل محل والده في الخلافة بعد نجاح المؤامرة التي أجهزت على حياته سنة(566هـ/ 1170م)،

1- الذهبي: العبر، ق2، ج2، ص215؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج4، ص250.
2- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص175؛ السيوطي: المستظرف، ص64.
3- ابن دحية: النبراس، ص310؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص285.
4- ابن الدبيثي: المختصر المحتاج، ص262؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص36.
5- الكامل في التاريخ، ج11، ص439؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص182.
6- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص151؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص175.
7- المستضيء: هو الحسن بن المستنجد، وُلد سنة 530هـ/ 1135 م، بويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة 566هـ/1170م، ظهر في خلافته العدل والكرم، وفرّق مالاً عظيماً على الهاشميين والعلويين والعلماء والمدارس والربط، وضُربت السكة باسمه، توفي الخليفة المستضيء بأمر الله سنة 575هـ/ 1179م، دامت خلافته تسع سنين. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 444، 448.

واستمر بها حتى (575هـ/1179م) [1]، وشهد عهده زوال الخلافة الفاطمية وإلغاءها، المنافس القوي للعبّاسيين لقرنيين وسبعة عقود ونيف، وعند وفاته، لم يزد عمره عن أربعين عاماً [2].

وفي زمنه، شهد قصر التاج - محل إقامته - نشاطاً ملحوظاً للجواري، أشهرهن ذخر خاتون وبنفشا والجارية شرف، كما كثر جلب الغلمان والخدم، واستخدامهم في أمور قصر الخلافة، ويقول ابن الجوزي إن الخليفة الجديد احتجب عن أكثر الناس، فلم يركب إلا مع الخدم، ولا يدخل عليه غيرهم [3]، وفيما يأي تلخيص لحياة وسيرة تلك الجواري الخليفة:

1 ـ زمرد خاتون:

كانت أمّ ولد تركية، جلبها الجلابون من بلاد الترك الشرقية، إلى أن استقر بها المقام في دار الخلافة[4]؛ إذ أصبحت جارية الخليفة المستضيء بأمر الله، ثم أعتقها، وتزوجها[5]، وكانت أثيرة عند المستضيء ،لا سيما بعد أن ولدت له ولـي العهد أحمد سنة (553هـ/1178م)، وكناه بأبي العبّاس [6]، وعاشت وعاش في خلافة ابنها أربعاً وعشرين سنة، وكانت راغبة في الخير والصدقة وأفعال البر، ولها من الصدقات والوقوف ببغداد وغيرها شيء كثير، وقيل إنها حجّت، وأنفقت مالاً كثيراً، وعمرت التربة عند قـبر (معروف الكرخي)، والمدرسة إلى جانبها، وأوقفت عليها الأوقاف [7]، ووصفت بأنها من سيدات دار الخلافة العبّاسية ببغداد، وهي أمّ الخليفة وزوجة خليفة من خلفائهم، وتُعرف

1- ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص37؛ ابن العماد: شذرات الذهب: ج4، ص252.

2- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج2، ص195؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص101.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج11، ص440؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج6، ص185.

4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص178؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص182؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص448.

5- ابن الدبيثي: المختصر المحتاج، ص262؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 36.

6- المقريزي: السلوك، ج1، ص217؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص183.

7- الكازروني: مختصر التاريخ، ص242؛ حسين بن مُحمّد بن الحسن الديار بكر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (بيروت: مط سفيان، بلا)، ج1، ص366.

اليوم قبة قبرها بقبة الست زبيدة (خطأ) عند مدفن الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد، وذلك في سنة (599هـ/1202م) [1].

2 ـ الجارية بنفشة (بنفشا):

هي رومية الدم، نشأت في اليمامة [2]، وأوصلها الرق إلى دار الخلافة، عندما اشتراها المستضيء بمبلغ عشرة آلاف دينار، وساعدها حُسن الوجه، إلى أن تصبح حظية وسرية لدى الخليفة [3]، وتحتل مكانة عالية ومنزلة رفيعة لديه؛ لأنه كان كثير الميل والمحبة لها، فكان حكمها نافذ الأمر والنهي في القصر العبّاسي، ومن مميزات هذه الجارية أنها كانت تمتلك داراً، تقع في جنوب بغداد علـى شاطئ دجلة، جعلتها مدرسة، سُمّيت بـ (مدرسة بنفشا)، وأوقفتْها على الحنابلة للدراسة فيها [4].

لم تكتف بذلك، بل بنت قنطرة على نهر عيسى (الصقلاوية حالياً)، وكذلك عقدت جسراً على دجلة عند مدرسة بنفشة [5]، ويُذكر أن للجارية بنفشا أكثر من دار واحدة؛ من بينها الدار التي بناها لها المستضيء، وهي دار مجاورة لباب الغربة الشريفة على شاطيء دجلة أيضاً، ويقال إن هذه الدار كانت عالية البناء، واسعة الفناء، وتشمل مقاصير وحجران ومناظر ومتنزهات، ويُذكر - أيضاً - أنه كان يجاورها أربعة دواليب، تُسقى مزروعات الدار من النهر مباشرة (وأمرت ببناء جسر جديد، يُنصب بين يدي هذه الدار إلى باب الرقّة)، وتم تدشين الدار سنة (596هـ/1173م) [6].

كانت بنفشا تمتلك الكثير من الأموال والجواهر التي لا تُحصى، وكثيرة المعروف والإحسان والصدقة، وخير مثال على ذلك ما ذكره ابن الأثير «من أنها كانت تُخرج في عيد

1- ابن دحية: النبراس، ص265؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ق1، ص635.

2- القرماني: أخبار الدول، ص78؛ الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص466.

3- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص636؛ ابن العماد : شذرات الذهب: ج4، ص252.

4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص188؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص101.

5- ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص88؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص65؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص175.

6- العصامي: سمط النجوم، ج8، ص92؛ العمري: مهذب الروضة، ص65؛ السيوطي: المستظرف، ص34.

الفطر من كل سنة صاعاً من التمر، وتقول: هذا ما فرضه الشرع عليّ، وأنا لا أقتنع من مثلي بهذا، فتُخرج صاعاً من الذهب العين، وتأمر بتفرقته على الفقراء»[1]، كما يُعرف بأن بنفشا أعتقت خلقاً كثيراً من الموالي والجواري والمماليك الذين كانوا في خدمتها، وتوفيت بنفشة الحظية الميسورة سنة (598هـ/1201م)، ودُفنت في التربة المجاورة لمعروف الكرخي[2]، ولا نعرف فيما إذا تركت للمستضيء ولداً.

3- الجارية شرف:

وهي تركية الأصل، دخلت القصر العبّاسي لقاء مبلغ قدره خمسة عشر ألف دينار، دفعها المستضيء لأحد تجّار النخّاسين في بغداد [3]، وأعتقها المستضيء بعد أن ولدت له ولده الأمير أبا منصور [4]، ويقال بأنها كانت امرأة صالحة [5]، وتوفي مولاها المستضيء، وهي في الحياة، وعاشت في كنف ولدها الأمير أبي منصور إلى وقت وفاتها في سنة (608هـ/1211م) في صحن السلام، ودُفنت بتربة الرصافة [6].

يضم قصر المستضيء والدته، وهي أمّ ولد، تُدعى غضة (عصمت)، وهي أرمنية الأصل [7]، ونجهل سنة وفاتها.

لم أقف على اسم القَهْرَمَانَة، أو مَن شغل دور هذه الوظيفة داخل البلاط العبّاسي طيلة عهد الخليفة المستضيء، على الرغم من وجود أعداد كبيرة من الجواري زمن خلافته، وبلا ريب، فإن قسماً من هذه الجواري كن قد خُصِّصن للخدمة ضمن حريم دار الخلافة.

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص210؛ العمري: مهذب الروضة، ص66.

2- الهمداني: التكملة، ج3، ص98؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج4، ص 81.

3- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص207؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج3، ص110.

4- أبو منصور: هو – مستقبلاً – الخليفة الظاهر، خُلع من ولاية العهد بعد ترشيح الناصر ولده الصغير علي إلى وفاته في 612هـ/1215م، فأعاد لولاية العهد، ثم الخلافة. يُنظَر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج12، ص441.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص266؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص65.

6- الذهبي: العبر، ج3، ص177؛ العصامي: سمط النجوم، ج3، ص185.

7- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص445؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب، ج4، ص162.

ثالث عشر: جواري وقَهرَمانَات

الخليفة أبي العبّاس الناصر لدين الله (575 ـ 622هـ/1179 ـ 1225م) [1].

هو الخليفة الرابع والثلاثون في قائمة السيوطي من الخلفاء العبّاسيين البغداديين، وخلافته أطول خلافة، شهدتْها الدولة العبّاسية، امتدت لسبع وأربعين سنة [2]، شارف على السبعين عند وفاته، وانتقل الملك إلى ولده الظاهر بأمر الله، وعمل بنظام الفتوة دعماً للخلافة العبّاسية والحكم[3]، توافد التجّار على بغداد في زمانه، لاستقرار أمور البلاد [4].

وكثرت الأموال المخصّصة لشراء الجواري والخدم والغلمان، كما نعرف أنه أطلق وظيفة الجواري لمختلف الوظائف، بما في ذلك جارية، علّمها الخط بنفسه، فكانت تكتب مثل خطه، فتكتب على التواقيع[5]. ويتصف حكمه بالرفاهية، ولم تزل الرعية في ظل أنعامه يرجعون إلى أوفى الأمن، وأوفر فضل وأكمل مَنّ، وأوسع معيشة، وأرخى حياة وعيشة، وتميّز بأنه ذا هيبة في قلوب الناس[6]، وضمّ قصره الكثير من الجواري والقَهْرَمَانَات؛ أمثال القَهْرَمَانَة حدق الناصرية، وست النسيم، وفضلاً عن والدة الخليفة، وهي زمرد خاتون، أما الزوجة الرسمية للخليفة الناصر؛ هي سلجوقة خاتون، ونبدأ بأشهرهن وأهمّهن مكانة، وهي حدق الناصرية القَهْرَمَانَة.

1- الناصر: هو أحمد بن المستضيء بن المستنجد، وُلد سنة (553هـ/1158م)، بويع له عند موت أبيه المستضيء، عاش الناصر مدة خلافته في عز وجلال وقمع الأعداء، واستظهار على الملوك، ولم يخرج عليه خارجي، إلا وقمعه، وقيل إنه أقوى الخلفاء منذ القرن الثالث الهجري، توفي سنة 622هـ/1225م. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 448-458.

2- ابن الطقطقي: الفخري، ص322، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص448.

3- الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص127؛ العصامي: سمط النجوم، ج3، ص116.

4- القرماني: أخبار الدول، ص151؛ ابن الدبيثي: المختصر المحتاج إليه، ج1، ص36.

5- صدر الدولة، أبو الحسن علي بن الناصر (القرن السابع الهجري): أخبار الدولة السلجوقية (لاهور: نشر مُحمّد إقبال، 1933)، ص104.

6- ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص66؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص450.

1 ـ حدق الناصرية القَهْرَمَانَة:

هي تركية الأصل [1]. وصلت إلى بغداد عن طريق أحد تجّار الرقيق، واستصفاها لنفسه بمبلغ خمسة عشر ألف دينار، من سوق الجواري في بغداد[2]، نظراً لما كانت تحمل في نفسها من الصفات العالية مثل الذكاء والفطنة، لدرجة أن الناصر أَوْكَلَهَا أمور نسائه[3] من الحريم؛ إذ تحكّمت في دار الخلافة تحكّماً عظيماً، حتى صارت لا يقال لها إلا بالست حدق [4] ؛ لأنها كانت هي التي في مسؤوليتها الصرف على نساء الخليفة من ناحية الملبس والمأكل والهبات، بعد استحصال موافقة الخليفة الناصر في أخذها المال من خزانة الخليفة الخاصة، وكان الأمر يسري حتى على زوجات الخليفة ووالدته زمرد خاتون الشهيرة، فتسأل القَهْرَمَانَة حدق في ذلك [5]، وعندما حجّت هذه القَهْرَمَانَة ضُرب بها المثل، بما فعلتْه من الخيرات [6]، وعمّرت جامعاً، هو جامع الظاهر في القاهرة، يقال له جامع « الست مسكة (نجهل سبب هذه التسمية) [7]، وماتت سنة 625 هـ/1227م في بغداد، ودُفنت في الرصافة [8].

2 ـ ست النسيم القَهْرَمَانَة:

هي رومية الأصل[9]. أوصلها الرقّ إلى بغداد منذ مدة مبكرة من حياتها، وكانت تنتقل من سيّد إلى آخر، إلى أن انتقلت إلى قصر الخليفة الناصر من سوق بغداد للجواري زهاء شرائها بمبلغ سبعة عشر ألف دينار[10]، وكانت لهذه القَهْرَمَانَة صفة مهمة داخل قصر

1- مُحمّد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس (بيروت: مط دار الهلال، 1975)، ص85، قرص ليزري.

2- حسين بن مُحمّد بن الحسن الديار بكري: تاريخ الحسين في أحوال أنفس النفيس (بيروت: مط سفيان، بلا) ج2، ص61.

3- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص127؛ ابن الساعي: الجامع المختصر، ج9، ص260، قرص ليزري.

4- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج6، ص285؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص98.

5- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص239؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص218؛ السيوطي: المستظرف، ص42.

6- العمري: مهذب الروضة، ص268؛ ذهبي: مشاهير النساء، ج2، ص128 (قرص ليزري).

7- ابن كثير: البداية والنهاية، ج12؛ ص215؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص128.

8- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص248.

9- ابن القفطي: تاريخ الحكماء، ج3، ص166؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص228.

10- القزويني: آثار البلاد، ص49؛ العصامي: سمط النجوم، ج4، ص212.

الخليفة، تتلخّص في قدرتها على تقليد خط الخليفة، وتكتب على تواقيعه، وقد أثبتت جدارة عندما ضعف بصر الخليفة، وظهر العجز عليه في تمشية الرقع [1]، وإظهار التواقيع، وذلك بأن جعلها بين يديه تكتب الأجوبة والرقاع، بمشاركة خادم الخليفة، اسمه (تاج الدين رشيق) [2]، ثم زايد الأمر بالناصر، فصارت القَهْرَمَانَة تكتب الأجوبة، بما تراه، فمرّة تصيب، ومرة تخطئ، ويشاركها رشيق في مثل ذلك، إلى وقت اكتشاف أمرها من قِبل الوزير المؤيد [3].

عاشت ست النسيم القَهْرَمَانَة حياة مترفة بجانب الخليفة، وعاصرت ولده الظاهر وحفيده المستنصر، إلى أن ماتت سنة 627هـ/1229م، ودُفنت بالتربة في الرصافة [4].

1- الذهبي: العبر، ج4، ص189؛ القرماني: أخبار الدول، ص278؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص452.

2- الديار بكري: تاريخ الخميس، م1-2، ص261؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج4، ص50.

3- مؤيد الدين (520-592هـ /1126-1196م) محمد بن علي بن أحمد بن المبارك، أبو الفضل، مؤيد الدين، ابن القصاب: وزير عصامي من الكتاب ذوي الرأي. استقدم سنة 584هـ من شيراز إلى بغداد، فولي ديوان الإنشاء، وتقدم إلى أن ردت إليه الدواوين كلها. ثم خلع عليه بالوزارة سنة 590هـ وانتدب لإصلاح خلل طرأ على بلاد خوزستان وتستر، فخرج متنقلاً متفقداً، فما وافى بلداً إلا جاءه أهلها طائعين، فتسلمها وأقام بها من الأمراء من رآه أهلاً للعمل ثم توجه إلى همذان والري وأصبهان، فتسلمها جميعاً وأصلح أمورها. وعاد ووجهته همذان، فتوفي على بابها. وكان أبوه قصاباً بسوق الثلاثاء (المسماة اليوم سوق الحيدر خانة) ببغداد. انظر الزركلي، الإعلام، ج6، ص279.

4- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، 261؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص280.

الرابع عشر: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي نصر الظاهر بأمر الله (622 ـ 623 هـ/ 1225 ـ 1226م) [1]:

هو الخليفة الخامس والثلاثون من قائمة السيوطي من الخلفاء العبّاسيين البغداديين. تولى الخلافة من أبيه كهلاً، نظراً لطول خلافة والده الناصر، لم تدم خلافته أكثر من تسعة أشهر وأياماً، على الرغم من أنها - في نظر ابن الأثير - من أفضل خلافات بني العبّاس [2].

وقد اتصفت خلافته بأنه أظهر العدل بين الرعية والإحسان إليهم، وأبطل المكوس[3]، وإعادة الخراج إلى ما كان عليه قديماً في العراق جميعاً، بعد الزيادة التي طرأت عليه زمن الناصر [4]، وأنفق الكثير من خزانة الدولة في سبيل الله [5]، وقد ضمّ قصر الظاهر عدداً من الجواري اللاتي يرجعن في نسبهن إلى أصول تركية؛ مثل الجارية حياة خاتون والجارية جوهر.

وإن الخليفة الظاهر من أمّ ولد، من زوجة الناصر، هي تركية الأصل[6]، لم تذكر المصادر اسمها، ونبدأ بأشهر الجواري في قصر الخليفة الظاهر.

1 ـ الجارية حياة خاتون:

وصلت إلى البلاط العبّاسي بعد أن اشتراها الظاهر من سوق الجواري في سامراء، بمبلغ سبعة عشر ألف دينار [7]، وكانت حياة حظية لدى الظاهر، ومقرّبة إليه، وفي

1- الظاهر: هو مُحمّد بن الناصر لدين الله، وُلد سنة 571هـ/1175م، استخلف عن موت والده، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة، وقد أحسن إلى الرعية، وأزال المظالم، وفرّق الأموال، وأعاد الأموال المغصوبة. توفي سنة 623 هـ، وخلافته كانت تسعة أشهر. يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 458-460.

2- الكامل في التاريخ، ج12، ص440؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص315.

3- الذهبي: العبر، ، ج2، ص90؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص260(قرص ليزري).

4- المقريزي: السلوك، ج2، ص153؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص91.

5- العصامي: سمط النجوم، ج3، ص378؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص162.

6- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج3، ص465؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص163.

7- الذهبي: تاريخ الدول، ج3، ص190؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص285.

سنة 623هـ/226م، أُعتقت حياة بعد موت الظاهر [1]، وبقيت داخل القصر العبّاسي إلى وفاتها سنة 639 هـ/1241م، وحُملت إلى تربة الخليفة المستضيء [2]، ونجهل صنعة هذه الجارية.

2 ـ الجارية جوهر:

وصلت إلى قصر الظاهر بالإهداء من أحد تجّار الأقمشة في بغداد [3] (نجهل اسمه)، وبعدها؛ سُمِّيت بباب جوهر، نظر لَمكانتها لدى الخليفة [4]، وكانت حظية ومقربة للظاهر، وتوفيت سنة 667 هـ/1239م، ودُفنت بالترب الشريفة في الرصافة [5].

3 ـ الجارية نسمة:

هي من أصول تركية، وأمّ ولده المنصور، مستقبلاً المستنصر[6]، والمعلومات قليلة عنها.

خامس عشر: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي جعفر المستنصر بالله (623ـ640هـ/1226ـ1242م) [7].

هو الخليفة السادس والثلاثون في قائمة السيوطي. شهدت خلافته تقريب أهل العلم ورجال الدين، وبناء المساجد والمدارس (مثل المدرسة المستنصرية الشهيرة) التي ازدانت باسم مشيدها الخليفة المستنصر، وكذلك الربط والمارستانات [8].

1- ابن دحية: النبراس، ص293؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص440.

2- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص265؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص160.

3- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص172؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج2، ص160.

4- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص445؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص137.

5- العصامي: سمط النجوم، ج3، ص379؛ ابن دحية: النبراس، ج3، ص190.

6- المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص155 (قرص ليزري)؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، ج3، ص210 (قرص ليزري).

7- المستنصر: هو منصور، وُلد سنة 588 هـ/1192م، بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة 623 هـ/1226م، وبنى مدرسة المستنصرية على دجلة من الجانب الشرقي، وتدرس فيها أربعة مذاهب، وعمل فيها مارستان، ورواتب جيدة للدارسين، ومن أعماله: هزم التتار هزيمة عظيمة، مات المستنصر فيها سنة 640هـ/1242م، يُنظَر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 460-463.

8- ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص270؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج3، ص321.

لكنها شهدت – أيضاً – كثرة الجواري والخدم في قصور الخلافة، ورواج وانتعاش سوقهم في بغداد [1]، وكان جده الناصر يقربه ويسميه القاضي لهداه وعقله وإنكاره ما يجده من المنكر [2]..

إذاً؛ كانت حياتهم مترفة، وأرجعت للخلافة زهوها ومجدها، ازدان قصره بأعداد الجواري والخدم، ومنهن شاهان القَهْرَمَانَة، والجارية هاجر، ونبدأ بأبرزهن دوراً، وهي شاهان:

1 ـ شاهان القَهْرَمَانَة:

فارسية الأصل، كانت – في بادىء الأمر – جارية لزوجة الأمير جمال الدين بكلك السلجوقي [3]، وشملتها بعنايتها الخاصة، فظهرت عليها آثار الترف والسعادة، ولما بويع المستنصر،أهدتْها له مع جملة جواري، وكانت قد نشأت تنشئة راقية ومتطورة في بيوت الأمراء والخلفاء، واستغلت مكانتها لدى المستنصر[4]، فعملت من حجرتها باباً خاصاً نحو خارج القصر العبّاسي، كما عملت ديواناً لتسجيل الأمور المالية لدى الخليفة من الصرف والمشتريات[5].

أصبح لهذه القَهْرَمَانَة وكلاء ونواب وخدم وحاشية، فضلاً عن أنها تتصرف في الأموال حسب أهوائها، وتأمر وتنهى بأتمّ أمر، وأنفذ حكم، بل وراحت إلى أبعد من ذلك، عملت حسبة شهرية في ديوانها [6]، وأطلق فيه إلى السناكرة [7] والزراكشة، والصاغة والتجار والبزازين والجواهرين وأرباب الصنائع على اختلاف صنائعهم، وجمعت ما يبلغ حوالي مائة ألف دينار وخمسة آلاف وثلاثمائة وستون ديناراً [8]، وذُكر بأنها كانت كثيرة

1- الذهبي: تاريخ الدول، ج3، ص196؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص286.

2- ابن دحية: النبراس، ص293؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص446.

3- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج3، ص363؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص181.

4- ابن الفوطي: تلخيص المعجم، ج4، ص68؛ المقريزي: السلوك، ج2، م4، ص165 (قرص ليزري).

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص446؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص215.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص450؛ ابن دحية: النبراس، ص372.

7- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص210؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص245.

8- السناكرة: لفظة فارسية، تعني الشخص أن يكون مكثراً في شيء، يشتري مَن هو أسفل منه، أو أخف حالاً، أو أقل مالاً، ثم يبيع ويشتري من غيره، يُنظَر: أبي سعد عبد الكريم بن مُحمّد بن منصور السمعاني (ت: 562هـ): الأنساب (حيدر أباد الدكن، مط: دائرة المعارف العثمانية، 1962-1978)، ج4، ص245.

البر والمعروف، وتتفقّد الفقراء والأرامل والأيتام، ودائمة الصدقات [1]. فبعد وفاة المستنصر، ووفر نصيبها من التبجيل والإعظام، تم نقلها هي وجواريها وخدمها وأتباعها وحشمها إلى الدار التي نشأت فيها عند سيدتها الأولى زوجة الأمير جمال بكلك. توفيت شاهان سنة 645هـ/247م ودُفنت في الرصافة [2].

2 ـ الجارية هاجر:

هي رومية الأصل [3]. وصلت بالشراء إلى قصر الخليفة مقابل مبلغ تسعة آلاف دينار [4]، أعتقها المستنصر بعد أن ولدت ولدين: هما الأمير أبو القاسم عبد العزيز، والأمير أبو أحمد عبد الله [5]، كانت زوجة الخليفة المستنصر وأم الخليفة المستعصم، فيما بعد، ويقال بأنها على قاعدة جميلة، وراغبة في فعل الخيرات ومواصلة الفقراء [6]، وخير دليل: أنها أمرت ببناء رباط للصوفية، بشارع ابن رزق الله في الجانب الغربي من بغداد، وقامت ببناء تربة لنفسها بجانب الرباط، توفيت السيدة هاجر سنة 646 هـ/1248م بعد أن عاشت حياة مترفة في عهد ابنها المستعصم بالله [7].

لم تذكر المصادر التاريخية أكثر من القَهْرَمَانَة شاهان والسيدة هاجر والدة الخليفة، وهي أمّ ولد (كما ذكرنا) تُدعى نسمة، وحتماً هناك جواري أكثر من هذا، خُصّصن للخدمة داخل القصر العبّاسي، لا نعرف شيئاً عن نشاطهن.

1- العمري: مهذب الروضة، ص236؛ السيوطي: نزهة الجلساء، ص62. (قرص ليزري).
2- العمري: مهذب الروضة، ص236؛ السيوطي: نزهة الجلساء، ص62. (قرص ليزري).
3- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص120؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص209.
4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص225؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج4، ص260.
5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص448؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج5، ص72.
6- ابن دحية: النبراس، ص329؛ ابن الفوطي: تلخيص معجم الأدب، ج4، ص70.
7- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص289؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص210.

سادس عشر: جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة أبي أحمد المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258م) [1].

هـو الخليفة السابع والثلاثون في قائمة السيوطي، وآخر الخلفاء من البيت العبّاسي البغدادي، وأمّه أمّ ولد، اسمها هاجر، وخلّف ثلاثة أولاد، لا نعرف أمّهاتهم، وهم كل من أبي العبّاس أحمد (الأكبر) المسمّى خطأً أبا بكر، وأبو الفضائل عبد الرحمن، وهو (الأوسط)، وأبو المناقب، وهو (الأصغر) [2].

كان سوق الجواري في زمانه سوقاً رائجة؛ لأن الخليفة كان من محبي سماع الأغاني الساخرة، يقضي معظم أوقاته لسماعها، على الرغم من خطر المغول المحدق بدار الخلافة الذي يلوح في الأفق [3].

صفّى هولاكو جواري دار الخلافة التي كان يملكها المستعصم، مستصحباً الغنائم منهن معه إلى مركز حكمه في تبريز، لكنه سمح للمستعصم - قبل أن يقرّر نهايته - على اختيار ما يريده من جواريه مصاحبه له إلى مركز اعتقاله في المعسكر [4]، ويقال إنه انتقى من جواريه ما يربو على عشرين جارية، ويذكر ابن العبري أن في منزل الخليفة المستعصم كانت الجواري بحوالي سبعمائة امرأة، ومعهن ثلثمائة خادم، أخفين عندما أخرجهن هولاكو من دار الخلافة [5].

ونذكر أهم الجواري اللاتي ذُكرن في المصادر العبّاسية:

1 ـ الجارية بشير:

جارية رومية. تم شراؤها لحساب الخليفة بمبلغ عشرين ألف دينار، من تاجر للجواري في سوق بغداد، وأصبحت حظية لدى المستعصم[6] . وعندما ولدت محمداً، وهو

1- المستعصم: هو عبد الله بن المستنصر، وُلد سنة 609 هـ/1212م، بويع للخلافة بعد وفاة أبيه، ومن صفاته، كان متديناً ومتمسّكاً بالسُنَّة كأبيه وجَدِّه، ولكنّ؛ كان خالياً من الرأي والتدبير، وقطع أكثر الجند، وعمل على مصانعة التتار، وإكرامهم، إلى أن قُتل سنة 656هـ/1258م. يُنظَر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص464-466.

2- ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص470؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص114.

3- ابن دحية: النبراس، ص355؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص245.

4- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص175؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص62.

5- تاريخ مختصر الدول، ص272.

6- العمري: مهذب الروضة، ص290؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص66.

الأوسط، أعتقها المستعصم، وتزوجها، وأصبحت تسمّى باب بشير إكراماً لها وتعظيماً لمكانتها[1]، ومن أعمالها، أنها تركت آثاراً جميلة، ومآثر حسنة، من خلال أعمالها، ولاسيما بناءها مدرسة، وهي (مدرسة البشيرية) بالقرب من دار الخلافة في بغداد [2] التي تضم دوراً عدة لقراءة القرآن وحفظه، والأخرى لدراسة المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية، تقع المدرسة شرق معروف الكرخي [3]. توفيت ودفنت بباب بشير سنة 652هـ/1254م[4] .

أما والدة الخليفة السيدة هاجر؛ يقال بأنها تصدّقت بأموال كثيرة على الفقراء والأيتام والأرامل أثناء عودتها من الحج، وخلع المستعصمُ على كل مَن خدم والدته في مسيرتها من وإلى الحجاز. ماتت السيدة هاجر سنة 653هـ، ودُفنت بباب قبتها على يمين الداخل [5].

ومن حسن حظها أنها توفّيت قبل سقوط بغداد، وأن الموت هو خير نزال على الحرم، وخير لها من مشاهدة العاقبة والفاجعة والمصيبة العظمى، وما حل بابنها، واستئصالهم بأبشع طرائق القتل.

1- العصامي: سمط النجوم، ج2، ص290؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص99.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص190؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص66.

3- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج6، ص235.

4- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص227؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص190.

5- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج5، ص61؛ ناجي معروف: في بغداد في العصر العبّاسي، (بغداد: مط الجمهورية، 1967)، ص25.

الملاحق

ملحق (1)

ملابس الجواري والقَهْرَمَانَات في العصر العبّاسي

ظهرت في العصر العبّاسي ملابس خاصة، تميزت بها جواري وقَهْرَمَانَات العصر؛ إذ إن من عادات المجتمع التفرقة بين الحرائر والجواري، وبين جارية تمتلك صنعة، وأخرى لا تحمل صنعة مميزة، أما الصفة الخاصة بالجواري؛ فكان لهن شغف خاص بالثياب الشنيعة الألوان المصبوغة بالطيب والزعفران [1]، كما كانت قد أُدخلت في أزيائهن قصات جديدة في الملابس النسائية، جاءت بها الجواري غير العربيات؛ مثل الجارية التركية والرومية والفارسية والأرمنية والباذغيسية وغيرها، ونقلوها من بلادهم إلى بلاد العرب التي لم تكن تعرف مثل هذه الألوان والقصّات [2]، وأهم هذه الملابس وأكثرها زخرفة لباس قَهْرَمَانَات القصر العبّاسي:

1. ملابس القَهْرَمَانَات: كانت القَهْرَمَانَة في العصر العبّاسي تلبس الزنّار، وتكتب عليه الأشعار، وتكتب على المناديل والتكك أيضاً، وكان عقد الزنار [3] يُشدّ من طرق أزرارهن بخيط من الحرير، ثم يجعلنه في رؤوسهن مثل العصائب، فيثبت الأزار، ولا يتحرك عن طريق شكّالات الشعر [4]، وتضع في طرف الإزار زناراً وخيط الإبريسم، ثم تجعلها على رأسها [5]، من دون تقيّد في الألوان [6]، فبموجب هذا الملبس للقَهْرَمَانَة تتميّز عن الجارية؛ ليعرفها الناس إذا خرجت للتسوّق.

2. ملابس الجواري: الجارية التي تعمل داخل البلاط العبّاسي كانت تلبس في رأسها الشاشية [7]، وتلتف حول هذه الشاشية عصائب، بشكل متقاطع، ويبرز في وسط الشاشية

1- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص79؛ دوزي: المعجم المفصل، ص215.

2- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م5، ج4، ص1305؛ السيوطي: المستظرف، ص43.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص179؛ صلاح حسين العبيدي: الملابس العربية الإسلامية في العصر العبّاسي الثاني (بغداد: مط دار الرشيد، 1980)، ص215.

4- دوزي: المعجم المفصل، ص247؛ زكية عمر العلي: التزويق والحلي عند المرأة في العصر العبّاسي (رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد 1973)، ص78.

5- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص76؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص135.

6- الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص120؛ الأبشيهي: المستطرف، ص210.

7- الشاشية: وهي تشبه – إلى حد ما – الطربوش (المستعمل حالياً)، إلا أنه أكثر مخروطية، وتزين سطح الشاشية زخرفة أقرب إلى الخطوط الملتفّة، كأنها لحمات زائدة، تظهر على السطح المنسوج. يُنظَر: الوشاء: الموشي، ج2، ص130.

عن السطح العلوي، وهي من قماش أسمك (ويبدو ذلك في صلابة حياتها)، متقاطعة كأن تكون مصنوعة من الصوف أو القطن [1]، ونبدأ بملابس الجوار، كل ذات صنعة على حدة.

أ. الجارية المغنية والشاعرة: تلبس العصائب، وتُزيِّن عصائبهن بمجموعة من الأشعار التي تدور حول الحب والاشتياق والفرح والسرور[2]. «كانت الجارية المغنية أثناء خروجها من القصر - تضع على وجهها إزارين: الأوّل من القصب، أبيض رقيق، ومن ورائه، إزار أزرق» [3].

ب. الجارية الحظية: كانت الجارية الحظية والقريبة من الخليفة تلبس غلالة وسراويل [4]، وتكك ابريسم خضراء اللون [5]، وتنقش التكك بالأشعار وفرائد الأقوال والأبيات الشعرية الجميلة [6].

ج. لباس الجواري في المناسبات: كان للجواري في المناسبات زي خاص داخل البلاط العبّاسي، فكانت تلبس القلانس، فيما ترتدي في جلوسها بالصف الأمامي قلانس ذات هيئة مفصّصة، ينبثق من وسطه جزء بارز، كأنه لهب شمعة [7]، في حين تكون ملابس الصف الثاني قلانس أقرب ما تكون إلى شكل الطاقية[8].

ويلاحظ أن الجواري في العصر العبّاسي كن قد زهدن اللون الأبيض والأسود والمورد جميعاً؛ لأن الأسود لبس الرجال، والأبيض لبس الحداد، والمورد لبس النبطيات والإماء المنقّبات [9].

3. لباس الحرائر: قلّدت النساء الحرائر أزياء الجواري غير العربيات اللاتي انتشرن في البلاط العبّاسي، بشكل خاص، والدولة العبّاسية، بشكل عام؛ أمثال السيدة زبيدة

1- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص60؛ صلاح العبيدي: الملابس العربية، ص215.

2- دوزي: المعجم المفصل، 246؛ الوشاء: الموشي، ج2، ص131؛ السيوطي: المستظرف، ص45.

3- الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص125؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص72.

4- ابن دحية: النبراس، ص189؛ الذهبي: العبر، ج2، ص132.

5- التكك: القميص بدون أكمام قصير حتى الخصر مفتوحة من الأمام؛ مثل (اليلك حالياً). يُنظَر الوشاء: الموشي، ج2، ص132.

6- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص71؛ المدور: حضارة الإسلام، ص90.

7- دوزي: المعجم المفصل، ص24؛ زكي العلي: التزويق، ص2؛ نابيا آبوت: ملكتان في بغداد، ص90.

8- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص71؛ المدور: حضارة الإسلام، ص90.

9- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص120؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص39.

زوجة هارون الرشيد وعلية بنت المهدي، وامتازت ملابسهن بأكمامها المفتوحة [1]، وسراويلهن البيض المذيّلة، والسود المسبلة [2]، كما انتشرت في العصر العبّاسي انتشاراً واسعاً المودة المذهّبة المائلة إلى الخمري[3].

أصابت الحرائر والجواري في العصر العبّاسي حمى كتابة الأشعار على الأزياء، فلم يتركن زياً إلا ونقشن عليه شيئاً من مستظرف الشعر. وأحدثت المودات العجيبة التي نُسبت إليهن، مثلاً علية بنت المهدي التي أحدثت مودة العصائب المكلّلة بالجواهر، ويرجع السبب إلى أنه كان في جبينها سمة تشين لوجهها[4]، فأصبحت النساء الحرائر والجواري يقلّدن علية في ابتكاراتها، وكن ينظمن العصائب المكللة بالجواهر، ويكتبن عليها بالصفائح المذهبة شعراً رقيقاً، يصفن فيه محاسنهن [5]، وازداد تفنّن الجواري بكتابة الشعر بالفضة والذهب على طرفي الأردية والأكمام، وعلى العصائب، ويُطرّزن الدوائب، بل إن الجواري لم يتورّعن عن كتابة الشعر المائع [6].

واستمر التطور في كتابات الأشعار للجواري على خفافهن، وكن يبدين شغفاً بالأخفاف التي تصرّ عند المشي لاجتذاب الأنظار [7]، وكن يقلدن في ذلك الخيزران وزبيدة والجواري الروميات في هذا الابتكار [8]، ويشار إلى أن أحد المحتسبين كان يراعي ذلك، ويمنع الأساكفة من عملها [9]، وكانت خفاف الخيزران يُصنع حشوها من حبات العنبر والمسك، وتُكلّل واجهتها بالجواهر والذهب[10].

إن انتشار ظاهرة الجواري كان سبباً في شيوع إضفاء الزينة المختلفة؛ إذ إنهن جاهدن لإظهار جمالهن، وإخفاء عيوبهن، وليس هذا بالأمر الغريب؛ لأن الجارية تُباع، وتُشترى، أو تُهدى.

1- ابن دحية: النبراس، ص189؛ الوشاء: الموشي، ص130؛ الأبشيهي: المستطرف، ص210.
2- دوزي: المعجم المفصل، ص25؛ زكية العلي: التزويق، ص102؛ نابيا أبوت: ملكتان في بغداد، ص67.
3- ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص126؛ نابيا أبوت: ملكتان في بغداد، ص67.
4- الأبشيهي: المستطرف، ص45؛ السيوطي، المستظرف، ص44.
5- المقريزي: السلوك، ج2، ص285؛ المدور: حضارة الإسلام، ص90.
6- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص175؛ صلاح العبيدي/الملابس العربية، ص238.
7- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م5، ج4، ص1230؛ الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص297.
8- الذهبي: العبر، ج2، ص131؛ نابيا ابوت: ملكتان في بغداد، ص68.
9- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص185؛ الوشاء: الموشي، ص36.
10- ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص87؛ الأبشيهي: المستطرف، ص176.

ولما كانت الحرائر على اتصال بهن، فلا بد أن تتولّد الغيرة بينهن حرصاً على أزواجهن، ممّا دفعهن إلى استخدام وسائل التزويق للظهور أمام أزواجهن بمظهر حسن، كي لا يقدموا إلى اقتناء الجواري [1].

ومع ذلك، فقد اقتصر بعض التزيّن على الجواري؛ لكي تبقى السيدة العبّاسية الحرة متميزة، وأرفع درجة من الجارية، بموجب التميّز في الكتابة على الوجه والجباه والخدود وراحات الأيدي والأكف والأقدام وطلاء الأجساد بالورس [2].

هذه - بصورة عامة - ملابس الجواري والقَهْرَمَانَات في العصر العبّاسي، فهي -من جهة - تكشف لنا عن عمق الترف الذي أصاب الدولة العبّاسية إبان عنفوان ازدهارها في قصور الخلافة والبلاط العبّاسي، الذي كان السبب في ظهور وتطور بعض أنواع الملابس وفن النقش والتطريز على الملابس والأبدان، على حد سواء.

ومن الجدير بالذكر أن ملابس الجواري والقَهْرَمَانَات استمرت على هذا المنوال، حتى وقت زوال الخلافة العبّاسية من بغداد في سنة (656هـ/1258م)[3].

1- الأصفهاني: الأغاني، ج15، ص87؛ نابيا ابوت، ملكتان في بغداد، ص68.

2- الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ص79؛ الأصفهاني، الأغاني، ج15؛ ص211.

3- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص181؛ ذهبي: مشاهير النساء، ص265.

ملحق (2)

ملحق رقم (2)

ت	الخليفة	أمّ الخليفة	أصولها	زوجة الخليفة	أصولها	جواري وقَهْرَمَانات الخليفة	أصولهن
1	أبو العبّاس السّفّاح (132-136هـ/749-753)	ريطة بنت المدان الحارثي	عربية	أمّ سلمة[1] المخزومية	عربية	لايوجد	
2	أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م)	سلامة	بربرية	أمّ موسى فاطمة بنت مُحمّد	حميرية عربية	القَهْرَمَانة هيلانة القَهْرَمَانة ريسانة القَهْرَمَان سبع الدرر الجارية أمّ علي	فارسية[2] تركية[3] فارسي[4] حميرية[5]
3	المهدي (158-196هـ/774-785م)	أمّ موسى	حميرية	ريط بنت السّفّاح خيزران	عربية يمانية	الجارية بختيار الجارية شكل الجارية مكنونة الجارية بصبص خولة وحسّانة عتبة وخالصة الجارية حسنة واضح القَهْرَمَان	فارسية[6] فارسية عربية من المدينة عربية من المدينة[7] عربيتان من المدينة عربيتان من المدينة تركية فارسي[8]

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص115؛ ابن قيّم الجوزية: أخبار النساء، ص61؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص87.

(2) ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص81؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص85؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص191.

(3) ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص83؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص137؛ ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص10.

(4) ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص93؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص141؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص5.

(5) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، م2، ص91؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص188؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص11.

(6) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج2، ص74؛ البيروني: الآثار الباقية، ص44؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص175.

(7) الجاحظ: رسائل الجاحظ، باب رسائل القيان، ص181؛ الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص76؛ الذهبي: العبر، ج2، ص149.

(8) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج2، 174؛ الخطيب البغدادي: تاريخ البغداد، ج5، ص177؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص12.

ت	الخليفة	أمّ الخليفة	أصولها	زوجة الخليفة	أصولها	جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة	أصولهن
4	موسى الهادي (169-170هـ/785-786م)	خيزران	يمانية			الجارية غادر الجارية أمة العزيز الجارية رحم (رحيم)	مجهولة الأصل فارسية فارسية[9]
5	هارون الرشيد	خيزران	يمانية	زبيدة بنت جعفر بن المنصور أمة العزيز أمّ مُحمّد بنت صالح العبّاسة بنت سليمان عزيزة بنت الغطريف ابنة عبد الله بن عثمان بن عفان مراجل	عربية عربية عربية عربية يمانية باذغيسة	القَهْرَمَانَة هيلانة الجارية غضيض الجارية فتينة الجارية ذات الخال الجارية غادر	فارسية فارسية فارسية[10] فارسية[11] فارسية[12]
6	الأمين (193-198هـ/808-813م)	زبيدة	عربية			الجارية بذل الجارية عريب الجارية فريدة الكبرى ضعيف	المدينة فارسية[13] حجازية[14] مجهول الأصل
7	المأمون (198-218هـ/813-833م)	مراجل	باذغيسية			الجارية عريب الجارية بدعة الجارية مؤنسة	فارسية فارسية[15] رومية

---

(9) الدينوري: الأخبار الطوال، ص88؛ الصولي: أمالي، ص56؛ الصابي: الوزراء، ص42.

(10) الشابشتي: الديارات، ص149؛ الشهرستاني: المِلَل والنِّحَل، ص172؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص215.

(11) الشهرستاني: المِلَل والنِّحَل، ص147؛ ابن القفطي: تاريخ الحكماء، ص122؛ القرماني: أخبار الدول، ص82.

(12) الصابي: الوزراء، ص62؛ العمري: مسالك الأبصار، ص129؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص277.

(13) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص185؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص191؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص21.

(14) المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص146؛ ابن وكيع: ألف ليلة وليلة، ج2، ص171؛ الوشاء: الموشي، ص125.

(15) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص185؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص191؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص21.

ت	الخليفة	أمّ الخليفة	أصولها	زوجة الخليفة	أصولها	جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة	أصولهن
8	**المعتصم** (218-227هـ/833-841م)	ماردة	تركية			الجارية قرة العين الجارية سكنة قراطيس	تركية[16] تركية رومية
9	**الواثق** (227-232هـ/841-846م)	قراطيس	رومية			الجارية فريدة الصغرى الجارية شارية	تركية[17] تركية
10	**المُتوكّل** (232-247هـ/846-861م)	شجاع	تركية	قبيحة	رومية	الجارية فضل الشاعرة الجارية إسحق الجارية بنان الجارية محبوبة الجارية ناشب الجارية مخارق الجارية فتيان الجارية حبشية	اليمامة[18] أندلسية تركية[19] تركية تركية[20] تركية مجهولة الأصل رومية
11	**المنتصر** (247-248هـ/861-862م)	حبشية	رومية[21]				
12	**المستعين** (248-254هـ/862-868م)	وردة	تركية				

---

(16) ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج9، ص169؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص185؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص71.

(17) ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص205؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج8، ص193؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص89.

(18) ابن الجوزي: ذم الهوى، ص166؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص179؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص109.

(19) ابن قيّم الجوزية: أخبار النساء، ص94؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص184؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص109.

(20) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص79؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص189؛ ابن الساعي، الخلفاء، ص24.

(21) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص285؛ ابن حزم: الفصل في المِلَل والنِّحَل والأهواء، ج2، ص89؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء، ص36.

ت	الخليفة	أمّ الخليفة	أصولها	زوجة الخليفة	أصولها	جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة	أصولهن
13	المعتز (254-255هـ/868-868م)	قبيحة	رومية[22]				
14	المهتدي بالله (255-256هـ/868-869م)	وردة	تركية[23]				
15	المعتمد (256-279هـ/869-892م)	فتيان	تركية			الجارية نبت الجارية خلافة	تركية تركية[24]
16	المعتضد (279-289هـ/892-901م)	صواب أو ضرار	تركية	قطر الندى شغب	مصرية رومية[25]	الجارية دريرة شغب جيجك فتنة	تركية رومية تركية تركية
17	المكتفي (289-295هـ/901-907م)	جيجك	تركية[26]				
18	المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)	شغب	رومية			القَهْرَمَانَة فاطمة القَهْرَمَانَة أمّ موسى القَهْرَمَانَة ثمل القَهْرَمَانَة زيدان الجارية دستنوية الجارية دمنة	عربية عربية رومية رومية فارسية تركية[27]

(22) ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص141؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص142؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص28.

(23) ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص177؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص190؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص32.

(24) ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج10، ص151؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص176؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص30.

(25) ابن قيّم الجوزية: أخبار النساء، ص51؛ ابن الكارزوني: مختصر التاريخ، ص179؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص183.

(26) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، م2، ص93؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص144.

(27) ابن النديم: الفهرست، ص196؛ الأبشيهي: المستطرف، ص84؛ البيروني: الآثار الباقية، ص152.

ت	الخليفة	أمّ الخليفة	أصولها	زوجة الخليفة	أصولها	جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة	أصولهن
19	القاهر (320-322هـ/932-934م)	فتنة	تركية[28]				
20	الراضي (322-326هـ/934-937م)	ظلوم	رومية[29]				
21	المتقي (326-333هـ/937-944م)	خلوب أو زهرة	رومية[30]				
22	المستكفي (333-334هـ/944-945م)	أملح الناس	رومية			القَهْرَمَانَة عَلَم	فارسية[31]
23	المطيع لله (334-363هـ/945-973م)	شغلة	مجهـــول الأصل			خالص الخادم	مجهول الأصل
24	الطائع (363-393هـ/973-991م)	هزار أو غيث	فارسية			الجارية عائكة المخزومية الجارية عابدة [32]	مجهول الأصل مجهول الأصل
25	القادر بالله (393-42هـ/991-1030م)	تمني أو دمنة	فارسية [33]			بدر الرجى	أرمينية
26	القائم (422-467هـ/1030-1074م)	قطـر النـدى أو بـدر الدجى	أرمينية			قرة العين أرجوان القَهْرَمَانَة وصال القَهْرَمَانَة صلف	أرمينية أرمينية أرمينية [34]

(٢٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص125؛ ابن قيّم الجوزية: أخبار النساء، ص52؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص194.

(٢٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج6، ص125؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص88؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص309.

(٣٠) ابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، ص183؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص203 ؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص52؛

(٣١) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص121؛ البيروني: الآثار الباقية، ص151؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص172.

(٣٢) الذهبي: العبر، ج2، ص74؛ الدميري: حياة الحيوان، ص63؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج6، ص188.

(٣٣) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج2، ص173؛ الغزولي: مطالع البدور، ص185؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص325.

(٣٤) ابن القفطي: أخبار العلماء، ص194؛ القرماني: أخبار الدول، ص187؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص325.

ت	الخليفة	أمّ الخليفة	أصولها	زوجة الخليفة	أصولها	جواري وقَهْرَمَانَات الخليفة	أصولهن
27	المقتدي (467-487هـ/1074-1094م)	قرة العين أرجوان	أرمينية	ماه الملك	سلجوقية	الجارية شمس النهار	تركية [35]
28	المستظهر (487-512هـ/1094-1118م)			بنت ملكشاه ست السادة	فارسية أرمينية [36]		
29	المسترشد (512-529هـ/1118-1160م)	أمّ ولد	تركية				
30	الراشد (529هـ/1134م)	أمّ ولد	تركية [37]				
31	المقتفي (529-555هـ/1134-1160م)	نسيم	حبشية [38]				
32	المستنجد (555-566هـ/1160-1170م)	طاووس	كرجية	غضة	أرمينية [39]		
33	المستضيء (566-575هـ/1170-1179م)	فضة أو عصمت	أرمينية	زمرد خاتون	تركية	الجارية بنقشا الجارية شرف	رومية تركية [40]
34	الناصر (575-622هـ/1179-1225م)	زمرد خاتون	تركية	سلجوقية	رومية	حدق القَهْرَمَانَة ست النسيم القَهْرَمَانَة	روسية تركية [41]

---

[35] الشهرستاني: المِلَل والنِّحَل، ص148؛ العمري: مسالك الأبصار، ص171؛ ابن دحية: النبراس، ص217.

[36] النويري: نهاية الأرب، ج6، ص215؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص81؛ السيوطي: المستظرف، ص63.

[37] المقريزي: المواعظ، ج2، ص152؛ هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ص64؛ الدوري: النظم الإسلامية، ص43.

[38] ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص143؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص45؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص217.

[39] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص218؛ ريسلر: الحضارة العربية، ص42؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العبّاسي، ص62.

[40] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص212؛ الأبشيهي: المستظرف، ص189؛ الوشاء: الموشي، ص49.

[41] ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص41؛ الذهبي: العبر، ج2، ص188؛ الدميري: حياة الحيوان، ص175.

ت	الخليفة	أمّ الخليفة	أصولها	زوجة الخليفة	أصولها	جواري وقَهْرَمانَات الخليفة	أصولهن
35	الظاهر (622-623هـ/1225-1226م)	ست النسيم القَهْرَمَانَة	رومية			الجارية حياة الجارية جوهر الجارية نسمة	تركية تركية [42]
36	المستنصر (623-640هـ/1226-1243م)	نسمة	تركية	هاجر	رومية	الجارية شاهان	فارسية [43]
37	المستعصم (640-656هـ/124201258م)	هاجر	رومية			الجارية باب بشير الجاريتان نبعة ووردة	رومية تركية [44]

---

(42) ابن القطفي: أخبار العلماء، ص217؛ القرماني: أخبار الدول، ص215؛ فيليب حتي: تاريخ العرب، ص187.

(43) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص235؛ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص42؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص79؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص217.

(44) ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص49 ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص115 ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص417؛ القرماني: أخبار الدول، ص245.

المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم.

أولاً: المخطوطات

- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله مُحمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت748هـ/1347م).

1. تاريخ الإسلام، ج7، مخطوطة مصورة عن نسخة مكتبة الأوقاف، ومحفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، برقم 1658.

- الغساني: أبو العبّاس إسماعيل الغساني العبّاسي (ت803هـ/144م).

2. العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب، جامعة بغداد.

- مؤلف مجهول:

3. كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج4، قسم 1، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب، جامعة بغداد، رقم 1513.

ثانياً: المصادر الأوّلية:

- الأبشيهي: شهاب الدين أحمد بن مُحمّد بن أحمد الفتح الأبشيهي المحلي (ت: 850هـ/1446م).

4. المستطرف في كل فن مستظرف (القاهرة: مطبعة دار الفكر، 1962م).

- ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العبّاس أحمد بن القاسم بن خلفة السعدي الخزرجي (ت667هـ/1270م).

5. عيون الأنباء في طبقات الأطباء (القاهرة: مطبعة بولاق، 1299هـ/1882م).

- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحمّد بن عبد الكريم الجزري (ت630هـ/1232م)

6. الكامل في التاريخ، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، 1353هـ)، وطبعة (القاهرة: مطبعة بولاق، 1254هـ).

- ابن آدم القريشي: يحيى (ت203هـ/818م).

7. الخراج: (بيروت: مطبعة دار الملايين، 1972م).

- الأزرقي: مُحمّد بن عبد الله بن أحمد (ت855هـ/1415م).

8. أخبار مكّة وما جاء فيها من آثار، تحقيق: رشدي الصالح محسن، ط2، (مكّة: مطابع دار الثقافة، 1965).

- الأصبهاني: أبو القاسم حسين بن مُحمّد الراغب (ت502هـ/1108م)

9. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 4 أجزاء (بيروت: مطبعة دار الملايين، د/ت).

- الأصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن مُحمّد الفارسي (ت346 هـ/957م).

10. مسالك الممالك (ليدن: مطبعة بريل،1927م).

- الأصفهاني: حمزة بن الحسين (ت360هـ/ 961م).

11. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط3، (بيروت: مكتبة الحياة، 1961).

- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن مُحمّد القريشي الأموي (ت: 356هـ/966م).

12. الأغاني، تصحيح أحمد الشنقيطي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (بيروت، مطبعة دار الثقافة، 1955)، (القاهرة: المطبعة المصرية 1351هـ/1932م).

- ابن بسام: مُحمّد بن أحمد المحتسب (كان حياً في سنة 844هـ/1440م)

13. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي (بغداد: مطبعة الحرية، 1968).

- ابن بشكوال: أبو القاسم خلف عبد الملك (ت578هـ/1182م).

14. الصلة (الدوحة: عن طبعة القاهرة، 1988).

- ابن بطريق: البطريك افتشبوس المكنّى بسعيد بن بطريق (ت328هـ/939م).

15. التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، جزءان (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1909م).

- ابن بطلان: المختار بن الحسن بن عبدون الطيب البغدادي (ت455هـ/1063م).

16. رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، ضمن نوادر المخطوطات، تحقيق: عبد السلام مُحمّد هارون (القاهرة: مطبعة الدار المصرية، 1954م).

- ابن بطوطة: مُحمّد بن عبد الله بن مُحمّد إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م).

17. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (القاهرة: مطبعة بولاق 1939م).

- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م).

18. فتوح البلدان (القاهرة: مطبعة الأشراف، 1901).

- البلخي: أبو زيد بن سهل (ت322هـ/934م).

19. البدء والتاريخ، ويُنسَب إلى طاهر بن مطهر المقدسي، (شالون: 1916م).

- البيروني: أبو الريحان مُحمّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت: 440هـ/1048م).

20. الآثار الباقية عن القرون الخالية (ليبزك: بروك هاوس، 1923).
21. الجماهر في معرفة الجواهر (حيدر أباد الدكن: مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1355هـ).

- البيهقي: ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد بن إبراهيم بن مُحمّد (ت:565هـ/1169م).

22. المحاسن والمساوئ (دمشق: مطبعة الترقّي،1960م).

- ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت874هـ/1469م).

23. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي، 1969).

- التنوخي: القاضي أبو علي المحسن بن علي بن مُحمّد بن أبي الفهم (ت384هـ/994م).

24. جامع التواريخ (المسمّى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)، تحقيق: عبود الشالجي (بيروت: مطبعة الهلال، 1973م) وطبعة أخرى، ج8 (دمشق: مطبعة المفيد، 1930م) و(بيروت: مطابع دار الصياد 1971م).
25. المستجاد من فعلات الأجواد، عُني بنشره وتحقيقه مُحمّد كرد علي (دمشق: مطبعة بلا، 1970).

- التوحيدي: أبو حيان (ت: 380هـ/990م).

26. الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، (القاهرة: مطبعة دار الفكر، 1953م).

- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت: 429هـ/1037م).

27. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مُحمّد محيي الدين، (القاهرة: المطبعة المصرية، 1934)
28. لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي (القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، 1990م).
29. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم: مطبعة المدني، 1965 (القاهرة: المطبعة المصرية، 1908م).

- الجاحظ: أبو عثمان عَمرو بن بحر (ت: 255هـ/869م).

30. التاج في أخبار الملوك (المنسوب إليه)، (القاهرة: المطبعة الأميرية، 1914م) وطبعة أخرى، تحقيق: فوزي عطوي، (بيروت: 1970).
31. البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام مُحمّد هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1948 م).
32. حجج النبوة، ضمن رسائل الجاحظ، جمع السندوني، (القاهرة: المطبعة الرحمانية، 1933م).
33. ثلاث رسائل، ط2، (د/م: المطبعة السلفية، 1382هـ).
34. البخلاء، (القاهرة: مطبعة الجمهور، 1223هـ).
35. المحاسن والأضداد (المنسوب إليه)، تصحيح: مُحمّد أمين الخانجي (القاهرة: مطبعة المعاهد، 1234هـ/1935م).

- الجمحي: مُحمّد بن سلام (ت231هـ/845م).

36. طبقات فحول الشعراء، نشره جوزيف هل، (بيروت: مطبعة دار الكتب العلمية، 1982).

- الجهشياري: أبو عبيدة بن عبدوس (ت: 331هـ/942م).

38. الوزراء والكتّاب (القاهرة: مطبعة بولاق، 1357هـ/1938م).

- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحمّد بن المعلي (ت597هـ/1201م)

37. تلبيس إبليس، حقّقه، وخرج أحاديثه: خير الدين علي (د/م، دار الوعي العربي، 1244هـ/1923م)، وطبعة أخرى (بيروت: دار الطباعة المنيرية، 1368هـ/1948م).

38. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (حيدر أباد الدكن: مطبعة دائر المعارف العثمانية، 1357هـ).

39. أخبار الحمقى والمغفّلين، تحقيق: علي الخاقاني، ط2، (بغداد : مطبعة البصري، 1386هـ).

40. أخبار الظرفاء والمتماجنين، تقديم: مُحمّد بحر العلوم، (النجف: 1386هـ/1967م).

41. مناقب بغداد (المنسوب إليه)، تحقيق: مُحمّد بهجة الأثري، (بغداد : مطبعة دار السلام، 1342هـ).

42. ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (القاهرة: مطبعة بولاق 1962م).

43. القصاص والمذكرون، تحقيق: مارلين سوارتز، (بيروت: مطبعة الهلال 1971م).

44. صفة الصفوة، 4 أجزاء (حيدر أباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1355هـ).

- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (1067هـ/1658م).

45. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط3، (طهران: المكتبة الإسلامية، 1947م).

- ابن حزم: أبو مُحمّد علي بن أحمد (ت: 456هـ/1064م).

46. الفصل في المِلَل والأهواء والنِّحَل (القاهرة: مطبعة دار الأخبار،1967م).

47. جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام مُحمّد هارون، (القاهرة: مطبعة دار المعارف، 1382هـ/1962م).

- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1070م).

48. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تصحيح: مُحمّد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1931).

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُحمّد (ت808 هـ/1405م).

49. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، أربع مجلدات، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: المطبعة الباسلية،1957) وطبعة أخرى7 أجزاء (القاهرة: مطبعة السعادة، 1284م).

- ابن خلكان: شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي (ت: 681هـ/1282م).

50. وفيات الأعيان 6 أجزاء (القاهرة: مطبعة بولاق، 1283هـ) وطبعة أخرى بتحقيق مُحمّد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مطبعة السعادة، 1367هـ/1948م).

- الخوارزمي: أبو عبد الله مُحمّد بن أحمد بن يوسف (ت: 407هـ/1103م).

51. مفاتيح العلوم (القاهرة: مطبعة الشرق، 1342هـ).

- ابن خياط: أبو عمر شباب العصفري (ت240 هـ/854م).

52. تاريخ خليفة، تحقيق: سهيل زكار (القاهرة: بلا، 1967).

- ابن الدبيثي: أبو عبد الله مُحمّد بن سعيد (ت637هـ1244-م)

53. المختصر المحتاج إليه. تحقيق: بشار عواد معروف (بغداد: دار الحرية للطباعة 1979م).

- ابن دحية: مجد الدين عمر بن حسن بن علي المعروف بذي النسبين دحية والحسين (ت: 633هـ/1235م).

54. النبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس، تحقيق: عبّاس العزاوي، (بغداد: مطبعة المعارف، 1365هـ/1946م).

- الدميري: كمال الدين مُحمّد بن موسى (808هـ/1405م).

55. حياة الحيوان الكبرى، جزءان (القاهرة: مطبعة مُحمّد علي صبيح 1378هـ/1958م).

- الدنيوري: أحمد بن داود أبو حنيفة (ت: 282 هـ/895م).

56. الأخبار الطوال (ليدن: مطبعة بريل، 1888م).

- الديار بكري: العلامة الشيخ حسين بن مُحمّد بن الحسن(ت990هـ/1582م).

57. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، جزءان، (القاهرة: المطبعة الوهبية، 1284هـ).

- ذهبي: مُحمّد.

58. مشاهير النساء: (بالتركية)، مجلدان (د/م: مطبعة دار الطباعة العامرة 1294هـ).

- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله مُحمّد بن أحمد بن عثمان (ت:748هـ/1247م).

59. دول الإسلام، ط2، (حيدر أباد الدكن: مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1364هـ).

60. العبر في خبر مَن غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1960).

61. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، (بيروت: مطبعة دار بيروت للطباعة، 1981) و(القاهرة: مطبعة بولاق 1972).

- ابن رسته: أبو علي أحمد بن عمر (ت: حوالي 332هـ/943م).

62. الأعلاق النفيسة، باعتناء: دي غويه (ليدن: مطبعة بريل، 1892م).

- سبط ابن الجوزي: أبو المظفر يوسف بن قراوغلي بن عبد الله (ت: 654هـ/1256م).

63. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (حيدر أباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية 1951-1952).

- ابن الساعي: تاج الدين علي بن المحب المعروف بابن الساعي الخازن البغدادي (ت674هـ/1275م).

64. نساء الخلفاء، (المسمّى جهات الأئمّة الخلفاء من الحرائر والإماء)، تحقيق: مصطفى جواد، (القاهرة: دار المعارف، د/ت).

- السلمي: أبي عبد الرحمن (ت810هـ/1407م).

65. الظرف والظرفاء، تحقيق: نور الدين سربية (القاهرة: مطبعة الكتاب العربي، 1953).

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن بن أبي بكر (ت: 911هـ/1505م).

66. الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق مصطفى جواد (بغداد: المطبعة السريانية، 1934م).

67. تاريخ الخلفاء، ط2، (القاهرة، مطبعة السعادة، 1959).

68. المستظرف من أخبار الجواري، تحقيق: صلاح الدين المنجد (بغداد: مطبعة الحرية، 1973).

69. الوسائل إلى مسامرة الأوائل، تحقيق: أسعد أطلس (بغداد: مطبعة النجاح، 1950).

- الشابشتي: أبو الحسن علي بن مُحمّد (ت: 388هـ/998م)

70. الديارات: تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: مطبعة دار إحياء التراث العربي، 1951).

- ابن شاكر الكتبي: مُحمّد بن أحمد (ت: 764هـ/1362م).

71. فوات الوفيات، وهو ذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: مُحمّد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1951م).

- الشهرستاني: عبد الرحمن بن نصر (ت: 589هـ/1193م).

72. الملَل والنِّحَل، تحقيق: مُحمّد فتح الله (القاهرة: مطبعة السعادة، 1948).

- الصابي: أبو الحسن الهلال بن المحسن بن هلال بن إبراهيم بن زهروب الحراني (ت: 448هـ/1056م).

73. رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، (بغداد: مطبعة العاني، 1964).

74. الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (د/م: دار إحياء الكتب العربية، 1958).

- الصولي: أبو بكر مُحمّد بن يحيى (ت: 335هـ/946م).

75. أمالي السيد مرتضى وأدب الكتّاب، تحقيق: مُحمّد بهجت الأثري (القاهرة: مطبعة التراث، 1906).

76. أخبار الراضي بالله والمتقي لله، أو تاريخ الدولة العبّاسية من سنة 322هـ/333هـ من كتاب الأوراق، نشرة ج هيورث. دن (القاهرة: مطبعة الصاوي، 1935).

- الطبري: أبو جعفر مُحمّد بن جرير (ت310هـ/922م).

77. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: م.ج. ي. جيوجي، (ليدن: مطبعة بريل 1964)، وطبعتا (القاهرة: 1949و1962)، تحقيق مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار المعارف المصرية.

- ابن الطقطقي: مُحمّد بن علي بن طباطبا (ت: 709هـ/1309م).

78. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (القاهرة: 1317هـ)، وطبعة أخرى (بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1385هـ/1966م).

- ابن طيفور: أبو الفضل أحمد ظاهر الكاتب (ت280هـ/893م).

79. بغداد في تاريخ الخلافة العبّاسية، (بغداد: مكتبة المثنى، 1388هـ/1968م).

80. بلاغات النساء، منشورات مكتبة بصيرتي (بغداد: مطبعة المثنى، 1969).

- ابن عبد ربّه: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن مُحمّد (ت: 328هـ/940م).

81. العقد الفريد، ثمانية أجزاء، ط2، تحقيق: مُحمّد سعيد العريان (القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1372هـ/1953م)، وطبعة أخرى (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1948).

- ابن العبري: غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطبيب الملطي (ت685هـ/1286م).

82. تاريخ مختصر الدول، ط2، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1958م).

- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت571هـ/1176م).

83. التاريخ الكبير، تحقيق عبد القادر بدران (دمشق: بلا، 1959).

- العصامي المكي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت: 1049هـ/1639م).

84. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (القاهرة: المطبعة السلفية، د/ت).

- ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت: 1089هـ/1678م).

85. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (القاهرة، مكتبة القدسي، 1335هـ).

- العمري: شهاب الدين بن فضل الله (ت: 749هـ/ن 1348م).

86. مسالك الأبصار في الممالك والأمصار، تحقيق: أحمد زكي باشا (القاهرة: مطبعة السعادة، 1342هـ/1924م).

- العمري: ياسين بن خير الدين (ت: 1232هـ/1816م)

87. مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء. تحقيق: رجاء مُحمّد السامرائي (بغداد: مطبعة دار الجمهورية، 1966).

- الغزولي: علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت: 815 هـ/1412 م).

88. مطالع البدور في منازل السرور (القاهرة: المطبعة الشرقية، 1299-1300هـ).

- أبو الفداء: إسماعيل بن علي عماد الدين أبو الفداء (ت:732هـ/1138م).

89. المختصر في أخبار البشر (القاهرة: المطبعة الحسينية، 1968).

- القارئ: أبو مُحمّد جعفر بن حمد بن الحسين السراج (ت: 500هـ/1106م)

90. مصارع العشاق (بيروت: مطبعة دار بيروت للطباعة والنشر، 1958).

- القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت3 هـ/م).

91. الأمالي، المجلد 2 (بيروت: مطبعة دار الكتاب العلمية، د.ت).

- ابن قتيبة: أبو مُحمّد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ/889م).

92. الإمامة والسياسة، تحقيق: مُحمّد طه الزيني، جزءان في مجلد واحد (القاهرة: مطابع سجل العرب،1387هـ/1967م) وطبعة (القاهرة: 1925م).

93. عيون الأخبار، 4 أجزاء (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1925م).

94. المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، صحّحه: مُحمّد إسماعيل عبدالله الصاوي، (القاهرة: المطبعة الإسلامية، 1934م).

- القرطبي: عريب بن سعيد (ت: 369هـ/976م).

95. صلة تاريخ الطبري، (ليدن: مطبعة بريل،1897م).

- القرماني: العلامة الفاضل أبو العبّاس أحمد بن يوسف الدمشقي (ت1019هـ/1610م)

96. أخبار الدول وآثار الأوَّل (الموجود بهامش الجزء الثاني من كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (القاهرة: دار الطباعة، 1290هـ)، وطبعة (بغداد : 1282هـ).

- القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم (ت: 646هـ/1248م).

97. تاريخ الحكماء (وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمنتخبات والملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء)، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر، عن نسخة (ليبزك: 1903هـ).

- القلقشندي: أبو العبّاس أحمد بن علي (ت: 821هـ/1418م).

98. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركاه، 1963)، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية في القاهرة، بلا.

99. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (الكويت: مطبعة الحكومة، 1964).

- القيرواني: إبراهيم بن علي الحصري (ت453هـ/ 1061م)

100. زهرة الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك (بيروت: مطبعة دار المعرفة، 1972).

- ابن قيّم الجوزية: شمس الدين بن عبد الله مُحمّد بن بكر الزرعي الدمشقي (ت: 691هـ/ 1291م).

101. أخبار النساء (بيروت: دار مكتبة الحياة، د/ت).

- الكازروني: ظهير الدين أبو الحسن علي بن مُحمّد البغدادي (ت697هـ/1297م).

102. مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العبّاس، تحقيق: مصطفى جواد (بغداد: مطبعة الحكومة، 1970).

- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774 هـ/1372م).

103. البداية والنهاية في التاريخ، 14 جزء (القاهرة: مطبعة السعادة، 1932م) و(بيروت: مكتبة المعارف، 1977م).

- الماوردي: أبو الحسن علي بن مُحمّد بن حبيب البصري (ت: 450 هـ/1058م).

104. الأحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة: المطبعة المحمودية التجارية، د/ت)، وطبعة (القاهرة: 1298م).

- المبرد: مُحمّد بن يزيد بن عبد الكريم التمالي (ت: 286 هـ/899م).

105. الكامل في اللغة والأدب، جزءان، (القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، 1923م).

- المجوسي: علي بن العبّاس البرجيسي (كان حياً: قبل 384هـ/1994م).

106. كامل الصناعة الطبية، جزءان (د/م: المطبعة الكبرى، 1294م).

- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: 346هـ/956م).

107. مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4 أجزاء، (بيروت: 1965م)، وطبعة (القاهرة: مطبعة دار الرجاء، د/ت).

- مسكويه: أبو علي أحمد بن مُحمّد بن يعقوب (ت: 421هـ/1030م).

108. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (القاهرة: مطبعة شركة التمدن الصناعية 1914-1915).

- ابن المعتز: عبد الله (296هـ/908م).

109. ديوان ابن المعتز (دمشق: المكتبة العربية بدمشق، 1371هـ).

- المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله مُحمّد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت: 378هـ/988م).

110. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، (ليدن: مطبعة بريل، 1906م).

- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت: 845هـ/1441م).

111. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد (عن الطبعة القديمة لسنة 1910)، وطبعة (القاهرة: مطبعة النيل 1270هـ).

112. السلوك لمعرفة دول الملوك، جزءان، في 6 أقسام، تحقيق: مُحمّد مصطفى زيادة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1934).

- جرونيباوم: جوستاف فون.

136. حضارة الإسلام، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة: مطبعة دار مصر للطباعة، 1956).

- جواد : مصطفى.

137. سيدات البلاط العبّاسي (بيروت: مطبعة دار الكشاف، 1950).

- جواد : مصطفى وأحمد سوسة.

138. دليل خارطة بغداد المفصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1958).

- حسن: حسن إبراهيم.

139. تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة: مطبعة السعادة، 1960).

- حسن: علي إبراهيم.

140. التاريخ الإسلامي العام (القاهرة: مطبعة دار الكتاب، 1972).

- الخربوطلي: علي حسني.

141. المهدي العبّاسي، سلسلة أعلام العرب (القاهرة: مطبعة الفكر، 1966).

- الخضري بك: مُحمّد .

142. تاريخ الأمم الإسلامية، (القاهرة: مطبعة المكتبة التجارية الكبرى 1916).

- الدوري: عبد العزيز.

143. العصر العبّاسي الأوّل (بغداد : مطبعة الحرية، د/ت).

144. دراسات في العصور العبّاسية المتأخرة (بغداد : مطبعة السريان، 1945).

- دوزي: رينهارت بيتر أن.

145. المعجم المفصل بأسماء الملابس عبد العرب، ترجمة: أكرم فاضل (بيروت: مطبعة دار الكتاب العربي، 1972).

- ديورانت: ول.

146. قصة الحضارة، عصر الإيمان، ترجمة: مُحمّد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر (بيروت: دار الجيل، 1988).

- الراوي: طه.

147. بغداد مدينة السلام، (بغداد : مطبعة الجمهورية، د/ت).

- ريسلر: جاك.

148. الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون (القاهرة: مطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، د/ت).

- الزيات: أحمد حسن وآخرون.

149. المعجم الوسيط، جزءان (القاهرة: مطبعة مصر، 1380هـ/1960م).

- زيدان: جرجي.

150. تاريخ التمدن الإسلامي (القاهرة: دار الهلال، 1910م).

- شفيق: أحمد.

151. الرق في الإسلام، ترجمة: أحمد زكي (القاهرة: مطبعة بولاق، د.ت).

- شلبي: أحمد.

152. التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط2، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966م).

153. في قصور الحلفاء، (القاهرة: مطبعة دار الفكر، د/ت).

- ضيف: شوقي.

154. العصر العبّاسي الأوّل، ط3، (القاهرة: مطبعة بولاق، 1966).

155. العصر العبّاسي الثاني، ط2، (القاهرة: مطبعة دائرة المعارف د/ت).

- العلي: زكية عمر.

156. التزويق والحلي عن المرأة في العصر العبّاسي (رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1973).

- العبيدي: صلاح حسين.

157. الملابس العربية الإسلامية في العصر العبّاسي (بغداد: مطبعة دار الرشيد، 1980).

- عمر: فاروق.

158. العبّاسيون الأوائل (بيروت: دار الإرشاد، 1970).

- عواد: ميخائيل.

159. صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العبّاسي (بغداد: دار الرشيد للنشر، 1981).

- فهد: بدري مُحمّد.

160. العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري (بغداد: مطبعة الحرية، 1967).

- فيصل: شكري.

161. المجتمعات الإسلامية في القرن الأوّل الهجري (القاهرة: المطبعة المصرية 1371م).

- الكبيسي: حمدان عبد المجيد.

162. عصر الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ) (النجف الأشرف: مطبعة النعمان، 1974).

- الكبيسي: عناد إسماعيل.

163. شعر الفكاهة في القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير في الآداب (غير منشورة) جامعة عين شمس (القاهرة: 1967).

- كحالة: عمر رضا.

164. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط2، (دمشق: المطبعة الهاشمية 1959).

- كريمر: فون.

165. الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، ترجمة: طه بدر (القاهرة: دار الفكر العربي، د/ت).

- كوك: ريجارد.

166. بغداد مدينة السلام (بغداد: مطبعة الحرية، د/ت).

- لسترنج: جاي.

167. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: كوركيس عواد وبشير فرنسيس، (بغداد: مطبعة الرابطة، 1954).

168. بغداد في عهد الخلافة العبّاسية، ترجمة: بشير يوسف فرنسيس، (بغداد: المطبعة العربية، 1936).

- عبد المنعم: ماجد.

169. العصر العبّاسي الأوّل أو القرن الذهبي (بغداد: مطبعة الحرية، 1975).

- متز: آدم.

170. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: مُحمّد عبد الهادي أبو ريدة، جزءان (القاهرة: لجنة التأليف والنشر، د.ت)، وطبعة أخرى (بيروت: دار الكتاب العربي، 1967).

- المدور: جميل نخلة.

171. حضارة الإسلام في دار السلام (القاهرة: مطبعة بولاق، 1932).

- المرنيسي: فاطمة.

172. السلطانات المنسيات نساء رئيسات في الإسلام، ترجمة: عبد الهادي عبّاس.

- جميل معلى، ط2 (دمشق: دار الحضارة للنشر والتوزيع، 1998).

173. بين الخلفاء والخلعاء في العصر العبّاسي، ط2 (بيروت: مطبعة دار العلم للملايين، 1974).

رابعاً: الدوريات

- رحمة الله: مليحة.

174. «دور المرأة السياسي في العصر العبّاسي الثاني»، مجلة كلية الآداب، ع 14، المجلد الثاني (بغداد: مطبعة المعارف، 1970-1971).

- الشيخلي: صباح إبراهيم سعيد.

175. المرأة العراقية في العصر العبّاسي (132هـ - 656هـ/749-1285م)، مجلة دراسات تاريخية، ع 4 (بغداد، 2000م).

- العلوجي: عبد الحميد.

176. «كتاب الـوزارات»، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 19 (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1970).

- فهد: بدري مُحمّد.

177. القَهْرَمَانَات في العصر العبّاسي، مجلة المناهل، ع 14 (الرباط، 1979).

خامساً: المعاجم والقواميس:

- البستاني: بطرس.

178. قطر المحيط (بيروت: مطبعة دار الكتاب العربي، 1967).

- الرازي: مُحمّد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت666هـ/1267م).

179. مختار الصحاح (بيروت: مطبعة دار الكتاب العربي، 1967).

- رضا: أحمد.

180. معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت: مطبعة دار مكتبة الحياة، 1960).

- الزركلي: خير الدين.

181. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين (بيروت: مطبعة دار العلم للملايين، 1999م).

- الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر.

182. إحياء المعاجم العربية أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود (القاهرة: بلا، 1953).

- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ/1004م).

183. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام مُحمّد هارون (بيروت: مطبعة دار الفكر 1979).

- الفيروزي أبادي: ابن يعقوب مجد الدين مُحمّد (ت817هـ/1414م).

184. القاموس المحيط (بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، د.ت).

- ابن منظور: جمال الدين مُحمّد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي (ت711-1311م).

185. لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1956).

- اليسوعي: لويس معلوف.

186. المنجد في اللغة، الطبعة السابعة والثلاثون، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية/ 2001).

187. المنجد في الأعلام، الطبعة الثالثة والعشرون (بيروت: المطبعة الكاثوليكية/ 2001).

دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية

لابد من تحديد بداية المفاهيم والتعابير والتسميات المتداولة في المصادر العباسية حتى يمكن متابعة تلك التسميات وخصوصياتها للمدة قيد البحث والتي استمر تداولها للعصور العباسية المتتابعة لأن هذه التسميات تختلف مفاهيمها من عهد إلى أخر ومن خليفة إلى آخر، ففي عهد الخلفاء العباسيين الأوائل كانت أشهر التعابير السائدة في حقل الجواري هي:

- **الجارية**: هو من أكثر التعابير شيوعاً في المصادر ويغطي عروق وأجناس متعددة وصلت إلى دار الخلافة.

- **القهرمانة**: هي لون من ألوان الجواري في المجتمع العباسي، مع أنها أرفع منزلة وشأناً في شريحة الجواري التي تنتمي اليها.

- **الغلمان**: مفرد (غلام) هم الذين يشكلون طبقة الجند من العسكر عادة من أصول تركية.

- **الحظية والحظايا**: وهي الجارية التي تبرز وتتميز عن بقية أقرانها من الجواري، سواء لجمالها أو لصنعتها، أو لصفة جميلة متميزة بها يربو لها شخص الخليفة، فتأخذ شكل الحظية وفي مثل هذه المنزلة تكون قريبة منه ومحببة لديه.

- **السراري**: يقصد بها الجارية التي تعزل في محل مستور من البيت.

- **الرقيق**: هم الذين يعملون في قصور الخلافة ويقومون عادة بأعمال مختلفة.

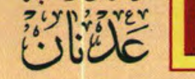
- **القيان**: في اللغة تدل على الإصلاح والتزين وأن القين يصلح الأشياء ويلمها ويجمعها ويقال للمرأة المقينة وهي التي تتزين.

- **الخدم**: هم العبيد إن كانوا سوداً أو المماليك إن كانوا بيضاً ولا فرق بين الخادم الأبيض والأسود طالما هو في حوزة شخص ما.

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح

تنفيذ: دار صفحات - سورية





للطباعة والنشر والتوزيع





www.darsafahat.com



ISBN 978-9933495138